الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

غير مخصص للبيع

ISSUE 119 - 10TH YEAR - JAN. 1987.

العدد (١١٩) ـ جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ ـ السنة العاشرة ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٧ م .



صفحة مفقودة

ملف خاص

كل شيء عن:

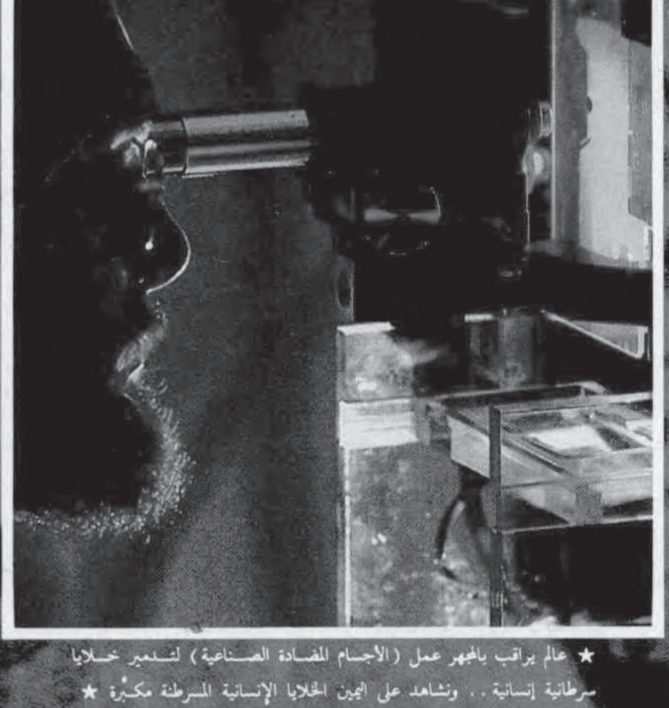
السرطان .. وأبحاث المستقبل

● أبحاث مستقبلية متطورة جداً.

●● محاصرة السرطان من كل اتجاه.

●●● عرض لكل مايجري في مراكز الأبحاث في العالم.

بقلم: عبد الرحمن حرستاني



★ عالم يراقب بالمجهر عمل (الأجسام المضادة الصناعية) لتدمير خلايا سرطانية إنسانية .. ونشاهد على اليمين الخلايا الإنسانية المسرطنة مكبّرة ★

● السرطان ليس مرضاً واحداً ، بل هو أكثر من "١٢٠" نوعاً مختلفاً.

●● هنالك علاقة وثيقة بين الدهون وحدوث السرطان.

السرطان



السرطان Cancer هذه الكلمة المرعبة إلى نفوس كل الناس ، هذا الداء الخبيث الذي يخرب الجسم ويدمر خلاياه من داخله ذاته ، هل آن الأوان لكشف مكر خلاياه المسرطنة وخداعها وتنكرها ، التي تترك ضحية السرطان يحدد موعده مع الموت ، ذلك أن السرطان نفسه ما يزال ظاهرة تحير العلماء بآليته Mechanism في انقسام خلاياه وتكاثرها اللانهائي الذي لا يتوقف حتى يقضي على صاحبه ، هذه الآلية ليست عشوائية ، كما كان يظن أكثر العلماء ، لكنها منظمة أروع تنظيم ، تبدأ عملها بخطة وعلم وتنقسم بخطة وعلم وتتكاثر بخطة وعلم ، وتقضي على صاحبها بخطة وعلم .. ولنتمكن من فهم هذه الآلية الدقيقة البارعة الماكرة الخادعة التي يوجه بها السرطان خلاياه يلزمنا علم أكبر حتى نتمكن من القضاء عليه قبل أن يقضي علينا ، وهذا هو الصراع القائم حالياً بين العلماء وبين السرطان ، ويبذل هؤلاء العلماء الآن جهوداً كبيرة في محاولات مضنية متأنية علهم يتمكنون من تطويق هذا الداء الأخطر على الإنسان ، ومن ثم قهره والإجهاز عليه إلى الأبد .

في أمريكا وحدها سيصاب بالسرطان مستقبلاً شخص واحد في ثلاثة أرباع الأسر الأمريكية ، أي إن أكثر من (١٧) مليون أميركي هم أحياء الآن سيموتون بالسرطان مستقبلاً ، رغم أن الولايات المتحدة قد صرفت حتى الآن على أبحاث السرطان وحدها حوالي (١٨,٥) بليون دولار .

ففي عام (١٩٣٠ م) ، كانت نسبة عدد المصابين بالسرطان الذين يبقون على قيد الحياة بعد خمس سنوات من العلاج لا شيء ، ارتفعت هذه النسبة في عام (١٩٧١ م) ، إلى (واحد) من كل (ثلاثة) مصابين ، وحالياً هي (٣) أشخاص من كل (٨) ، أي أن ما نسبته (٣٨ ٪) من المصابين بالسرطان سيعيشون لمدة أكثر من خمس سنوات ، وذلك بحسب تقرير **جمعية السرطان الأمريكية American Cancer Society** ، ورغم تقدم الأبحاث ومستويات العلاج فإن النسبة القومية الأمريكية للموت بمرض السرطان مستمرة في الارتفاع ، ففي عام (١٩٨٢ م) ، مات حوالي (٤٣٢,٠٠٠) إنسان ، وهذا العام (١٩٨٦ م) ، سيموت شخص بالسرطان كل (٦٨) ثانية ، **وعموماً فإن السرطان ليس مرضاً واحداً ، بل هو أكثر من (١٢٠) نوعاً مختلفاً** ، ولكل نوع أسبابه المعقدة ، في معجم علم أسباب الأمراض etiology ، وأيضاً فإن أسباب الإصابة بالسرطان ليست واضحة بالمرة ، وقد تتسبب من أي شيء ، من **الإشعاع Radiation** أو من **المواد الكيمائية السامة toxic chemicals** الموجودة في الأغذية أو من **التدخين** .. ولكن مع ذلك فإنه مع كل حالة إصابة بالسرطان تكتشف يتبين لنا مدى الخطأ في الاعتماد على هذه التكهنات وأن الأمر أكبر من ذلك بكثير وأعظم مما نتخيل أو نعتقد ، وأن أسرار السرطان لمن يريد أن يكتشفها تكمن هناك في التحولات transformations التي تجري بدقة وضبط ونظام في **(الجينات الإنسانية human genes)** ، وأن **التعليمات الوراثية genetic Instructions** التي تحملها تركيبات الـ(D N A) في الخلية الإنسانية Cell يتلاعب بها وتتغير وتقلب من عناصر فاعلة للمد بالحياة إلى عناصر مهلكة مميتة ، وبخلاف مرض الملاريا أو مرض شلل الأطفال Polio مثلاً ، فإن السرطان لا يتكون عادة عندما يُغزى الجسم من متعضيات Organisms غريبة تأتي من خارج الجسم مثل **الفيروسات Viruses** أو **البكتيريا** ، بل إن الإجماع في الرأي الآن وبين جميع العلماء في العالم (وخاصة بعد سلسلة الاكتشافات المبهرة الحديثة) أن السرطان يعد الآن مرضاً تسببه (بعض الجينات genes) وأن جذوره تنبت عميقاً ضمن تراكيب خلايا أجسامنا ، وفي الفهم العملي السليم لكشف هذا المرض المفزع الرهيب ، فإننا جميعاً عرضة لهذا المرض المخيف ، وذلك بسبب أننا نحمل كلنا هذه الجينات المسببة للسرطان ، والتي تجعل الجسم يتصرف بجموح واهتياج ، فتنمو خلاياه وتنقسم وتتكاثر بطريقة جامحة يتعذر ضبطها أو إيقافها إلى ما لا نهاية .

وأنباء الاكتشافات الحديثة ليست كلها بهذه الصورة الكئيبة ، فهذه المعرفة الجديدة والأساسية التي اكتسبها العلماء ستجعلهم يقرون بأن اجتثاث السرطان من جذوره لن يكون أمراً سهلاً أبداً ، ولكن مع ذلك فإن أول الأسرار الكبيرة التي كانت مخفية عنهم لمدة طويلة قد كشفت الآن ، وما دام منشأ السرطان من الجسم ذاته فإن أول هجوم فعلي عليه يجب أن يكون بسلاح من الجسم ذاته ، **والجسم المناعي Immunes ystem** الدفاعي الذاتي في الجسم ربما يكون هو السلاح الأفضل الذي يجب أن يستعمل لمحاصرته وقهره والإجهاز عليه ، وهذا هو الشغل الشاغل لجميع العلماء الباحثين في كل الأرض الآن .

وأهم ما في أنباء محاولات محاصرة السرطان وقهره أن العلماء الباحثين يحاولون الآن إنتاج (**لقاحات Vaccines**) **ضد السرطان** ، وإذا ما نجحت هذه الأبحاث فإنه سيكون بالمستطاع إعلام أي إنسان بوجود السرطان في جسمه بمجرد إجراء بعض (الاختبارات الدموية blood tests) حتى قبل أن تظهر أعراض symptoms هذا السرطان وتتطور ، كما يحاول العلماء الباحثون الآن إنتاج علاجات فعالة تقتل الخلايا السرطانية دون أذية النسج السليمة للجسم .. وقد حققت هذه الأبحاث العظيمة نجاحات جزئية هامة

حتى الآن ، وإمكانية تحقيق النجاح الكامل ممكن جداً مع تنامي معرفتنا السليمة للإجابة عن التساؤل الكبير وهو (**كيف ينشأ السرطان how cancer originates**) .

ولا أحد يمانع في أننا نعيش الآن في (العصر الذهبي لأبحاث السرطان) ، وذلك كما يقول العالم (**فرانك روسشر Frank Rauscher**) نائب الرئيس الأعلى للأبحاث في الجمعية الأمريكية للسرطان ، ولكن مع ذلك فإن أكثر من عالم لا يوافق العالم (روسشر) على هذا الرأي ، ويقول العالم (روسشر) إنه وإن كان من المحتمل جداً أننا لن نتمكن من أن نشفي أو نمنع حدوث معظم أنواع السرطانات إلا أن فرصتنا كبيرة جداً أن نتمكن من هذا في نهاية هذا القرن على الأكثر .

وتؤكد الاكتشافات الحديثة جميعها بأن السرطان الإنساني ينمو عندما يحدث (شيء ما) غير معروف إلى الآن للعلماء لبعض (الجينات الطبيعية Normal genes) في خلايا أجسامنا فتتحول إلى (جينات مسببة للسرطان Cancer - Causing genes) ، وقد أطلق العلماء على هذه الجينات اسم (الأنكوجينات oncogenes) أو (الجينات المتحولة) ، والجينات الطبيعية التي تمتلك قوة الفعل والتأثير دعيت بـ (الأنكوجينات البدئية Proto - oncogenes) . . فماذا يحول هذه الجينات الطبيعية في خلايانا فيقلبها من الصورة الهادئة الساكنة إلى الصورة المفزعة الرهيبة ، حيث تنقسم وتتكاثر بوحشية وتبث وتنشر السرطان في كل الجسم؟ أيكون شيء ما من البيئة ، أم من الغذاء ، أم أنه وبكل بساطة (تبدل وراثي ذاتي (عفوي) spontaneous genetic Change) لا أحد يعلم بأمر هذا حتى الآن سوى الله (جل جلاله) خالقها ومكونها .

ويقول (**كارلو كروس Carlo Croce**) العالم الباحث في **معهد (ويستار) في فيلادلفيا ـ أمريكا ـ إن هذا لا يعني أن السرطان لا يكون وراثياً على العموم بنفس الطريقة التي عليها مرض التليف المثاني Cystic fibrosis أو المزاج النزفي (الناعور) hemophilia** مثلاً ، وفي معظم حالات السرطان تتحول الجينات الطبيعية إلى جينات مسرطنة بعد الولادة (أي أننا نولد ومعنا هذه الجينات المسرطنة ولكنها تكون غير فاعلة) ، **والعالم (كروس)** يضيف بأنه كان قد توقع منذ زمن طويل بأن الجينات genes في خلايانا هي التي تتوارى بفعلها خلف جميع أنواع السرطان وأن شيفرة الجينات الوراثية Genes Code هي التي تصنع البروتينات Proteins وهي التي تعطي الإشارات الكيمائية التي توجه الخلية بكل دقة خلال نموها وتطورها .

وبما أنه قد ثبت بأن السرطان نمواً شاذاً أو غير عادي للخلية abnormal cell grouth فإنه يبدو منطقياً أن نفترض بأن الجينات الطبيعية في الخلايا كانت تتشوش بطريقة ما غير معروفة ، ولكن لم يستطع العلماء إلى الآن رغم تقدم وتطور الأجهزة والأبحاث أن يتعرفوا أو يتمكنوا من الإمساك بهذا المشوش المجهول . والإشارة الأولى التي دلت على وجود هذه الجينات الشاذة في الخلايا التي تسبب حدوث السرطان جاءت من الدراسات والتجارب التي أجريت على (**الفيروسات Viruses**) وليس على الإنسان ، ومع بعض الاستثناءات فإنه **لا توجد حتى الآن سرطانات إنسانية تسببها الفيروسات ، ولكن بعض الفيروسات وخاصة النوع الذي يعرف باسم (الفيروسات الارتكاسية retroviruses) تسبب بعض السرطانات ولكن في الحيوانات فقط** ، ولما كانت الفيروسات تتشكل بكاملها تقريباً من المادة الوراثية genetic material فهي مرشحة بقوة لتكون موضع اهتمام ودراسات العلماء المستقبلية .

ففي بداية عام (١٩٧٠ م) ، استطاع العلماء الباحثون في **جامعة جنوبي كاليفورنيا وجامعة كاليفورنيا (بيركلي)** في إحدى تجاربهم على فيروس يسبب السرطان في الدجاج انتزاع إحدى الجينات التي أوقف انتزاعها السرطنة carcinogenic ، وسميت هذه الجينة المنتزعة بـ (جينة SRC) ، وبدا بوضوح أنها الجينة المتحولة (**الأنكوجين oncogene**) التي تسبب السرطان في الدجاج .

وقد وجد فيما بعد علماء الأحياء المجهرية Microboplologist (**هارولد فارمس Harold Varmus**) و (**ميشيل بيشوب Michael Bishop**) و (**دومينيك ستيهيلين Dominiøe Stehelin**) من جامعة كاليفورنيا (سان فرانسيسكو) في الإنسان جين مسرطن مشابه للأنكوجين المسرطن في الدجاج (SRC) ودعي هذا الجين بالأنكوجين البدئي (البروتو أنكوجين proto - oncogene) وذلك بسبب قدرته المفترضة في إحداث السرطان . . وللتاريخ ، فإنه قد اكتشف حتى الآن حوالي (٢٠) من الأنكوجين المختلف في الفيروسات الارتكاسية ، وجميعها تقريباً لها نظائر counterpart بروتو أنكوجينات في الخلايا الطبيعية وما هو المزيد بعد كل هذا؟ المزيد أن العلماء قد استطاعوا إثبات أن بعض الفيروسات تحصل على هذه الأنكوجينات المسرطنة بعد أن تسرق (البروتو أنكوجينات) من الحيوانات التي يلوثوها ويبدلوا تراكيبها .

وبعد هذه الاكتشافات الرائعة على الفيروسات برز السؤال الكبير الذي يقول **هل (الجينات المتحولة البدئية proto - oncogenes) الإنسانية هي المسببة للسرطان الإنساني؟**

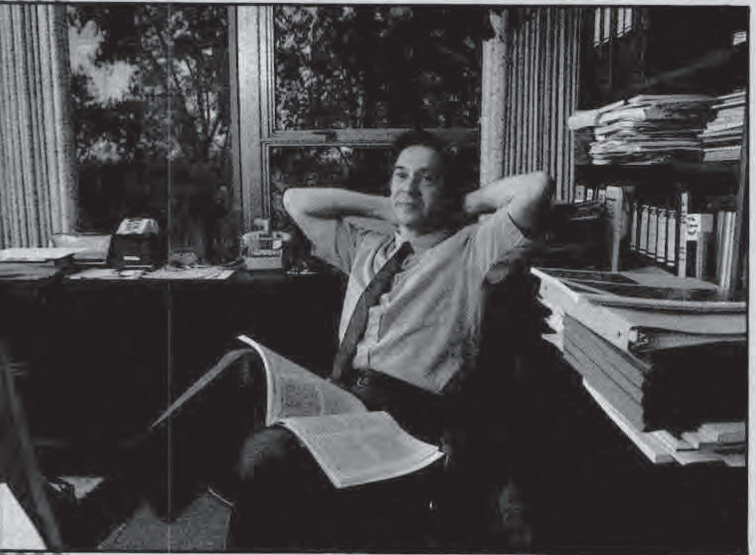
مجموعة العلماء برئاسة العالم الشهير (**روبرت وينبرغ Robert Weinberg**) من (MIT) والعالم (**ميشيل ويجلر Michael Wigler**) من **مختبرات جولد سبرينغ هاربر** حاولوا إيجاد الجواب الصعب ، وذلك بعد أن انتزعوا الـ (DNA) ـ وهي المادة الوراثية النووية التي تتشكل منها الجينات ـ من خلايا سرطان المثانة bladder الإنساني وحقنوها في خلايا فأر سليمة ، ثم وضعوا هذه الخلايا المحقونة بالـ (DNA) المسرطن في أنابيب اختبار لتتابع نموها ، وبالفعل فقد تم ما هو متوقع وتحولت خلايا الفأر السليمة المحقونة إلى خلايا سرطانية . . وبعد اختبار أجزاء أدق وأدق من تركيب الـ (DNA) استطاع العلماء بإعجاز مدهش أن يحددوا بدقة تامة (الجين gene المسؤول عن إحداث السرطان) ، وكان هذا (الأنكوجين oncogene) صورة مشابهة لأنكوجين بدئي معروف للعلماء سابقاً ، وقد اكتشف وعين منذ ذلك الحين وحتى اليوم الكثير من (الجينات المحولة oncogenes) الإنسانية ، وجميعها تشابه (الأنكوجينات البدئية proto - oncogenes) ، ولكن الأنكوجينات البدئية بطبيعتها التي عليها لا تستطيع تحويل الخلايا السليمة إلى خلايا

سرطانية ، وهناك (شيء ما) يجب أن يحدث لها تخرج بسببه عن طبيعتها وتتحول إلى (أنكوجينات oncogenes) ، تسبب السرطان .

وللتاريخ .. فإن العلماء قد اقترحوا لهذا التحول الذي يبدل (الأنكوجين البدئي) غير المسرطن إلى (أنكوجين بدئي) مسرطن ثلاث عمليات مختلفة يمكن أن تجري في الخلايا ليحدث هذا التبدل .

(١) **العملية الأولى :** تبدأ من الحقيقة التي تقول إن (الجينات) تتشكل من جزيئات أصغر تدعي (النكليوتيدات nucleotides) وهذه هي الألواح البانية للمادة الوراثية في نواة الخلية الـ (DNA) ، وتنتظم فيها مثل انتظام حبات اللؤلؤ في العقد ، والترتيب المنظم الدقيق المتتابع لتلك النكليوتيدات هو شيء هام جداً للمخطط التنفيذي وبرنامج العمل الذي توضع أسسه وترسم خطوطه في الـ (DNA) في نواة الخلية ، ويرسل كشيفرة وراثية genetic code مرمزة وبترتيب **الكودونات codones** الثلاثية (,UAG AAG, UGG) ، حيث يلتقط كل كودون ثلاثي منها حامض أميني من الأحماض العشرين ، ولترصف هذه الأحماض الأمينية بجانب بعض في عملية صنع البروتينات Proteines في سيتوبلاسما الخلية ، وأي خلل ولو مهما كان بسيطاً في تتابع وانتظام هذه الترتيبات المنظمة الرائعة البديعة ، وذلك كأن يحل نكليوتيد واحد محل آخر مثلما يحدث مثلاً في العملية التي تدعى (**الطفرة الفعالة apoint mutation**) ، سينتج بروتين معيب فيه خلل يمكن بخلله البسيط هذا أن يحدث التسرطن والسرطان في الخلية . وعندما قارن العلماء الباحثون في (MIT) **ومعهد السرطان القومي الأمريكي (NCI)** ومختبرات شركة (ميرك Merk) أنكوجينات oncgenes أخذت من سرطان المثانة بـ (بروتو أنكوجين proto - oncogen) مماثل ، وجدوا أن الاختلاف بينهما لا يتعدى ترتيب نكليوتيدة واحدة ، كأن تحل (A) محل (G) مثلاً ، وهذا كان شيئاً خطيراً جداً على مستوى الخلية ، لأن هذا الاختلاف البسيط غير التتابع المنتظم لجميع النكليوتيدات والكودونات الثلاثية ، وغير بالتالي التتابع الذي سيصنع البروتينات بحسب الشيفرة الوراثية المرسلة من (جين gene) المثانة ، وفي العام الماضي وجد العالم (**ماريانو بارباسيد Mariano Barbacid**) من (NCI) وعلماء آخرون (طفرة فاعلة) مشابهة في ورم tumor مريض سرطان بالرئة .

(٢) **والعملية الثانية :** تتضمن نموذج آخر من التحول الوراثي يدعى (**النقل الكروموسومي achromosomal translocation**) ويحدث أثناء عملية الانقسام في الخلايا ، وفي أثناء هذا النقل يتبادل الكروموسومان المختلطان ببعض قطعاً صغيرة من المادة الوراثية التي تكونها ، ويؤكد العالم (كارلو كروس) على أن **سرطان بوركت اللمفاوي** يظهر عند الأطفال عندما يحدث هذا التبادل الكروموسومي النقلي في الخلية ، فأثناء هذا النقل الكروموسومي يتحرك (البروتو أنكوجين) الذي يدعى (MYC) من موقعه الطبيعي على أحد الكروموسومات إلى مكان جديد على الكروموسوم الآخر ، ويأتي العالم (كروس) بنظرية جديدة تقول إنه نتيجة لهذا النقل الكروموسومي فإن البروتو أنكوجين (NYC) يقوم بانتقال غير ملائم متحول كل الوقت ، وإذا تمكن جين الـ (MYC) من السيطرة على عملية تكاثر الخلية (ونحن نظن بحدوث هذا) فعلينا تخيل السيناريو المحتمل لقدرة هذا الجين



★ عالم الأوبئة (بيتر جرين وولد) ★

المستمرة على التغيير والذي سيجعل الخلية تنمو باستمرار ودون توقف ، وهذه هي آلية mechanism حدوث السرطان الحقيقية .

(٣) **العملية الثالثة :** تدعى (التوسيع amplification) ، فللخلايا عموماً قدرة غامضة على التضخم amplify ، أو صنع نسخ متعددة من الجينات ، وهكذا بدلا من أن تصنع الخلية نسختين طبيعيتين من كل جين ، يمكن أن تصنع المئات منها ، وفي العام الماضي قررت مجموعة من العلماء من جامعة (سان فرنسيسكو) بأن ورم سرطان القولون Colon Cancer tumor فيه من (٣٠ ـ ٥٠) طية fold زيادة في البروتو أنكوجين (MYC) فيه ، وقد اكتشف في العام الماضي على الأقل اثنان من هؤلاء البروتو أنكوجين المتضخمان واللذان يسببان أوراماً سرطانية مختلفة .. وعليه ، فما الذي يسبب كل هذه التشوشات الوراثية genetic Mispus ويجعلها تحدث في المقام الأول ؟ في شهر فبراير (شباط) الماضي قال العالم (**دايفيد بالتيمور David Baltimore**) من معهد وايتهيد للأبحاث الطبية الحيوية ـ أمريكا ـ والحائز على جائزة نوبل في الطب : « إننا متأكدون تماماً بأن أي شيء يستطيع أن يبدل من تركيب الـ (DNA) في أنوية خلايا الثدييات Mammalian تكون عنده الإمكانية لإنتاج الأنكوجينات oncogenes المسرطنة وإحداث السرطان ، والجينات المسرطنة carinogens والإشعاع radiation بإمكانها أن يفعلا ذلك » .

عشرون عاماً .. من الاختفاء

يدور حالياً جدل كثير حديث بين علماء كثيرين حول قصة هذه (الأنكوجينات) المكتشفة ، فبعض هذه الأنكوجينات تصنع بعض البروتينات التي تظهر مرتبطة إلى الجزيئات الطبيعية في الجسم ، حيث تثير هذه بدورها عملية النمو growth في الخلية ، وعلى الأقل في بعض الحالات يلزم الأمر أكثر من (أنكوجين oncogene) واحد ليسبب حدوث السرطان في الجسم ، والعالم (**ويينبرغ**) والعالم (**ايرل روليي Earl Ruley**) من (جولد سبرينغ هاربر) والعالم (**جيوفري كوبر Geoffrey Cooper**) من معهد (دانا

فاربر) للسرطان في بوسطن ـ كان هؤلاء العلماء قد تمكنوا قبل عامين من عزل الجينات التي تسبب عدة أنواع من السرطانات الإنسانية . . وكان كشفاً كبيراً حينها ـ يقولون إن هذا يكون حقيقة في مواقع عديدة للأنكوجينات ، وإن هذا فعلاً هو الذي يحدث عند نمو وتطور السرطانات الإنسانية ، وإن العديد من هذه السرطانات يأخذ أكثر من (٢٠) عاماً أو أكثر حتى تظهر أعراضه في جسم صاحبه ، وحتى لو استطاع (بروتو أنكوجين) واحد تبدل ليصبح مسرطناً مبكراً في جسم صاحبه خلال حياة الإنسان المديدة ، فإن السرطان لن يبرز إلى السطح ويكتشف في الجسم حتى يتبدل (بروتو أنكوجين) ثاني وثالث ، وعندها تحدث الفوضى في خلايا الجسم ويحدث التسرطن وينشأ السرطان .

معرّضون للسرطان

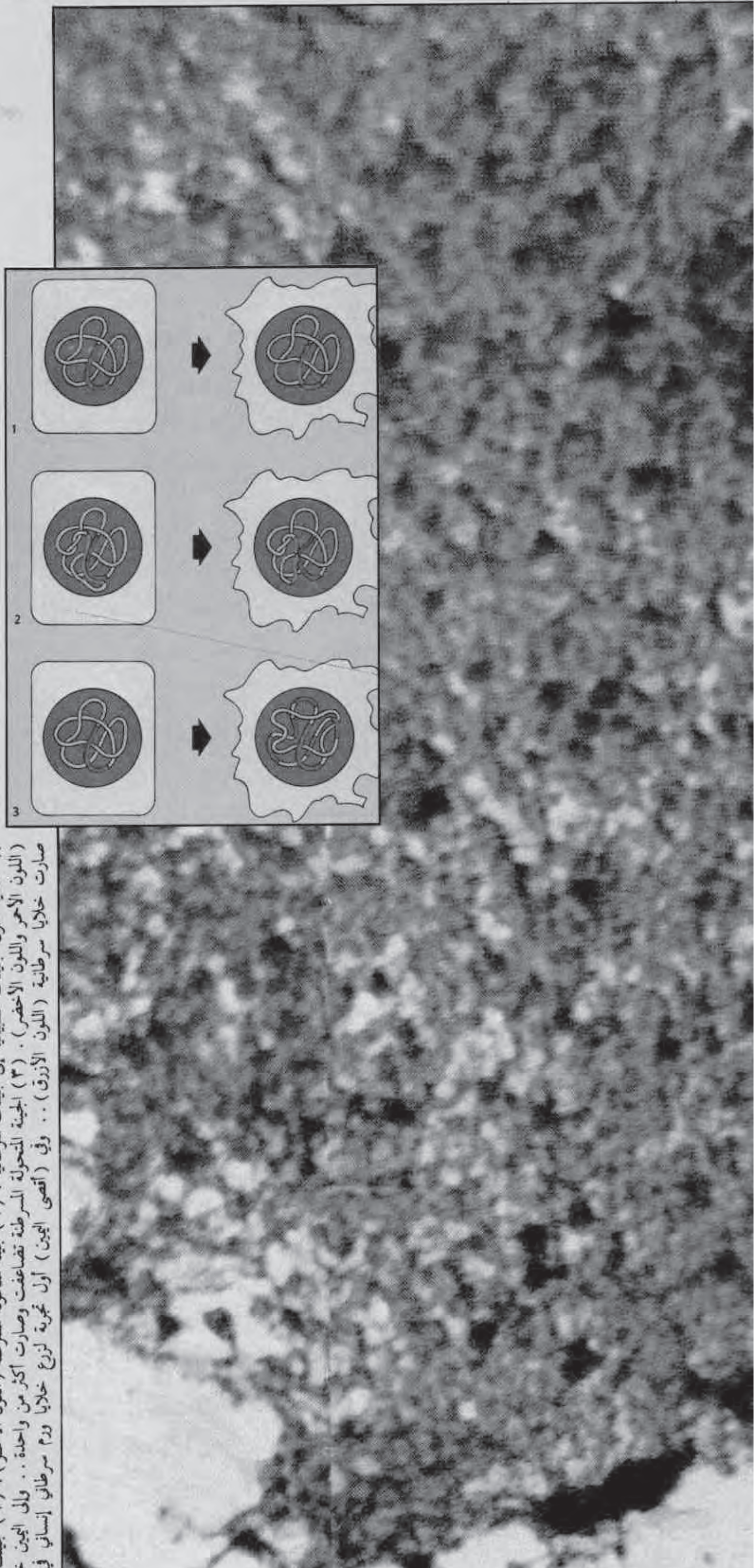
يقول العالم **(بول ماركس Poul Marks) رئيس مركز ميموريال سلوون كيتيرنغ Memorial sloan - Kettering في مدينة نيويورك** إن السرطان ليس عملية حدوث واحدة ، بل هو عملية متعددة الخطوات تتبع في عملها نظاماً وترتيباً ومنهجاً معقداً ومدروساً على أدق وأعلى المستويات ، والتوريط الواقعي الذي انساقت إليه الاكتشافات المبهرة الحديثة أنها أكدت من خلال أعمالها الحقيقة القائلة (إن السرطان إنما وجد ليبقى) ، هذا ما يقوله العالم (ماركس) الذي يضيف إلى كلامه الواقعي الصريح جداً هذا قوله :

« إننا جميعنا نملك في أجسامنا (بروتو ـ أنكوجينات Proto - oncogenes) ، ونحن جميعنا معرّضون ومكشوفون للعوامل التي تستطيع التأثير فينا وتسبب لنا الطفرات mutations التي تسبب السرطانات ، ولن تجتث جذور السرطان ويقضى عليه طالما بقيت الحياة موجودة على ما هي عليه ، وبأشكالها التي نعرفها عليها اليوم ، والشيء الوحيد الفعال الذي يجب علينا فعله لنتجنب هذا المصير المؤلم هو أن (نكتشف السرطان في مراحله المبكرة) ، وعندها فقط نستطيع أن نتمكن منه ونقضي عليه ، وهذا هو سبيلنا الوحيد اليوم للقضاء على السرطان بمختلف أشكاله » .

وفي الحقيقة فإن معظم العلماء يوافقون على ما جاء به العالم (ماركس) ، ويحددون إضافة لذلك عملين يجب أن يتما ليتمكنوا من إنقاذ حياة الناس من هذا الداء الأخطر على حياة البشرية منذ وجدت .

(أولا) : عليهم أن يهتدوا للسبل العلمية الصحيحة والدقيقة لكشف السرطان قبل أن يتضخم ويكبر ورمه ويتوسع وينتشر وينبت في كل الجسم ويصبح مهلكاً مميتاً لا سبيل لتعقبه وملاحقته والقضاء عليه داخل الجسم مهما حاولوا .

(الثاني) : أن يبتكروا علاجات ذات مستويات عالية في التقنية والسلامة ، وعلاجات السرطان الحالية كالإشعاع والمعالجة الكيميائية ليست على هذا المستوى الذي نذكره ، ذلك أنه حين يدمر الإشعاع الخلايا السرطانية فإنه يدمر معها خلايا الجسم الأخرى السليمة ، إضافة إلى أنه يكون للعلاجات الكيميائية تأثيرات جانبية مضرة كثيرة مثل الغثيان وفقد الشعر ، وأحياناً توصل هذه التأثيرات الجانبية الضارة المريض إلى الموت .



★ عملية تحول الجينات الطبيعية إلى جينات سرطانية . (١) جينة متحولة مسرطنة (اللون الأحمر) . (٢) جينتان متحولتان (اللون الأحمر واللون الأخضر) . (٣) الجينة المتحولة المسرطنة تضاعفت وصارت أكثر من واحدة . وإلى اليمين خلايا طبيعية صارت خلايا سرطانية (اللون الأزرق) . . وفي (أقصى اليمين) أول تجربة لزرع خلايا ورم سرطاني إنساني في فأر ★

ويقول العالم (**روبرت أولدهام Robert Oldham**) مدير معهد المعالجة الحيوية في (فرانكوفر) : « بالتأكيد إن نسبة البقاء على قيد الحياة لمرضى السرطان هي الآن بحدود الـ (٥٠ ٪) ، ولكننا ما زلنا بحاجة لخطوات أكبر في سبيل شفاء المزيد من الناس ومع سمّية أقل للجسم ، وهدفنا المحدد يجب أن يكون تدمير خلايا السرطان فقط دون أذية الخلايا السليمة للجسم ، ولكن مع ذلك تبق خلايا السرطان خلايا عاصية غادرة مخادعة في أجسامنا ، وهكذا فإنه علينا أن نواجه مشاكل ومصاعب كبيرة ، إذ علينا تدمير بعض خلايانا وعدم فعل هذا مع خلايا أخرى مجاورة ، ولو قارنا قصة نضالنا ضد السرطان بقصة نضالنا ضد مرض الملاريا أو شلل الأطفال مثلاً ، لرأينا أن معالجة هذين المرضين الأخيرين كانت سهلة نسبياً ، فالتعضية organism التي تسبب هذه الأمراض ليست جزءً من داخل الجسم ، بعكس آلية وتعضية السرطان التي تتم كلها في داخل الجسم ، وإن الاكتشافات الحديثة التي أثبتت أن (الجينات genes) هي التي تسبب السرطان للإنسان تفتح الباب واسعاً لاكتشاف واستنباط أنواعاً جديدة من العلاجات الحيوية المؤثرة الفعالة المبنية على فهم جديد متمكن لآلية السرطان في الجسم ، وإنه سيكون بإمكاننا بعد الفهم الجديد لهذه الآلية المعقدة أن نتخلص من هذه (الجينات المتحولة oncogenes) أو نعمل على إصلاحها وتبديل فعلها المسرطن ، وبما يناسب عمليات المعالجة والقضاء على السرطان ، ولكن هذا أيضاً قد يخلق لنا مشكلة اختيار عويصة ، فالجينات هذه توجد بشكل طبيعي في خلايانا ، ومن المحتمل أننا لن نستطيع الحياة إن فقدناها ، ولذا فإنه يجب علينا أن نتعلم أيضاً كيف يمكننا أن نتخلص من هذه الجينات المسرطنة ، ولكن يجب علينا أن نتعلم قبلها كيف نتخلص من الموجود منهن في الخلايا السرطانية فقط . . وأعتقد أن تحقيق هذا شيء صعب جداً علينا الآن » . . هكذا يقول العالم (كروس) . . وهذا رأيه .

قهر السرطان ذاتياً

واحد من الوعود الآملة الكبيرة التي قد يمكن تحقيقها قريباً هي إمكانية علاج السرطان وقهره (ذاتياً) ، فبدلا من الإضرار بخلايا الجسم السليمة وتسميمها ، كما يجري في العلاجات التقليدية الحالية ، يمكن تتبع خطوات خلايانا ومراقبة آليتها الطبيعية لنشاهدها ونتعلم منها كيفية مقاومتها لخلايا السرطان وكيف تناضل ضد شراستها ، ويكون من الأفضل لنا العمل على تقوية دفاعات الجسم الذاتية هذه ضد السرطان ، وهذه الدفاعات تتمثل بهيكلية النظام المناعي the immune System الذاتي الجسمي ، ويقول العالم (أولدهام) : « ما دامت جميع أجسامنا تحوي الجينات المتحولة (الأنكوجينات) ، وما دامت الكائنات الإنسانية بأجمعها تعيش لسنين عديدة دون أن ينمو السرطان في أجسامها ، فمن الأفضل مراقبة خلايانا لنرى كيف تستطيع مقاومته خلال هذه الفترة الطويلة ، وكيف تمنع نموه ، ومن عملها الطبيعي الفعال هذا قد نتعلم شيئاً ما يفيدنا في أبحاثنا » .

ويتشكل الجهاز المناعي في جسم الإنسان من نظام خلوي واسع منتشر ، يقوم بدور الخفارة والحراسة الداخلية لمراقبة أية كائنات حية أو أي عوامل غريبة عن الجسم تحاول الدخول إليه وإفشاء الأمراض فيه أو تلويثه ، مثل الفيروسات Viruses وبعض البكتيريا فتدمرها وتقضي عليها ، والخلايا المناعية immune cells تستطيع تمييز الغزاة ناشري الأمراض في الجسم بواسطة استعمال جزيئات دقيقة جداً تسمى (**الأنتيجينات antigenes**) ــ مولّد الضد (المستضد) ــ تبرز من على سطوحها ، ومع أنه لخلايا الجسم الأخرى أنتيجيناتها أيضاً ، إلا أن الأنتيجينات التي تكون على سطوح الخلايا الغريبة عن الجسم لها أشكال مغايرة مختلفة تستطيع خلايا النظام المناعي تمييزها وكشفها بسهولة ، وحالما تكتشف الخلايا المناعية هذه الأنتيجينات الغريبة يقوم البعض منها بصنع جزيئات كبيرة من البروتين تدعى (**الأجسام المضادة antibodies**) حيث تلتصق وتتشابك بإحكام قوي متين مع هذه الأنتيجينات الغريبة ، وبمساعدة خلايا مناعية أخرى وأسلحة كيميائية حيوية مفرزة تستطيع هذه الأجسام المضادة تدمير الغزاة المتطفلين وتخليص الجسم من الأوبئة والأمراض .

ويعرف العلماء الباحثون الآن أن للخلايا السرطانية أنتيجيناتها الخاصة أيضاً ، وهي في بعض أنواع السرطان تختلف نوعاً وشكلاً عن أنتيجينات الخلايا الطبيعية ، وهكذا يكون باستطاعة النظام المناعي للجسم البحث حواليه واكتشاف وتدمير الخلايا السرطانية التي تكون في طور النشوء اليافع ولم تنضج بعد لتصبح خلايا مهلكة مميتة ، ومن المحتمل جداً أن تنتج أجسامنا خلايا سرطانية كلما تقدمنا في العمر ، ولكن هذه الخلايا السرطانية يقضي عليها النظام المناعي دون أن نشعر وبآلية لا نعرفها مجهولة بالنسبة لنا حتى اليوم ويتمنى العلماء تعلمها ، ومن المحتمل أيضاً أنه عندما لا يستطيع الجهاز المناعي تأدية واجبه فإن السرطان يبث جذوره وينشر فروعه المتشعبة داخل الجسم ، وبما أنه بات بمقدور العلماء الآن تصنيع عناصر الجهاز المناعي الطبيعية مثل الأجسام المضادة والأنتيجينات في خطوة جريئة مدهشة للعلم لم يسبق لها مثيل ، فالأمل كبير بأن تتمكن هذه العناصر المناعية الصناعية إذا ما أدخلت في الجسم من أن تكافح ضد السرطان وتقضي عليه ، وذلك بعد أن تحث وتقلد عمل النظام المناعي تماماً ، وسمّى العلماء هذه الأجسام المضادة (الصناعية) بـ (**المونوكلونال Monoclonals**) أو اختصاراً بـ (MABS) ، وقد صنعت لتقاوم وتقضي على أنواع معينة من السرطان سبق وصممت من أجلها ، وتُدخل هذه الأجسام المضادة الصناعية (MABS) إلى الجسم بالحقن أو بدمجها مع عقار مضاد للسرطان للحصول على قوة تدمير عالية للسرطان ، وهذه الأجسام المضادة الصناعية ما تزال في الطور الاختباري التجريبي ، وقد استخدمت في تجارب متطورة جداً لتدمير الأورام السرطانية المزروعة في فئران تجارب ، وسجلت نتائج مدهشة ملفتة للنظر ، وذلك في مؤسسة الأبحاث في (لاجولا La Jola) وفي (سكريبس كلينيك Scripps clinic) ، كما استطاع العلماء في **جامعة (ستانفورد)** القضاء على سرطان لمفاوي متأصل في عجوز عمره (٦٧) عاماً بواسطة معالجته بهذه الأجسام المضادة الصناعية ، كما استخدموها في علاج طفل مصاب **بسرطان اللوكيميا leukemia** (ابيضاض الدم) بنجاح كبير ، وينشغل الآن علماء **مركز (سلاون كيتيرنغ) و (NCI)** في الخطوات الأولى للتجارب على الإنسان ، ويخطط العلماء حالياً لاستعمال هذه الأجسام المضادة الصناعية ضد سرطان الجلد وسرطان خلايا الدم البيضاء والقضاء عليها نهائياً .

وقصة هذه (الأجسام المضادة الصناعية) لم تنته فصولها بعد، فمن دورها العلاجي الهام انتقل العلماء بها إلى ميدان الكشف المبكر عن السرطان والقضاء عليه قبل نموه وانتشاره، وسيعملون على حقن هذه الـ (MABS) التي ستعلّم بجزيئات إشعاعية في جسم المريض، ثم يفحص هذا الجسم ويمسح بأكمله بكل دقة بواسطة آلة تصوير خاصة، وسيكون بإمكانهم بعد كل هذا ملاحظة خلايا السرطان النامية حديثاً والصغيرة جداً التي تكون في بدايات تشكلها وتجمعها البسيط، والتي كان سابقاً من الصعب جداً كشفها بطرق الفحص التقليدية المستعملة حالياً، وكمثال، فإن العالم **(آلان إبستين Alan Epstein)** من جامعة (نورث ويستيرن) قد تمكن من صنع وتطوير جسم مضاداً صناعياً استخدمه حديثاً جداً في مختبرات شركة Techniclone international في (لاجولا) لكشف **سرطان نخاع العظام Bone - Marrow** الذي يستحيل كشفه بواسطة أشعة (X)، ويعمل **العالم (إبستر)** الآن على صنع وتطوير أجسام مضادة صناعية تستطيع الكشف عن سرطان العقد اللمفاوية lymph Nodes وعن **سرطاني الرئة والثدي**.

وأخيراً.. فإن صنع الأجسام المضادة الصناعية (MABS) سيقدم لنا الوسيلة الناجعة لتثبيت نوع جديد متطور جداً من التشخيص السليم المبكر للكشف عن السرطان، ويوماً ما هو قريب سيكون إجراء اختبارات دم روتينية بسيطة قادراً على تنبيه الطبيب المعالج إلى وجود بدايات نشوء السرطان في الجسم حتى قبل أن تتطور الأعراض السرطانية وتظهر على السطح، كما سيمكن استخدامها أيضاً لمعرفة ما إذا كان بإمكان السرطان أن يعود ثانية في جسم مريض عولج وشفي منه، ذلك أن بعض الأورام السرطانية تزلق أنتيجيناتها إلى تيار الدم الجاري في أوعية الجسم، وبمزج جسم مضاد صناعي (MAB) معيّن مع عينة من هذا الدم المسرطن سيتمكن الطبيب المعالج من اكتشاف وجود هذه الأورام السرطانية مبكراً في الجسم، وسيعمل حينها على استئصالها بكل سهولة.

وقد طورت حديثاً شركة (سينتوكور Centocor) في مالفيون (بنسلفانيا) اختبارات دم يمكن بواسطتها الكشف بسهولة عن منشأ **سرطانات الكبد والبانكرياس والمعدة والمبيض**، ولم تنل هذه الاختبارات بعد الموافقة الرسمية من الهيئات الطبية الأمريكية لاستخدامها سريرياً Clinicaluse، وهي حتى الآن ما تزال اختبارات تجريبية تجرى بهدف الأبحاث، وإن كانت اختبارات ناجحة جداً.. والأمل كبير أن تعمم اختبارات الدم هذه قريباً جداً، وأن يُعمل على استخدامها في العيادات الطبية والمستشفيات كوسيلة ناجحة جداً وسهلة للكشف المبكر عن جميع أنواع السرطان، وذلك من خلال زيارات المرضى النظامية المعتادة للطبيب، ولا يقف الآن في سبيل انتشار هذه الاختبارات إلا التأكد من أنها ستحقق نجاحاً كبيراً في سبيل الكشف المبكر عن السرطان في مراحل تكونه البدئية، وأن تكون نسبة النجاح تامة تعادل الـ (١٠٠٪)، وهذا ما يعمل العلماء الآن على تحقيقه، وإذا ما تم هذا بكماله، فسيكون العلم قد حقق أكبر نصر علمي على أخطر داء عرفته البشرية.

ويقول **العالم (جورج تودارو George Todaro)** المدير العلمي للأنكوجين في شركة (سياتل) الأمريكية التي تقوم بأبحاث نشطة على الـ (MABS): **«إذا ذهبت لعيادة الطبيب فاعطه المعلومات الكاملة الصحيحة عن جسدك وعن جميع الأعراض التي تنتابه بكل دقة، ولا تتساهل أو تخفي أي شيء مهما بدا بسيطاً بنظرك، وذلك حتى يكون تشخيص الطبيب لمرضك صحيحاً تماماً، وينقذك من هذا الداء الخبيث مبكراً إن وجد في جسمك لا سمح الله»**.

اكتشافات جديدة

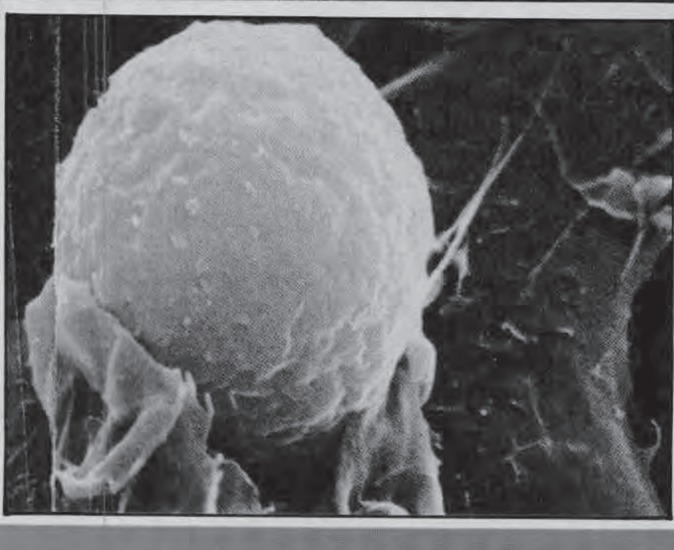
يقول عالم الأوبئة epidemiologist **(بيتر جرين وولد Peter Greenwald)** مدير شعبة منع السرطان والقضاء عليه في **معهد السرطان القومي الأميركي (NCI)** إن أكثر من (٣٥٪) من الذين يموتون بالسرطان في أميركا يكون الغذاء الذي يتناولونه سبب إصابتهم بالسرطان، وقد دعمت نتائج ثلاث دراسات حديثة هذا الرأي الأكيد لهذا العالم، وإن لم يتفق العلماء الباحثون على أي العناصر الغذائية هي الأكثر أهمية، إلا أن **هناك اتفاقاً جماعياً في الرأي بينهم على أن القليل من الطعام والإكثار من أكل الخضروات Vegetables والفواكه fruits والحبوب المختلفة الكاملة (قمح، شعير، أرز، ذرة،...) grain Cereals فيه كل الإفادة لمنع الإصابة بالسرطان**، وقد أوصت **جمعية السرطان الأميركية بأن الملفوف Cabbage والكرنب المسوق bruseles sprouts والقرنبيط والبركولي** (نوع من القنبيط)، وجميع عائلة **نبات الخردل mustard** ربما تساعد على منع حدوث السرطان في جسم الإنسان، **ولكن.. كيف تمنع هذه الأغذية الإصابة بالسرطان؟** هذا ما لم يتضح بعد للعلماء، لكنهم يخمنون بأن ما تحتويه هذه الأغذية من ألياف fiber وفيتامينات ربما يكون هو المؤثر في منع الإصابة بالسرطان هذه.

ويعتقد العالم في علم العقاقير **(إرنست بيودنغ Ernest Bueding)** من جامعة (جون هوبكنز) الأميركية بأنه وجد سلسلة من مركبات الكبريت Sulfur تدعى (الـ dithiolthiones) ربما كان فيها مفتاح سر هذا الأمر، فالبعض من هذه المركبات يوجد في الخضروات ويبدو أنها تعزز enhance وتقوي آليات الدفاع الطبيعية في أجسام الكائنات الحية ضد السرطان وذلك بعد أن تزيد من مستويات (الفلوتاتيون) وهو عنصر مزيل للسمية، وأيضاً بحثها للنشاط الإنزيمي في الجسم.

وقد أثبت العالم (بيودنغ) بعد تجارب كثيرة على الفئران والجرذان بأن الإنزيم enzyme الناقل للفلوتاتيون يحفز رد الفعل عند الفلوتاتيون عندما ينلمج معه، ويؤيض (يستقلب Metabolizes) الجينات المسرطنة Carcinogens، وتكون النتيجة طرحها من الجسم عن طريق البول.

وتساعد مركبات الـ (dithiolthiones) على جعل بعض معالجات السرطان أكثر أماناً، فعندما يعالج الورم السرطاني بالإشعاع تفرّق الفوتونات **(الفوتون Photon وحدة التحكم الضوئي)** بين جزيئات الماء في الخلايا وتوجد جسيمات مشحونة وجذرية (أساسية)، وهذه أجزاء فردية تمتلك إلكترونات مفردة، وفي بحثها لاسترداد إلكتروناتها واستكمال مداراتها تقوم هذه





الجسيمات الأساسية بردود فعل قوية تحطم بها الروابط الجزيئية **Molecular bonds** وتدمر عناصر أساسية كثيرة من مكونات الخلية الحية كالـ (**DNA**) مثلاً ، وهذا هو التأثير الفعال الذي يطلبه العلماء لتدمير مكونات الخلية السرطانية ، وبالتالي القضاء على السرطان في جسم الإنسان ، ولكن مع الأسف فإن هذا يضر بالخلايا الطبيعية الأساسية أيضاً ، ويبحث العلماء عن حل لهذه المشكلة .

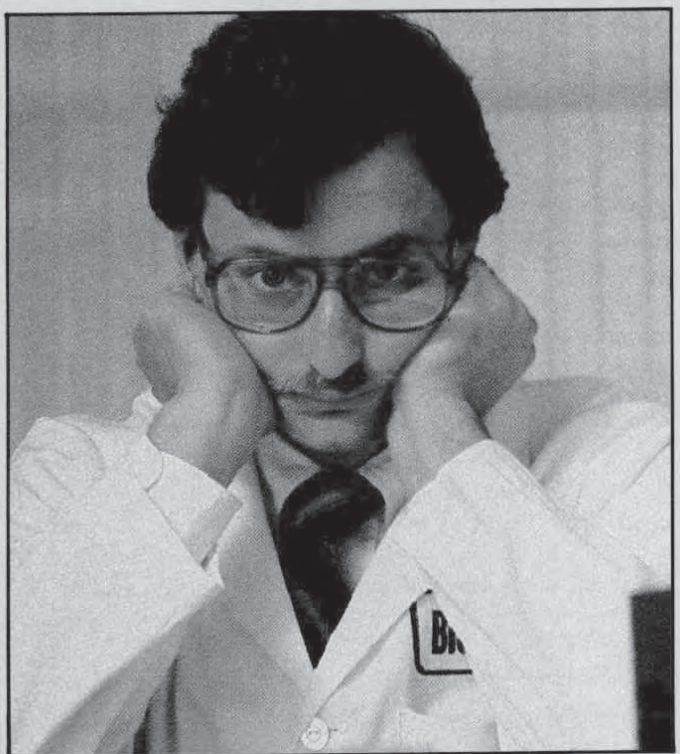
ويكون (الفلوتاتيون) المنظف الأساسي في الجسم وذلك لأنه يمنح الأسس المتعادلة في الجسم الإلكترون الذي تحتاجه ، ولأسباب غير معروفة حتى الآن فإن مركبات الـ (*dithiolthiones*) لا تعزز نظم الحماية في (الخلايا السرطانية) كما تفعل في الخلايا الطبيعية ، وربما تكون هذه الميزات ذات فائدة في المعالجة الكيميائية للسرطان ، وبعض العقاقير المضادة للسرطان التي تدعى بـ (**عوامل ألكيل Alkylating agent**) والتي تمنع نمو الورم السرطاني بعد أن تعمل على ربط جديلتا الـ (*DNA*) *DNA,S strands* سوية في نواة الخلية السرطانية ، وهذا الربط يمنع الخلية السرطانية من أن تضاعف نفسها ، وبالتالي يمنعها من الانقسام والتكاثر فيقضي عليها وعلى السرطان الذي كان يمكن أن يحدثه تكاثرها ، ولعمري فإن هذا عمل عظيم رائع يفخر به العلم لولا أن (عوامل ألكيل) هذه تدمر النسج السليمة في الجسم أيضاً ، وذلك بمثل ما يفعل الإشعاع المؤين الذي يوجد طفرات جديدة في الخلايا ، بينما (الفلوتاتيون) لا يؤذي النسج السليمة في الجسم ، ولا يتعارض وجوده مع فعالية العقاقير المطلوبة ضد السرطان .

الدهون .. والسرطان

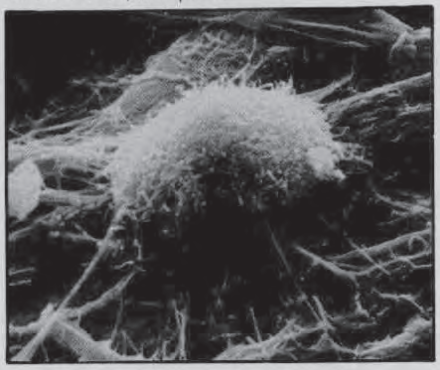
أظهرت دراسات حديثة بأن انتشار بعض أنواع السرطان بما فيها سرطان الثدي يكون قليلاً نسبياً بين الناس الذين تكون نسبة الدهون منخفضة في غذائهم ، وينصح معهد السرطان القومي الأميركي (*NCI*) بأن لا تزيد نسبة السعرات الحرارية التي نزود بها أجسامنا يومياً والمحصلة من الدهون عن (٣٠٪) ، وقد خصص الـ (*NCI*) في العام الماضي (٤) ملايين دولار لدراسات حاولت أن تثبت ما إذا كان باستطاعة الأغذية ذات نسبة الدهون المنخفضة أن تمنع أو تثبط حدوث سرطان الثدي ، إذ إنه بات من المعروف أن المستويات المرتفعة من هرمون (**الاستروجين**) الأنثوي توجد حث مفرط في نسج الثدي وتؤدي لحدوث السرطان .. والآن فقط ظهرت إلى الضوء العلاقة بين الدهون والسرطان .

الوعـي الغذائـي

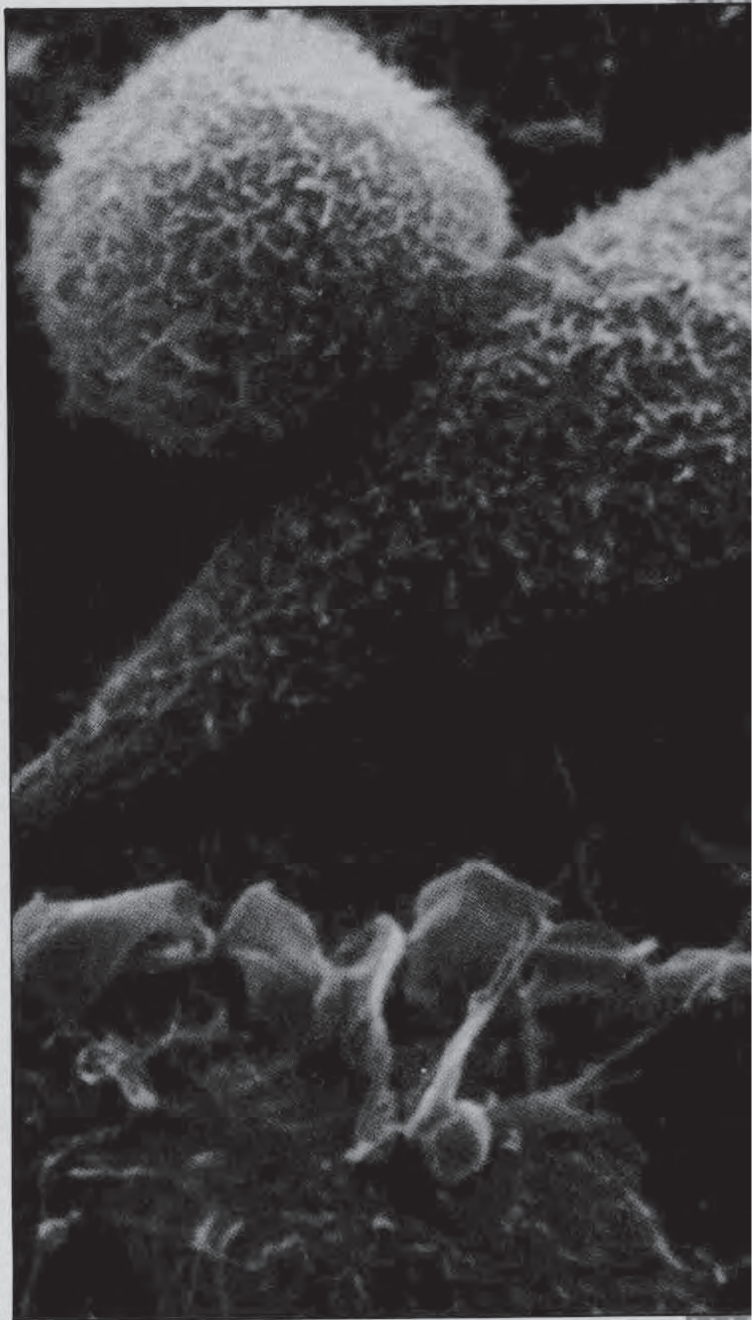
يشرح الدكتور (**دايفيد روز David Rose**) رئيس قسم التغذية وعلم الغدد الصم في مؤسسة الصحة الأميركية في (نيويورك) بعض هذه الارتباطات الممكنة فيقول إنه من الطبيعي أن يجري هرمون (الاستروجين) في تيار الدم وهو معلّق بمادة تدعى (الجلوبولين المرتبط بهرمون الجنس - sex hormone binding globulin) ، ولأسباب غير معروفة فإن **البدانة obesity** تنقص من مستويات مادة (الجلوبولين) هذه ، ويترتب على هذا أن

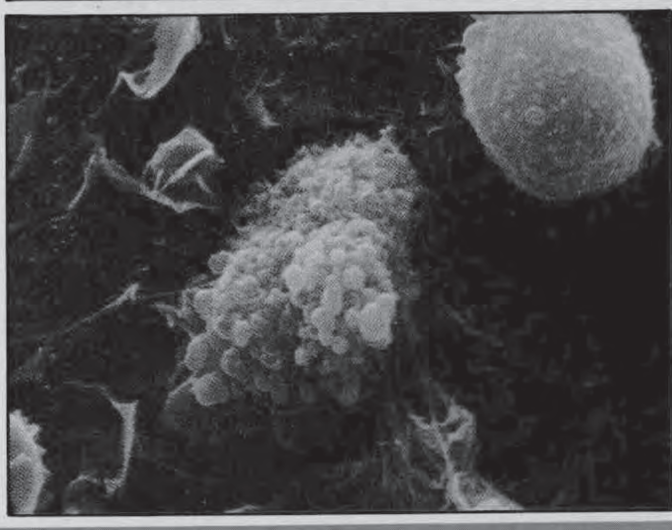


★ عالم الأورام (سيث ردنيك) ★



★ خلية سرطانية من فأر تهاجم زرعاً فيه خلايا طبيعية سليمة (الخلية المقببة التي لها زوائد متطاولة) ★





★ كريات الدم البيضاء التي تدعى (الماكروفاج) تهاجم خلايا سرطانية ، (تحت إلى اليسار) الخلية السرطانية أوشكت على الموت ، (تحت إلى اليمين) الخلية السرطانية وقد دمّرت وأتلفت تماماً ★

تتبقى كميات كبيرة من الاستروجين غير المرتبط بالجلوبولين حراً بلا قيد جارياً في تيار الدم ، إضافة إلى ما يتوفر من كميات إضافية منه والمفرزة من **الغدة الكظرية adrenal glands والمبيض** ، وما يتحول أيضاً من **الهرمون الكظري** (الآندرو ستينيديون *Androstenedione*) إلى هرمون الاستروجين بعد تحلل الدهون ، وبناء عليه فإن **المزيد من الدهون ينتج المزيد من (الاستروجين) ، وهذا يعطي الفرصة الكبرى للنمو السرطاني في الأثداء** ، هذا ما يقوله العالم **(روز)** الذي يشير أيضاً إلى أن هذا الاكتشاف الجديد إذا أضفناه إلى نتائج الإحصائيات على الناس الذين يتناولون أغذية ذات نسب منخفضة من الدهون تشير بقوة إلى أن **الدهون fat تؤخذ كعامل كبير وقوي مسبب لحدوث سرطان الثدي breast cancer** .

ويعتقد العالم (**دايفيد كريتشيفسكي David Kritchevsky**) من معهد ويستار في (فيلادلفيا) بأن تقدير أخذ كفاية السعر الحراري **Caloria** (الوحدة الحرارية) الكلية بحسب حاجة الجسم ربما يلعب دوراً هاماً جداً أكثر من الدهون في إحداث سرطان الثدي ، فالتجارب التي أجريت على الحيوانات

في السنين الخمس الأخيرة أظهرت أن الجرذان التي تأكل كميات غير محددة من غذاء نسبة الدهون فيه (٤٪) تكون نسبة الإصابة بأورام الثدي المحدثة كيميائياً فيها (٦٠٪) ، بينما الجرذان التي أعطيت غذاء فيه نسبة (٦٠٪) مما يكفيها من السعرات الحرارية وفيه نسبة (٨٪) فقط دهون لم تصب بأي أورام سرطانية . . ودراسات حديثة مشابهة على سرطان القولون أدت إلى نتائج متشابهة .

ويقول العالم (جرين وولد) إنه مع افتقارنا إلى نتائج حاسمة نهائية إلا أنني أعتقد مع ذلك بأن الوعي الغذائي المدرك خطوة في الاتجاه الصحيح للسلامة من كل مرض وأن كل إنسان بحاجة إلى أن يتعلم وينفذ المبادئ الغذائية الأفضل ليسلم من السرطان وغيره من الأمراض .

مادة لتدمير السرطان

حلم واحد يراود خيال العلماء في نضالهم الدائب الطويل ضد السرطان هو إيجاد الوسيلة الناجعة لتدمير الأورام السرطانية والقضاء عليها دون إيذاء النسج السليمة في الجسم ، وفي العام الماضي أعلنت شركتان أمريكيتان للتقنية الحيوية Biotechnology بأنها نجحتا بعمل تناسخ ذاتي (نسيلة) clone وإنتاج (مادة طبيعية) يفرزها الجسم اصطناعياً ، واستطاعت هذه المادة في تجارب على الفئران من أن تحدد خلايا سرطانية معينة وأن تحلّهم lyses (تفسخهم) ، أو بمعنى أصح أن تفككهم إلى أجزاء ، وسميت هذه المادة الطبيعية بـ (عامل تنكرز) [نَخَرٌ] الورمي tumor necrosis factor أو (TNF) ، وهذه المادة عبارة عن بروتين ينتجه الجهاز المناعي immune system للجسم بواسطة (الماكروفاج [بلعم] Macrophage) التي هي نوع من خلايا الدم البيضاء التي تدمر البكتيريا والجراثيم التي تغزو الجسم وتبتلعها ، ويقول عالم الأورام oncologist (سيث ردنيك Seth Rudnick) نائب رئيس ومدير تطوير علم تركيب الأدوية في شركة (النشوء الحيوي Biogen) إنه عندما تعطى (الماكروفاج) الحث stimulation اللازم فإنها تستطيع صنع مادة الـ (TNF) ، وليس من الواضح لنا تماماً كيف يحدث هذا الحث الطبيعي في الجسم ، ولكننا نعرف كيف نحدثه اصطناعياً ، وقد أنتجت شركة (بيوجن) هذه المادة الطبيعية اصطناعياً بعد أن أنتجتها قبلها بقليل شركة (جيننتيك Genentech وبعد أن أعلنت الشركتان الأمريكيتان عن إنتاج هذه المادة القاتلة للأورام السرطانية أعلنت شركتان يابانيتان هما (سيتس Cetus) و (أساهي Asahi) أنها قد أنتجتا أيضاً مادة الـ (TNF) اصطناعياً ، وتعمل الشركات التقنية الحيوية الآن على إنتاج مادة مشابهة تدعى (الليمفوتوكسين lympho toxin) لمقاومة السرطان والقضاء عليه .

وقد لاحظ العلماء ، منذ زمن طويل بأن تفسخ الأورام يحدث أيضاً عند مرضى السرطان المصابون بتلوثات infections خطيرة ، ففي عام (١٩٧٥ م) ، قام فريق من علماء مركز السرطان (ميموريال سلاون كيتيرنغ) في مدينة (نيويورك) بتصنيع مادة الـ (TNF) ، وذلك بعد حقن فئران مخبرية بالبكتيريا التي تنشط عمل (الماكروفاج) لتقوم بصنع هذه المادة ، ويقول العالم (ردنيك) إنهم بعد أسبوعين من هذا الحقن حشوا الماكروفاج الأولى بمادة الذيفان الداخلي endotoxin وهي مادة سامة تؤخذ من جدران الخلية البكتيرية ، وتدريجياً فيما بعد استطاعوا الحصول على هذه المادة من مصل serum الحيوانات ، وتقوم الآن شركات التقنية الحيوية biotech بتصنيع مادة الـ (TNF) المعاد تركيبها recombind ، وقد بدأوا العمل على أساس من كونها بروتين طبيعي ، واستطاعوا خلال فترة وجيزة اكتشاف الأحماض الأمينية amino acids التي تتركب من تتاليها مادة الـ (TNF) ، ومن هذه البداية الموفقة عرفوا أيضاً تركيب (الجين gen) الذي يكونها ، وعرفوا موقعه على اللولب الحلزوني المزدوج الطويل للـ (DNA) في نواة الخلية ، حيث التعليمات الوراثية التي تنتج هذا البروتين ، وحالما هم عرفوا تركيب الجين الصانع لهذا البروتين حقنوه في البكتيريا التي صارت تعمل (كمصانع تنتج مادة الـ TNF) .

وقد جربت مادة الـ (TNF) منذ زمن كعلاج ضد **أورام سرطانات العظام والسرطانات الظهارية epithelial في الفئران** ، واستطاعت تفكيك بعض هذه السرطانات وحلها بفعالية مؤثرة واضحة ، ويقول العالم **(ردنيك)** : « ولكن لم يتوضح لنا إلى الآن كيف تتمكن هذه المادة من تفكيك وحل الخلايا السرطانية رغم علمنا بأنه يوجد (مستقبلات receplors) لها على سطوح الخلايا التي تدمرها ، ويبدو أن مادة الـ (TNF) لا يكون لها تأثير فعال في تدمير الخلايا السرطانية إلا إذا كان لهذه الخلايا هذه المستقبلات ، ولكن بما أن ليس كل الخلايا السرطانية تمتلك مستقبلات الـ (TNF) هذه فهي لن تستطيع تدمير وقتل الخلايا السرطانية لكل أنواع السرطان ، ووحدات مادة الـ (TNF) التي استطاعت تدمير بعض أنواع الخلايا السرطانية تمكنت وبكل وضوح من تكييف سطوحها ببعض الوسائل لتتغير وتلائم أنواع خلايا سرطانية أخرى ، وبهذا العمل البارع تمكنت من خلق وإيجاد المستقبلات الخاصة لها لتعمل من خلاله على تدمير هذه الخلايا السرطانية ، مع ملاحظة أن مادة الـ (TNF) تتعلق بإحكام وتتشبث بمستقبلها على الخلية السرطانية بنفس الطريقة التي يتشابك بها الجسم المضاد مع الأنتيجين » .

مادة TNF

السؤال الكبير الذي يشغل بال العلماء هو **لماذا توجد مادة الـ (TNF) الطبيعية في جسم الإنسان ؟** فالأورام السرطانية الظهارية التي منها سرطان القولون وسرطان الثدي ، والتي تستطيع مادة الـ (TNF) حلها وتفكيكها ، تعتبر (أورام السرطانات للناس الكبار في السن) ، وذلك كما يقول العالم (ردنيك) ، **والاستخدام الأساسي لمادة الـ (TNF) ليس هدفه حماية جسم الإنسان من السرطان فقط ، بل إن مادة (TNF) تدمر أيضاً خلايا العدوى بالملاريا ، وتعمل مادة الـ (TNF) في النظام المناعي بواسطة التنشيط المباشر للكريات الليمفاوية lymphocyte وهي الخلايا المناعية التي تدمر الخلايا السرطانية** .

ويختبر العلماء الباحثون الآن مادة الـ (TNF) بدمجها مع (انترفيرون جاما gama - interferon) وهي مادة أخرى تنتج في النظام المناعي في الجسم ، وتعمل على تنشيط (خلايات Tcells) القاتلة ، ويقول العالم (ردنيك) إن

تأثير مادة الـ (TNF) في معظم النماذج التي فحصناها تبدو لتكون معززة وفعالة ولا يتداخل عملها مع مادة الـ (TNF) على الإنسان هذا العام ولكن ستمر سنوات عديدة قبل أن تنال الموافقة الرسمية من إدارة الأغذية والأدوية الأميركية لاستخدامها في معالجة السرطان على أوسع نطاق، ويقول العالم (ردنيك) إننا في النهاية لم نقدم العلاج الأمثل للقضاء على السرطان بعد، وإن كل ما فعلناه حتى الآن هو أننا قدمنا علاجات متنوعة جديدة لتدمير السرطان وعندما سنتمكن من القضاء على السرطان فسيكون هذا فعلاً حدثاً علمياً مثيراً جداً لم يسبقنا أحد إليه.

لقاحات ضد السرطان

السرطان مرض ماكر خبيث خدّاع، ليس لأنه أكثر من (١٢٠) نوعاً مختلفاً، وهذا يجعل العلاج العالمي الموحَّد له أمراً شبه مستحيل، بل لأن الجسم وخاصة الجهاز المناعي لا يستطيع التعرف على الخلايا السرطانية وتمييزها على أنها عناصر غريبة غازية، لأنها فعلاً ليست عناصر غازية من خارج الجسم، ويقول (**هيينز كوهلر Heinz Kohler**) مدير شعبة علم المناعة الجزيئية molecular immunology في معهد (**روزويل بارك ميموريال Roswell Park Memorial**) في (بوفالو) ـ أميركا ـ لكي نحطم قدرة الاحتيال على المقاومة عند هذه الأورام السرطانية tumor tolerance فقد اتجهت ومجموعتي من العلماء إلى مجال تصنيع (اللقاحات Vaccines) في عملية مقاومة السرطان لأول مرة، وسنستخدم بشكل خاص عملية التقليد الكيميائية الحيوية Biochemical لخداع النظام المناعي وهو يعمل في الجسم للقضاء على قوة مقاومة الأورام. وعمل العالم (كوهلر) استقى مادته من الفكرة المعروفة بـ (**الافتراضية الشبكية**) التي عمل بها عالم المناعة الشهير (**نييلس جيرني Niels Jerne**) الحائز على جائزة نوبل في عام (١٩٨٤ م)، ويشرح العالم (كوهلر) فكرته فيقول إنه بحسب ما يفترض العالم (جيرن) فإن النظام المناعي في أجسامنا يشبه شبكة الاتصالات الهاتفية، وتماماً كما يتكلم الواحد منا مع الآخر بالهاتف بعد أن يطلبه، كذلك تفعل الخلايا في الجهاز المناعي، ونحن نعرف أسلوب عمل الخلايا هذه فهم يهبون للعمل سوية، ثم يعملوا سوية أيضاً لإنتاج الاستجابة المطلوبة ذات الهدف المطلوب المحدد لمقاومة جرثوم ما.

وبشكل طبيعي فإنه عندما تغزو الخلايا الغريبة أياً كان نوعها الجسم، فإن **البروتينات** التي تكون موجودة على سطوح خلاياها والتي تدعى بـ (**الأنتيجينات Antigens**) ـ مولد المضاد ـ تثير trigger استجابة النظام المناعي، ويبدأ الجسم باصطناع بروتينات كروية أخرى تدعى (الأجسام المضادة antibodies) وهي جزيئات كبيرة لها تركيب ثلاثي الأبعاد three - dimensional، ترتبط وتتشابك بإحكام مع تلك الأنتيجينات، وارتباطها الوثيق هذا ببعض هو الخطوة الأولى في سبيل تعطيل أو تدمير الخلية الغازية للجسم، وتعمل اللقاحات على إيجاد احتياط كاف من الأجسام المضادة للأنتيجينات الغازية. ويدعى جزيء Molecule الجسم المضاد أيضاً بـ (الأمينو جلوبولين immunoglobulin) وذلك بسبب تركيبه المكون من أربع سلاسل من الأحماض الأمينية تدعى (كيثر البتيد Polypeptides)، وكل سلسلة منها لها موضع ثابت يحدده ترتيب تتالي الأحماض الأمينية المنتظم في السلسلة والذي يبدو ظاهرياً بنفس الترتيب والهيئة بالنسبة لجميع الأجسام المضادة التي هي من ذات النوع.. ولكن، توجد على هذه التتاليات (مواضع متغيرة Variable region) أيضاً، وهذه المواضع المتغيرة هي التي تهيئ الإمكانية لصنع وإنتاج أنواع كثيرة هائلة العدد من الأجسام المضادة تقدر بأكثر من مليون نوع مختلف في جسم كل إنسان.

وتختلف تراتيب التتاليات المحددة للأحماض الأمينية على كل (كيثر ببتيد) من جسم مضاد إلى آخر، ومواضع هذه (التتاليات المتغيرة) تشكل (المنطقة النشطة The active region) في جزيء الجسم المضاد، التي يتعرف ويرتبط بها إلى الأنتيجين المحدد.

ويقول العالم (كوهلر) بالإضافة إلى ذلك فإن هذه (المنطقة المتغيرة) تكون مسؤولة عن إظهار ما ندعوه بـ (النموذج المميز idiotype) للجسم المضاد، وتتالي تشكيل تراكيب (النماذج المميزة للأجسام المضادة) هذه يحث على إنتاج الأجسام المضادة الجديدة التي ندعوها بـ (الأجسام المضادة للنماذج المميزة المضادة anti - idiotype antibodies) بواسطة خلايا أخرى من الشبكة المناعية، وبعض من تلك (الأجسام المضادة للنماذج المميزة المضادة) ربما تتضمن الصورة الشبيهة للأنتيجين الأساسي.

ويقول العالم (كوهلر): «إنه بات كنتيجة نهائية واضحة جداً أنه يجب علينا استخدام هذه الأجسام المضادة المحاكية Mimick للأنتيجين المحدد في الحالات التي يكون من الصعب الحصول فيها على الأنتيجينات الأساسية».

ولقاح فريق علماء العالم (كوهلر) المبتكر سيؤثر في (النموذج المميز المضاد anti - idiotype)، ولصنع هذا اللقاح حقن العلماء أولا (خلايا من ورم سرطاني إنساني) في فأر، حيث أنتج جسمه بعد حقنه الأجسام المضادة، وسيجعل العلماء هذه الأجسام المضادة (تخلّد immortabzed) أي تتكاثر بلا نهاية، وذلك بواسطة تقنية التهجين hybridoma، فالخلايا التي صنعت هذه الأجسام المضادة تجمع وتلمج مع مجموعات خلايا خالدة، لتصنع بدورها مجموعات خلايا مهجنة، وهذه بدورها ستصنع كميات وافرة من الأجسام المضادة.

وفي الخطوة التالية ستحقن هذه الأجسام المضادة إلى فأرة ثانية، حيث ينتج جسمها (الأجسام المضادة للنموذج المميز المضاد)، وهذه بدورها ستكون خالدة لا تموت، ومن ثم ستنتقي هذه الأجسام المضادة للنموذج المميز المضاد (الخالدة) التي تحاكي الأنتيجين الأساسي لتكون (المادة) التي سينتج منها (اللقاح للنموذج المميز المضاد anti - idiotype Vaccin) الذي ربما صار مستقبلاً أنجح علاج وقائي ضد السرطان اكتشف حتى الآن.

لقاحات خلال عامين

يقول العالم (كوهلر): «إن النموذج المميز المضاد anti - idiotype أفضل من الأنتيجين، لأنه يمكن أن يستخدم كلقاح، ولأن النظام المناعي يرى الأشكال والتراكيب التي أمامه ولا يفهم أو يدرك صيغها الكيميائية مثلنا، ويعامل النظام المناعي (النموذج المميز idiotype) كما لو كان (أنتيجين ورم سرطاني) ويبدأ بفعل الاستجابة response.

ولأن (لقاحات) النموذج المميز المضاد لا تحتوي على المادة الأنتيجينة ، فهم يكونون فعلياً آمن من النوع الأساسي ، وسوف لن يلوث المرضى صدفة بفيروسات الأورام التي يمكن أن تحتويها اللقاحات المستمدة من الأورام .

يعتقد العالم (كوهلر) بأنه أخيراً سوف تثبت هذه (اللقاحات الجديدة) فائدتها ليس لمعالجة السرطان فقط ، ولكن أيضاً لمعالجة الأمراض التي تسببها الفيروسات مثل (**الآيدز AIDS**) والتهاب الحنجرة والتهاب الكبد (ب) hypatitis ، وستكون استعمالاته الأولية كإجراء وقائي يستخدم مع الناس ذوي الأمراض الخطرة الشديدة ، وأيضاً مع الناس الذين سبق ونما وتطور الورم السرطاني في أجسامهم ، وهذه اللقاحات ستعزز وتقوي استجابة النظام المناعي في الجسم ، وتستخدم هذه (اللقاحات الجديدة) الآن تجريبياً ضد أورام الثدييات mammary tumors وخاصة في الفئران ، وسوف يكون الاختبار التالي لها تجربتها ضد سرطان (لوكيميا خلايا (ت) T - cell leukenia) الإنساني ، وأما اللقاحات ضد بقية أنواع الأورام السرطانية الأخرى ، فستكون جاهزة تماماً خلال عامين ، أو ثلاثة من الآن على الأكثر .

اكتشاف هام

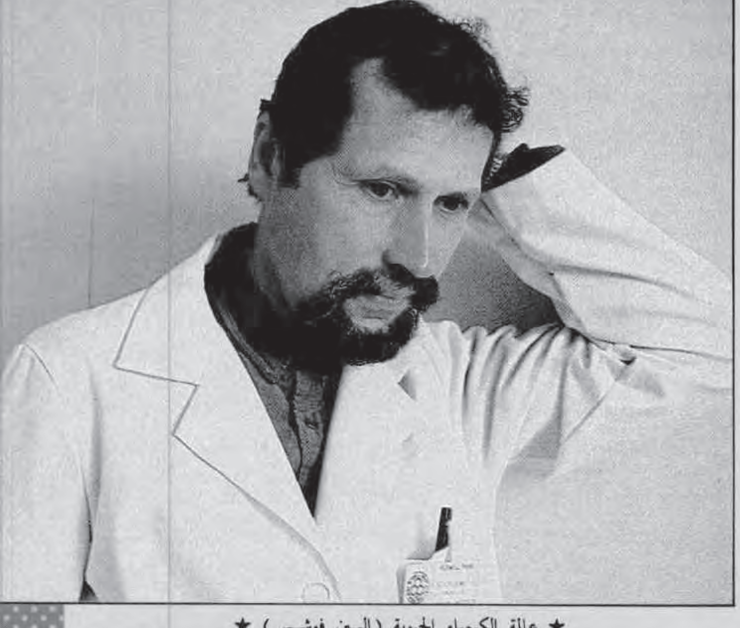
يحاول العلماء الباحثون فهم الآلية Mechanism التي تسبب السرطان في الجسم من اتجاهين ، أحدهما فهم الكيفية التي يبدأ بها تشكله ونموه في الجسم ، وعالمة الكيمياء الحيوية Biochemist (**إلين فوشس Elaine fuchs**) من جامعة شيكاغو تركز في أبحاثها على دراسة التبدلات التي تحدث في الخلية الحية حالما تبدأ (الجينات المتحولة oncogenes) عملها المسرطن المخرّب في الجسم ، وتحاول في أبحاثها أن تفهم عمل الجينات التي تكون مسؤولة عن تلك الفوارق التركيبية الرئيسية بين الخلايا البشرية ، (نسبة لبَشَرة الجلد epidermal) الإنسانية الطبيعية والخلايا البشرية الشاذة المسرطنة ، وهي تراقب وتتمعن في الآليات الدقيقة التي تكون الشكل الرئيسي لسرطان الجلد ، وذلك بعد أن تتسرطن الخلية الحرشفية Squamous وتنمو ، وعندما يتشكل هذا السرطان في الخلايا الظهارية epithelial cells التي هي الألواح البانية لكل سطوح وبطانات نسج الجسم مثل الجلد والتغطية القرنية في العين وبطانة الرئتين والبطانة المعدية المعوية والأجهزة التناسلية ، وسرطان الخلية الحرشفية يشكل النسبة الكبيرة لـ (٤٠٠) ألف حالة إصابة جديدة بسرطان الجلد التي تحدث كل عام ، وقد يكون من السهل نسبياً معالجة هذه الإصابات ، ولكن سرطانات خطيرة مثل سرطان الرئة أو سرطان المريء يكون من الصعب معالجتها وتُفقد الإنسان حياته خلال فترة قصيرة .

ويهدف عمل العالمة (فوشس) وعلماء آخرون إلى تملك الإمكانية لعمل التشخيص اللازم الدقيق ، ومن ثم إيجاد الاحتمال الكبير لعلاج تلك السرطانات وهي في مراحلها المبكرة ، وهذا بدوره سينقذ المزيد من حياة الناس ، وربما يأتي ذلك اليوم الذي يوجدون فيه الإمكانية لعمل التشخيصات على أساسيات الإيذاء الجسدي التي تكون بدايات السرطان الأولى (ما قبل بداية السرطان Precancerous) .

وتحمي **الخلايا الظهارية epithelial cells** داخل الجسم وسطوحه الخارجية ، ويدعى أحد نماذجها بـ(الخلايا البَشَرية ـ بَشَرة الجلد ـ) التي تشكل الطبقة الخارجية للجلد ، وهذه الخلايا تؤمن الحماية الجيدة للجلد والجسم معاً ، ذلك لأنها تتجدد باستمرار ولأن بنيانها متين وقوي ، ولأنها تحوي كثافة مفرطة من المنشأ الهيكلي الخلوي ، وذلك كما تشرح العالمة (فوشس) ، وهذا كله يمكن الجلد من مقاومة الجروح والرضوض والإيذاء الفيزيائي والكيميائي الذي قد تسببه البيئة التي حوله .

وهيكلية الخلية البَشَرية المخلّقة تُصنع من حزم واسعة من بروتين ليفي fibrous يدعى (الكيراتين Keratin) الذي هو العنصر الرئيسي المكون للحراشف والريش والصوف والأظافر في الكائنات ، ويصنع (الكيراتين) من خيوط (شعيرات filaments) طويلة ، سماكة كل شعيرة منها حوالي (٨)

★ عالم المناعة الجزيئية (هينز كوهلر) ★



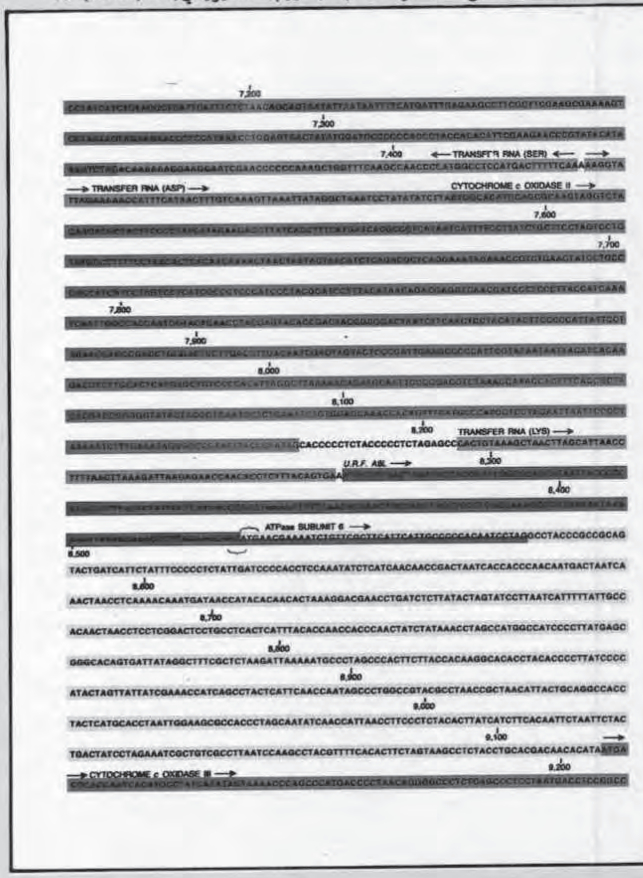
★ عالمة الكيمياء الحيوية (إلين فوشس) ★



نانومتر أو (٨٠) أنجستروم (الأنجستروم= 10^{-10} من المتر)، ولكن فصيلة واحدة من جزيء الكيراتين تكون الخيوط التي فيه أطول مما يُحتاج له لصنع خيط طوله (٨) نانومتر، والزيادة في كلتا نهايتي الخيط الكيراتيني تبرز من على طول سطحه، ثم تندمج هذه النتوءات البارزة مع البروتينات الأخرى في الخلية المخلّقة حتى تشكل الآلاف من تلك الخيوط الحزم البروتينية الليفية، والخلايا التي تتكون في النهاية تنسلخ وتطرح من سطح الجلد، وتكون بأشكال كييسات منبسطة تشبه الفطائر تطفح من تلك الحزم.. هكذا تشرح العالمة (فوشس) هذه العمليات المعقدة جداً.

وتبدأ هذه الخلايا حياتها بشكل مختلف جداً كخلايا قاعدية تتكون من (١٠ ــ ٢٠) طبقة خلوية تحت سطح البشرة، ثم تحدث هجرة غير محددة

★ مليون صفحة مثل هذه تلزمنا لكتابة (الترتيب النكليوتيدي) لـ (DNA) ★



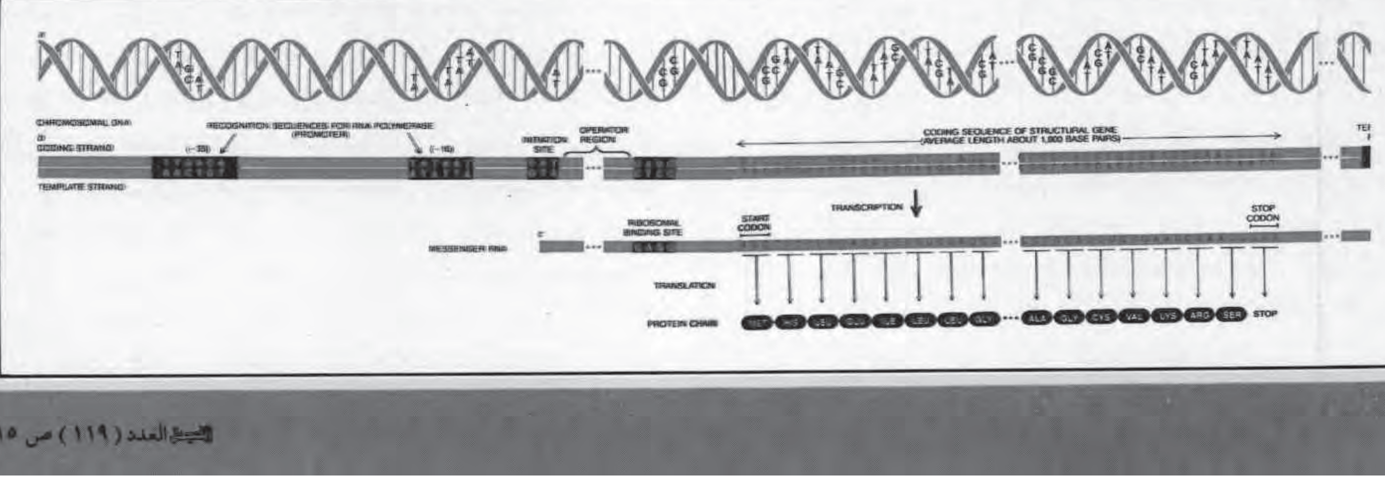
تجعلهم يوقفون اصطناع الـ (DNA) وهذا يعدهم للموت والتلاشي بعيداً، وحتى هذا الوقت فإن جزيئات الكيراتين التي كانت الخلية قد أنتجتها تكون بحجم طبيعي، وتبقى الخيوط الكيراتية متفرقة. وتكون الخلية ماكرة جداً ومخادعة، فحالما هي تقرر بأن لا تطول أكثر تبدأ بالانقسام، وتتحول إلى اصطناع الكيراتين الضخم، ومع ذلك يتوقف الـ (DNA) فيها ويستمر الاصطناع البروتيني، وتتحرك الحبيبات المليئة بالإنزيمات الهضمية غلاف الخلية وتحل كل شيء فيها ما عدا خييطات الكيراتين، ومثل البالون الفارغ تنبسط لما يشبه شكل الفطيرة، وتدعى حينها بالخلية الحرشفية squame حيث تستمر في رحلتها التي تستمر لمدة أسبوعين باتجاه النسيان.

والعالمة (فوشس) ومعها زملاؤها العلماء عزلوا وسلسلوا (الجينات) التي ترسل الشيفرة الوراثية code التي تصنع بروتينات الكيراتين، وحللوا ماذا يمكن أن يضبط تلك العملية.. وللدهشة الجميع فقد اكتشفوا بأن (الفيتامين A) يعزز (يؤسس) Pronote الإنتاج الطبيعي للخلايا القاعدية basal cells، وأن النقص في مستويات هذا الفيتامين يؤثر بعمق في الحث على عملية التخلق النهائية.

وينشأ سرطان الخلية الحرشفية من (الطبقة القاعدية) أيضاً، وحالما يحدث (التحول الخبيث) يتبدل نموذج التخلّق النهائي، وتنتج الخلية حينها الأقل من الكيراتين الضخم، وهكذا فإنه ستصنع حزم كيراتين أقل، وستفضل الهجرة مباشرة إلى الخارج، ولكن هذه الخلايا تهاجر بشكل شاذ، فتتحرك للداخل أو إلى الجوانب أو بشكل مواز للطبقة القاعدية، وتقول العالمة (فوشس): «إن تلك التبدلات ليست نتيجة لهجرة (جينات) الكيراتين المتحولة mutate، ولكن لما يحدث من تبدل في مخططات الجينات نفسها»، وتظهر الخلايا السرطانية لتكون أكثر حساسية لفيتامين (A) من الخلايا الطبيعية، وهكذا فإن مخطط التخلق يكون شاذاً ومنحرفاً قليلاً، والتبدلات هذه تحدث بلا حدود بواسطة الجينات المتحولة oncogenes، والبروتين الذي تصنعه يبدل تركيب الخلية القاعدية بوسيلة ما لا أحد يعرفها حتى الآن.

وتقول العالمة (فوشس) **إن الشيء التالي الذي يجب علينا اكتشافه هو ما إذا كان فيتامين (A) يعمل كهرمون ستيرويدي Steroid قابل للانحلال في الدهون، بحيث يستطيع أن ينفذ خلال غلاف الخلية Memberane ويتثبت على الموقع المستقبل receptor داخل الخلية، ثم يتحرك بعد اندماجه بالمستقبل هذا عمقاً**

★ شريط الـ (DNA) وعليه (الإعلام الوراثي) الذي تترجمه (النكليوتيدات) (A,T,C,G) حروف الحياة ★



باتجاه نواة الخلية ، ويرتبط ويتوثق بالمناطق المنظمة للجينات الخاصة التي تحدد وتوجه عمليات السرطنة .

وتقول العالمة (فوشس) إنه يجب علينا في هذه العملية أن نكون واثقين جداً من أنفسنا لنستطيع تقديم صلة الوصل التي تربطنا مع أبحاث (الجينات المتحولة oncogenes) المختلفة ، لأن إنتاج هذه الجينات يمكن أن يسبب زيادة الحساسية لفيتامين (A) ، **والأبحاث المقدمة من العالمة (فيشس) وعلماء آخرون في هذا المجال ربما تقدم يوماً ما العلاجات المؤثرة جداً والفعالة ضد السرطانات الظهارية المحتملة ، لأن العلاج الكيميائي يختلف بحسب أنواع السرطانات المختلفة .**

وبالإمكان اليوم استخدام الأجسام المضادة لمضاد الكيراتين artikeratin antibodies لتعيين وتحديد خلية الورم السرطانية في الجسم كالخلايا السرطانية الظهارية عموماً ، ولكن إذا استطاع العلماء الباحثون تحديد التغييرات changes الصحيحة الدقيقة التي تحدث في سرطانات كسرطان المريء الحيوي الخطير مثلاً ، فيمكن (للجسم المضاد لمضاد الكيراتين) حينها أن يحدد بدقة الموقع المحدد للكيراتينات keratins التي تؤثر في إحداث تلك التبدلات ، وسيكون بالإمكان أن نرى بعدها فيما إذا كان الورم السرطاني قد انبث Metastisized في جزء آخر من الجسم بدءً من المريء ، أو أنه حتى قد تشكلت بدايات خلايا ما قبل السرطنة Precancerous ، وإنها قد ملكت الإمكانية لتصبح خلايا سرطانية خبيثة Melignant .

عقاقير منشطة للضوء

المداواة بالدم hemotherapy هو العلاج الفعال جداً المتاح اليوم لمعالجة **سرطان (اللوكيميا leukemia)** الذي سيصبح القاتل الأكبر الرابع بين مختلف أنواع السرطانات في عام (١٩٨٦ م) ، وكانت زروع نقي العظام - bine Marrow تستخدم لعلاج بعض أشكال هذاالسرطان ، ومنذ ثلاث سنوات نجح عالم المناعة السريري chinical immunologist (**ريتشارد إديلسون Richard Edelson**) المدير المساعد لمركز الأبحاث السريرية العامة في المركز الطبي (كولومبيا بريسبيتيريان) في مدينة (نيويورك) في استخدام عقار منشط للضوء a light activated drug لمعالجة شكل نادر من أشكال سرطان اللوكيميا يدعى (الورم اللمفاوي لخلايا (ت) الجلدية T - cell lymphoma Cutaneous) الذي يحدث في الخلايا البيضاء الشاذة المسماة بـ(الكريات اللمفاوية (الليمفوسيت) ت T - lymphocytes) التي تتجمع في الجلد .

والعقار الجديد يدعى Methoxy - Psoralen ويرمز له اختصاراً بـ(8 - MOP) ، وهو مادة طبيعية وجدت في الخضار العادية الشائعة وبعض الفواكه مثل، الليمون الحامض والتين .

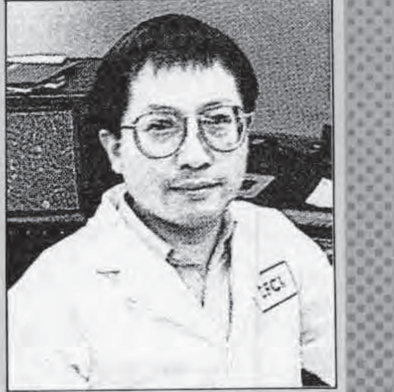
وفي نهج تجريبي يدعى (التوجيه الضوئي خارج الجسم corporeal Photopheresis extra) أعطيت لمريض بالسرطان جرع من العقار الجديد في الفم في يومين متتابعين من كل شهر ، وبعد ساعتين من وصول تركيز العقار في الجسم لذروته رفع المريض إلى آلة عملت على نبذ Centrifuges دمه ، ففصلت الكريات اللمفاوية (ت) منه وأعيد باقي الدم إلى الجسم ، وبعد فصل الليمفوسيت (ت) عرضت لمزيد من جرعات العقار الجديد (8 - MOP) ولضوء أشعة فوق بنفسجية ultraviolet منخفض الطاقة لمدة أربع ساعات بعد أن وضعت في أنبوب بلاستيكي شفاف دوار سماكته ميلليمتر واحد ، ويشرح عالم الكيمياء الحيوية التصويرية (فرانك جاسبارو Frank Gasparro) الذي يعمل مع العالم (إديلسون) بأنه لو كان الأنبوب البلاستيكي واسعاً غير متصالب فإن كريات الدم الحمراء الموجودة في الدم كانت ستعمل كمظلات تحجب خلايا الدم البيضاء .

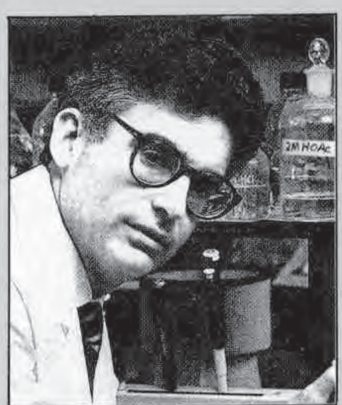
والعقار (8 - MOP) المنشط يثبت على الخلايا الناشطة أيضياً Metabolically ، وبصورة خاصة على (الخلايا السرطانية) التي تكون ذات أيض نشط وتنقسم وتتكاثر بسرعة ، فإما أن يعطلها أو يقضي عليها تماماً ، ويحسب ما يقول العالم (**جاسبارو**) فإن العقار الجديد (8 - MOP) يؤثر في (DNA) الخلية السرطانية ويتفاعل معها في عملية ليست مفهومة حتى الآن . . ولكن ، ما فهمناه وكان شيئاً عظيماً هو أن هذا التفاعل يترك جديلتي الـ(DNA) strands غير قادرتين على الانفصال separate . . وكنتيجة هامة جداً فإن الـ(DNA) لن تستطيع أن تتضاعف replicate . . وبالتالي فإن الخلية السرطانية لن تستطيع أن تنقسم أو تتكاثر . . والانقسام والتكاثر هما سر وجودها . . وما دمنا قد ألفينا أساس وجودها ومددها نكون قد أنهيناها وأنهينا فعلها كخلية سرطانية . . لا بل قضينا على السرطان الذي كانت تشكله . . هكذا يقول العالم (جاسبارو) متفائلاً .

وطريقة المعالجة الجديدة المسماة بـ(extra Coporeal Photophereiss) تطبيقها سهل جداً وآمن جداً ونتائج العلاج بها للسيطرة على سرطان اللوكيميا أفضل بكثير من المعالجة الكيميائية التي تستخدم حالياً للقضاء على هذا السرطان الخبيث ، فالأشعة فوق البنفسجية التي تخترق نوافذنا وتلفح أجسامنا تكون غير ضارة ما دامت بحدودها الطبيعية المألوفة ، وينشّط العقار الجديد (8 - MOP) هذه الأشعة لمدة قصيرة لا تتجاوز الأجزاء من الآلاف من الثانية فقط، ثم يُلغي أثرها تماماً من الجسم خلال (٢٤) ساعة فقط.

وقد عولج بهذه الطريقة الحديثة منذ عام (١٩٨٢ م) ، وإلى الآن حوالي (١١) مريضاً ، ثمانية منهم شفوا من سرطاناتهم تماماً ، وتجرى الآن تجارب سريرية كثيرة لتقييم مدى فعالية وأمان هذا العلاج الجديد للسرطان في مؤسسات ومعاهد طبية أميركية وأوروبية عديدة ، وقد استطاع العالم (إديلسون) تطوير هذه الطريقة الجديدة للمعالجة بأن ابتكر مركبات منشّطة للضوء أكثر فعالية ، وينتظر موافقة الهيئات الطبية الأميركية الرسمية عليها ليستخدمها في معالجة مرضى السرطان ، وأيضاً ليستخدم عقار (8 - MOP) في معالجة الأمراض المناعية الذاتية autoimmune مثل مرض الذئبة lupus (مرض جلدي) .

ويحاول العالم (إديلسون) الآن صنع عقاقير منشطة للضوء أكثر فعالية ، وذلك باستخدام **جزيئات الأنسولين Insulin Molecules** ، والأنسولين هو الهرمون الذي يساعد الخلايا على الانقسام ، وخلايا الليمفوسيت (ت) الهاجهة بطبعها تحتاج للقليل جداً منه ، وهكذا عليها أن تتملك القليل من مستقبلات الأنسولين على سطوحها ، والخلايا السرطانية الخبيثة التي تنقسم باستمرار دون توقف ، وأيضاً خلايا (ت) المنشّطة التي تسبب الأمراض





★عالم حياة الخلية من تايوان (لان بوشن)★ ★عالم المناعة السريري (ريتشارد إديلسون)★

المناعية هم بحاجة دائمة للأنسولين ، ويجب متابعة تنشيط عملية إيقاف ومنع هذا الهرمون الناقل للعقار ، خلال حشد المستقبلات التي تتملكها على سطوحها .

تدمير الخلية السرطانية

(لان بوشين Lan Bochen) عالم حياة الخلية *cell biologist* في معهد (دانافاربر) للسرطان وكلية طب جامعة هارفارد الذي يرأس فريق البحث لإمكانية إنتاج مضخات عقاقير ضمن خلوية (داخل الخلايا) *intracellular drug punps* لمعالجة السرطان ، والذي يعتبر العقل الموجّه لاكتشاف عملية التخريب الذاتي للأورام السرطانية *a tumor cell's self - destruction* أي جعل الخلية السرطانية تخرّب نفسها بنفسها ، وبالتالي يقضي السرطان على نفسه .

ويركّز فريق من العلماء معه تجاربهم على مجموعة مركبات Compounds تتضمن بعض الأحبار الصناعية وبعض الأصباغ المشعّة فلورياً *dye fluorescent* التي تستخدم في تقنيات **الليزر** ، وهذه المركبات هي جزيئات Molecules (متعشّقة للشحوم (الدهون) *lipophilic*) مشحونة إيجابياً Positively charged ، وهذا يعني أنها تنجذب للشحوم *lipids* الموجودة في أغلفة الخلايا Membranes ، وتتجمع وتتراكم في (ميتوكوندريا Mitochondria) الخلية الحية ، والميتوكوندريا تعمل في الخلية الحية كمصانع تمدها بالطاقة اللازمة لعملياتها الحيوية .

والسؤال : لماذا تم اختيار هذه الجزيئات المحبة للشحوم لتقوم بهذا الدور الخطير والهام؟ يجيب على هذا السؤال مجموعة علماء العالم (بوشن) بعد أن أجروا المزيد من التجارب عليها ، بأن جزيئات مركبات الأحبار والأصباغ هذه تنطلق خارجة بسرعة من الميتوكوندريا في الخلايا الطبيعية ، بينما تستقر جزيئات المركبات هذه في خلايا الأورام السرطانية ولا تنطلق ، وخاصة في الأورام السرطانية التي تنشأ من الخلايا الظهارية *epithelial Cells* التي تشكل (٨٥٪) من السرطانات الإنسانية ، وجزيئات المركبات هذه تعطل عمل الميتوكوندريا الحيوي في الخلية وتضعفها ، وهذا يضعف الخلايا الحية ويجعلها غير قادرة بتاتاً على أداء وظائفها ، وذلك لأن المصانع التي ستمدها بالطاقة الضرورية للعمليات الحيوية فيها قد توقفت وتعطلت ، وغلاف الميتوكوندريا لا يسمح إلا لجزيئات قليلة خاصة أن تعبره وتدخل من خلاله إلى داخل جسم الميتوكوندريا ، والجزيئات العابرة لداخل الميتوكوندريا تكون مجذوبة بالجهد الكهربي *electrical potential* عبر الغلاف الذي يكون موجوداً بتأثير عمليات امتصاص الأكسجين أثناء عملية التنفس ، وتضخ *pump* الميتوكوندريا البروتونات *protons* إلى سيتوبلاسما *Cytoplasm* الخلية المحيطة بها ، ودفع البروتونات هذا يجعل داخل الميتوكوندريا ذا شحنة سلبية قوية أكثر من الوسط الخارجي الذي تسبح فيه ، وتفاوت الجهد الكهربي هذا يجذب الجزيئات المشحونة إيجابياً ، (لأسباب غير معروفة) إلى الآن ، فإن الميتوكوندريا في الخلايا المسرطنة *Carcinoma cells* تمتلك قوة جهد كهربي أقوى من الموجود في أغلفة الخلايا العادية ، وتعمل مثل شفاط المكنسة الكهربائية القوي ــ وذلك كما يصفها العالم (بوشن) ــ وتمتص من (٥٠ ــ ١٠٠) مرة أكثر من الصبغ *dye* وتحتفظ به أيضاً لمدة أطول ، وحالما تدخل هذه المركبات إلى داخل الميتوكوندريا تبطل فعل الجهد الكهربي للغلاف وتلغيه ، ولا تستطيع الخلايا السرطانية بعد هذا أن تشكل الأنزيمات الضرورية لعمل الميتوكوندريا الطاقي الحيوي واصطناع الـ(*ATP*) ــ ثلاثي أدينوسين الفوسفات *adenoseine triphosphate* ــ ، وتحطيم (تفكيك) روابط الفوسفات في الـ(*ATP*) يطلق الطاقة التي كانت تمد وتسير العمليات الكيميائية الحيوية في الخلية ، والخلية بدون وجود الـ(*ATP*) سيكون الموت مصيرها المحتوم .

وقد بدأت مجموعة العلماء التي يرأسها (بوشن) تجاربها على الصبغ الأحمر (الرودامين ١٢٣ ــ *Rhodamine 123*) ، وهو صبغ طبيعي يستخدم لتغيير لون ضوء الليزر بزيادة أطوال أمواجه ، ويستطيع (الرودامين ١٢٣) تدمير وإتلاف الميتوكوندريا خلال (١٠) ساعات فقط ، وقد استطاع العلماء أيضاً اكتشاف جزيئات محبة للشحوم مشحونة إيجابياً تعمل بنشاط وسرعة وجهد كهربي أكبر ، وأحد هذه المركبات وهو عنصر مضاد للبكتيريا يدعى **(الديكوالينيوم *Deøualinium*)** ، وكان يستخدم كمرهم ومطهر للفم منذ أكثر من (٢٥) عاماً في أوروبا وأمريكا اللاتينية وكندا وإفريقيا ، وقد اكتشف العالم (ميشيل وييس) بأن للديكوالينيوم مفعول جهدي أقوى بـ(١٠) مرات من (الرودامين ١٢٣) .

وقد تبين للعلماء بعد تجارب كثيرة أن (للديكوالينيوم) عمل مزدوج : فهو يقوم بتدمير الميتوكوندريا الموجودة في سيتوبلاسما الخلية ، ثم إضافة إلى ذلك يتسرب إلى خارج الميتوكوندريا والسيتوبلاسما ويدخل إلى الـ(*DNA*) في نواة الخلية ، وأظهرت التجارب أن له تأثيراً قوياً جداً في عملية تثبيط وكبح ومنع نمو خلايا سرطان القولون الإنساني المزروعة في فئران المخابر ، وأظهر فعالية كبيرة وصلت إلى حد شفاء هذه الفئران من هذا السرطان الخطير ، وليس (للديكوالينيوم) سوى تأثير جانبي واحد وهو إنقاص وزن المريض فقط . . كما استخدم العلماء في تجاربهم مركباً ثالثاً يستخدم في الأحبار الصناعية ، وظهر له جهد كهربي ومفعول وتأثير أكبر بـ(١٠) مرات من مفعول تأثير (الديكوالينيوم) ، ولم تظهر التجارب على الحيوانات أي آثار جانبية ضارة له .

ويعتقد العالم (بوشن) وفريق العلماء معه بأن المركبات المحبة للشحوم *lipophilic* المكتشفة هذه تستطيع أن تعزز وتزيد من مفعول علاجات أخرى

للسرطان ، مثل ضوء الليزر والإشعاع أو حرارة الإشعاع (فرط الحرارة hyperthermia) ، وقد أظهرت التجارب على حيوانات المخابر التي جرت في عدة دول أوروبية وأميركية أن (الرودامين ١٢٣) له تأثير فعال جداً ضد السرطان إذا دمج مع عقار مضاد للسرطان شائع للاستعمال اسمه (cis - Platinum) ، ومع الإشعاع الحراري) .

حياة وموت

تنفرد الخلية السرطانية بخاصيتين هامتين جداً يكمن فيهما كل سر حدوث وتشكل جميع أنواع السرطان المائة والعشرين المعروفة حتى الآن ، أولى الخواص المفردة هذه أن الخلية السرطانية (خلية مستقلة ذاتياً autonomous) ، وثانية الخواص المفردة هي كون **الخلية السرطانية (خلية لا تموت Immortal) ، تنقسم وتتكاثر إلى الأبد إن لم تجتث أو تستأصل أو تباد** ، وهي لا تنمو بسرعة أكبر من الخلية الطبيعية لكنها فقط لا تعرف متى تتوقف عن النمو أو التكاثر بعكس الخلية الطبيعية ، وبعد أن تصبح الخلية الطبيعية خلية سرطانية تنمو وتنتشر عن طريق مجرى الدم في أي مكان من الجسم ، وذلك بعد أن تغيّر التعليمات الوراثية genetic instructions في الخلية الطبيعية وتسيطر عليها تماماً وتتركها بلا حول ولا قوة ، وهذا النمو والتكاثر الدائم يوجد كتلة لحمية كبيرة من الخلايا السرطانية هي التي تسمى بالورم السرطاني الخبيث ، تعمل على غزو الأنسجة tissues السليمة وتنشر فيها السرطانات المنوّعة وتتلفها . وإذا واصلت خلايا الورم السرطاني إلى النظام الدوري الدموي في الجسم فإنها تندفع وتنتشر عن طريقه في أي مكان من الجسم ، وتتوضع بدايات نشوءات سرطاناتها في مواقع متباعدة مختلفة عنه ، في أي عضو أو نسيج كان مثل المعدة .. الكبد .. الأمعاء .. القولون .. الرئة .. لا يهم .

وخط الدفاع الأول في الجسم ضد الأورام السرطانية ـ كما هو ضد كل الفيروسات والبكتيريا ـ هو **النظام المناعي Immune system** وتستطيع خلايا الأورام السرطانية أن تراوغ وتحتال على هذه الشبكة الملتفة من **خلايا الدم البيضاء whit blood cells** المدافعة عن الجسم ، والتي لأسباب غير معروفة حتى الآن لا تستطع تمييز هذه الخلايا السرطانية على أنها خلايا غريبة عن الجسم (لأنها فعلاً ليست خلايا غريبة عن الجسم .. وهذا أحد أسباب السرطان الكبرى) .. ولكن .. لكي تهاجم خلايا النظام المناعي هذه الخلايا السرطانية وتقضي عليها يجب حثها وتنبيهها وتقويتها ، ولهذا عمد العلماء إلى اتباع عدة تقنيات واستراتيجيات ، منها هذه الاستراتيجية التي تنفذها خلايا كاسحة منظفة scavenger ، وهي نوع من الخلايا المناعية التي تغمر وتبتلع هذه الخلايا السرطانية .

هذا ورغم كل التطور الحاصل في استخدام الأجهزة والأساليب الحديثة ، فإن العلماء لم يتفهموا بعد مجريات تاريخ خلايا السرطان ، ولا كيف تنشأ ، ولا كيف تكتسب القدرة على النمو والتكاثر والانتشار السريع .

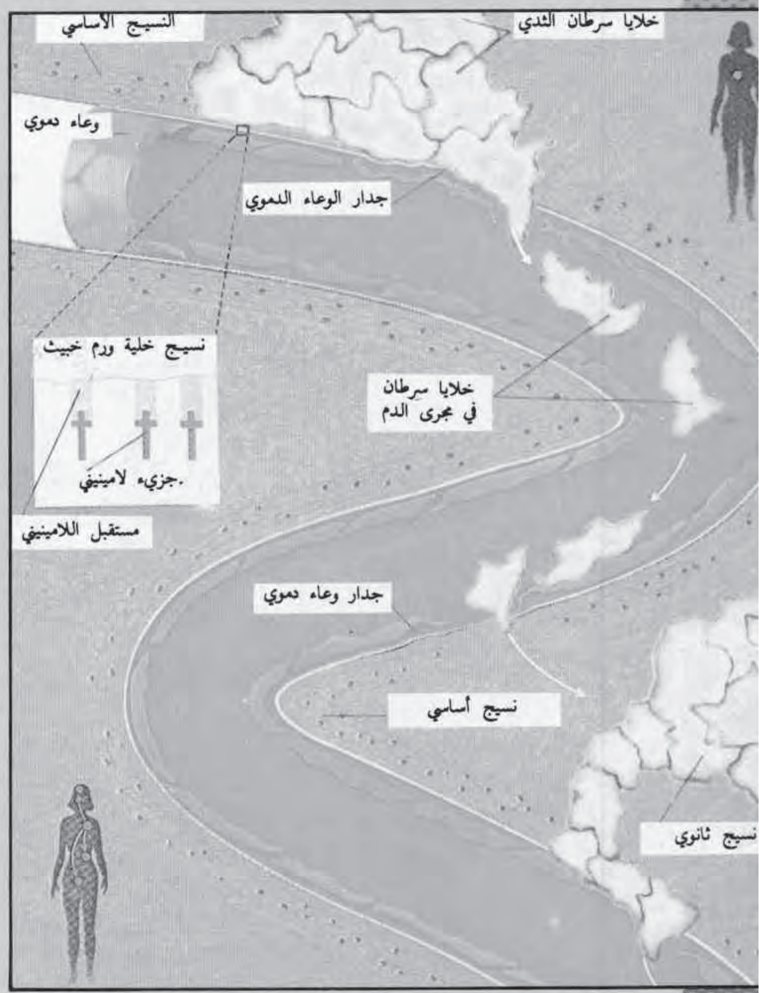
ويوم يتمكن العلماء من فهم ميكانيكية السرطان وآليته الحقيقية ، فسيكونون قد جردوا السرطان من جميع أسلحته الظاهرة والخفية ، وستصبح حينها مقاومته والقضاء عليه مهمة سهلة جداً بإرادة الخالق سبحانه وتعالى ومشيئته .

كيف يبدأ السرطان؟

لا أحد بالضبط يعرف تماماً كيف يبدأ تكوّن السرطان في الجسم ، ولا كيف ينتشر ، ولكن للتحوّل الوراثي genetic transformation تأثير كبير في حدوث كل هذا ، فالتبدلات الوراثية تنشط (الجينات المتحوّلة oncogenes) التي ثبت أخيراً أنها تسبب حدوث السرطان بعد أن تبدّل وتحوّل الجينات الطبيعية Normal genes ، ولتقلب الخلية الطبيعية إلى خلية سرطانية .. ولكن .. كيف وبأي وسيلة تصنع وتوجد (الأنكوجينات) الخلية السرطانية؟ هذا أمر لم تفهم آليته بعد للعلماء تماماً ، والكشف الصحيح له سوف يسفر عن أهم أسرار السرطان ، ولكن .. يقول العلماء على ما يبدو ـ في بعض الحالات ـ إن أكثر من (أنكوجين oncogen) يكون نشطاً في الخلية فيؤدي هذا لسرطنتها ، وفي هذا السيناريو المحتمل فإن الإشعاع radiation الواصل من البيئة الخارجية ينفذ إلى الخلية السليمة ويخترقها ويعمل على تنشيط (الأنكوجين oncogene) الساكن غير النشط dormant ، وهو الذي يسميه العلماء (**ما قبل الأنكوجين ـ البروتوأنكوجين ـ الأنكوجين البدئي** Proto - oncogene) ، وبعد أن ينفذ الإشعاع إلى الخلية وحين يتم تبادل القطع segments بين الكروموسومين في الخلية أثناء انقسامها وتكاثرها في العملية التي تسمى (بالنقل التبادلي reciprocal translocation) تتم التحوّلات الوراثية genetic transformations التي يكون أحدها حميداً غير ضار بينما يؤسس التحوّل الآخر (بداية الأنكوجين Proto - oncogene) الذي هو البداية لتكوين (الجين النشط active gene) ، وهذا الجين النشط الجديد ينشط (جين متحوّل [أنكوجين oncogene]) ثان وثالث ، ثم نتيجة لعمل هذه (الجينات المتحولة السرطانية) تبدو الخلية وكأنها فقدت سيطرتها على نفسها وأصبحت عاجزة غير قادرة على وقف عملية تنشيط هذه (الأنكوجينات oncogenes) وتكون النتيجة الآلية نمو مندفع ومنطلق لا يتوقف للخلية ، ويبرز إثر هذا شكل شاذ للخلية الطبيعية تسمى به (الخلية السرطانية a Cancer Cell) .. وهذه الخلية يبدأ بها تشكّل كل سرطان .

كيف ينتشر السرطان؟

الانبثاث Metastasis هي العملية التي يتم فيها انسلال الخلايا السرطانية الخبيثة من مكان توضعها في الجسم إلى جدول الدم الجاري في كل أنحاء الجسم أو في قنوات الليمف lymph ، وتنبث هذه الخلايا السرطانية في كل أنحاء الجسم وفي كل مكان يصل إليه الدم ، ويحدث انبثاث الخلايا هذا قبل أن يشعر مرضى السرطان بسرطاناتهم ، وقبل أن يشخّص السرطان في أكثر من نصف حالات كل أنواع السرطان تقريباً ، ولأن انبثاث الخلايا هذا يكون بدايات نشوء الأورام السرطانية التي تكون صغيرة الأحجام ودقيقة جداً ومخفية بعيداً عن الكشف وعن مكان توضّع السرطان الأساسي المشخّص ،



★ كيف ينتشر السرطان ★

وطبعاً فإن هذا يؤخر العلاج والشفاء ، بل ويجعل المريض عرضة للإصابة بسرطان جديد غير محسوب أو مكشوف ، وأحياناً يكون أكثر من سرطان في أكثر من مكان في الجسم ، وهذه تشكل صعوبة أخرى تقف كعقبة كبيرة في طريق العلماء ، فالسرطان ينشأ في جسم الإنسان وينمو ويكبر ويظل مختفياً لا يشعر الإنسان به أو بآثاره لسنين عديدة ، وبدون أي ألم ، وحين يكتشف يكون السيف قد سبق العزل وانتشر السرطان وانبث في أكثر من مكان في الجسم .

ولكي تصل خلايا السرطان إلى مجرى الدم تعمل أولا على إفراز إنزيمات هضمية بروتينية تفتح لها ممراً خلال الجزء القاعدي **basement** من أغلفة الخلايا القاعدية (السفلى) ، وهذا هو الحاجز المرن المتين القوي في مختلف أنسجة الجسم ، حيث تترابط الخلايا هناك بواسطة بروتين ذو شكل تصالبي يدعى (اللامينين **laminin**) الذي يعمل على إطلاق إنزيمات أخرى لتعمل على حل أغلفة الخلايا **Membranes** ، وعلى حث الغلاف القاعدي الذي يكشف عن بروتينات خاصة تعمل على جذب **attract** خلايا الورم السرطاني ، ولتتقدم بعدها الخلايا السرطانية إلى الأمام باتجاه جدار الوعاء الدموي **blood - Vessel** ، وهنا تكون أمام أمرين ، فإما أن تطلق إنزيمات جديدة تعمل على حث الجدار الوعائي أو تجعل هذه الجدران تنكمش **retract** بطريقة غير معروفة ، وعندما تتسع الفجوة المفتوحة في جدار الوعاء الدموي تنساب الخلايا السرطانية خلالها لتصل إلى الدم باندفاع غزير كثيف ، وعندما تصل هذه الخلايا السرطانية إلى الدم يهلك معظمها ، وذلك إما بسبب هجوم الخلايا الدفاعية الطبيعية القاتلة التي يدفع بها الجهاز المناعي للجسم ، وإما بتأثير البيئة المضطربة المحيطة بها التي خلقها وجودها ، وما يبقى على قيد الحياة من هذه الخلايا السرطانية يندفع من خلال مجرى الدم السابح فيه إلى المراكز الحيوية في الجسم ليعمل فيها هدماً وتخريباً وإهلاكاً ، فتصل هذه الخلايا السرطانية وتستقر في الدماغ أو الكبد أو الجهاز التناسلي أو أي جهاز أو عضو آخر من الجسم ، وذلك بعد أن تقوم بنفس العملية السابقة ، فتخترق جدار الوعاء الدموي وتحت الجزء القاعدي الأسفل من الغلاف وتتوغل عميقاً في طبقات الخلايا للأنسجة المختلفة في الجسم بحيث تستقر كل مجموعة خلايا سرطانية في نسيج عضو ، وهناك تبدأ بالمضاعفة والتكاثر لتشكل منشأ ثان وثالث لأورام سرطانية ثانوية قاتلة منبثة ، وهي غير السرطان الأساسي الذي جاء المريض يشكو منه . . ويستمر الانبثاث **Metastasis** السرطاني متوغلاً ومنتشراً في أنحاء شتى من الجسم ليهلك أعضاءه ومراكزه الحيوية الأخرى السليمة إلى أن يهلك المريض تماماً . . وكأنها حرب شعواء مستمرة لا تبقي ولا تذر بين هذه الخلايا السرطانية المتوحشة وبين أعضاء وأجهزة الجسم ، ولن تنتهي إلا بهلاك أحد الطرفين ، والغلبة دائماً حتى الآن لهذه الخلايا السرطانية الأقوى مكراً وخداعاً ووحشية ، وإن انتصرت الخلايا الدفاعية المناعية فسيكون الجسم بعد هذه المعارك الضارية خرباً لن يعيش صاحبه معافى . . لأن المعركة كانت وحشية وعنيفة لها آثارها في الجسم ، بحيث لا يمكن إزالتها بسهولة . . وتبقى رحمة الخالق سبحانه وتعالى التي وسعت كل شيء ، والذي بيده الموت والحياة . . المرض والشفاء .

★ ★ ★

أهم المراجع الأجنبية

1) أبحاث خاصة من مراكز الأبحاث .

2) Science Digest - August 1985.

3) Science Digest - June 1984.

4) la Revolution Biologiøue - Science & vie - Nomero Special.

5) III Dizionario Della Medicina - Milano.

6) Making antibodies without the antigens - by Jean L.Mars - Science - April 12 - 1985.

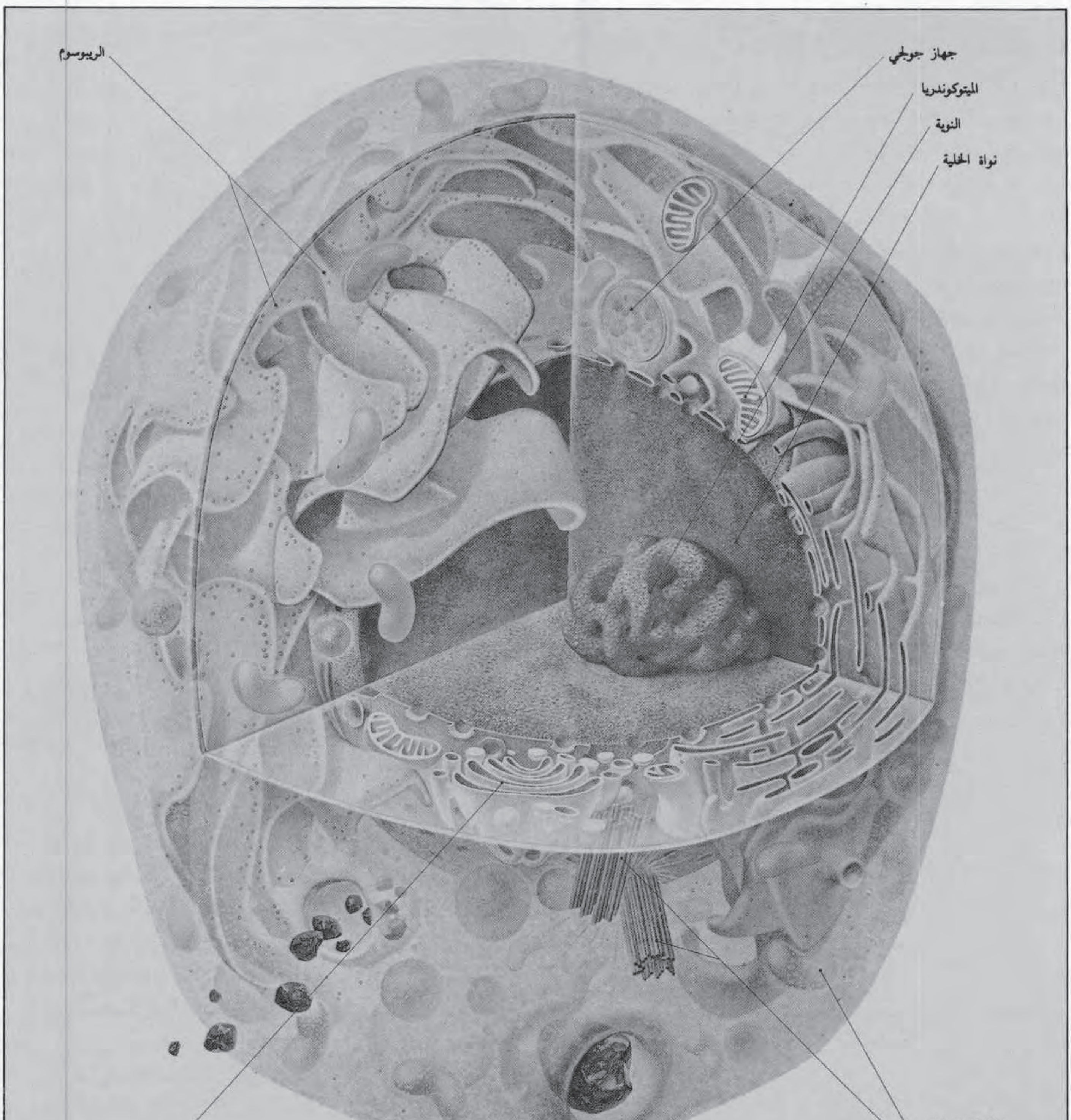
7) Good genes Gone bad: closing in on the oncogene link with Cancer - by Beverly Merz - Medical world News, April 8, 1985.

8) In search to control cancer, understerstanding metastasis is crucial - by Rebeccd L.Rawls - chemical and Engineering News, February 25, 1985.

9) المعجم الطبي الموحد ــ طبعة سويسرا .

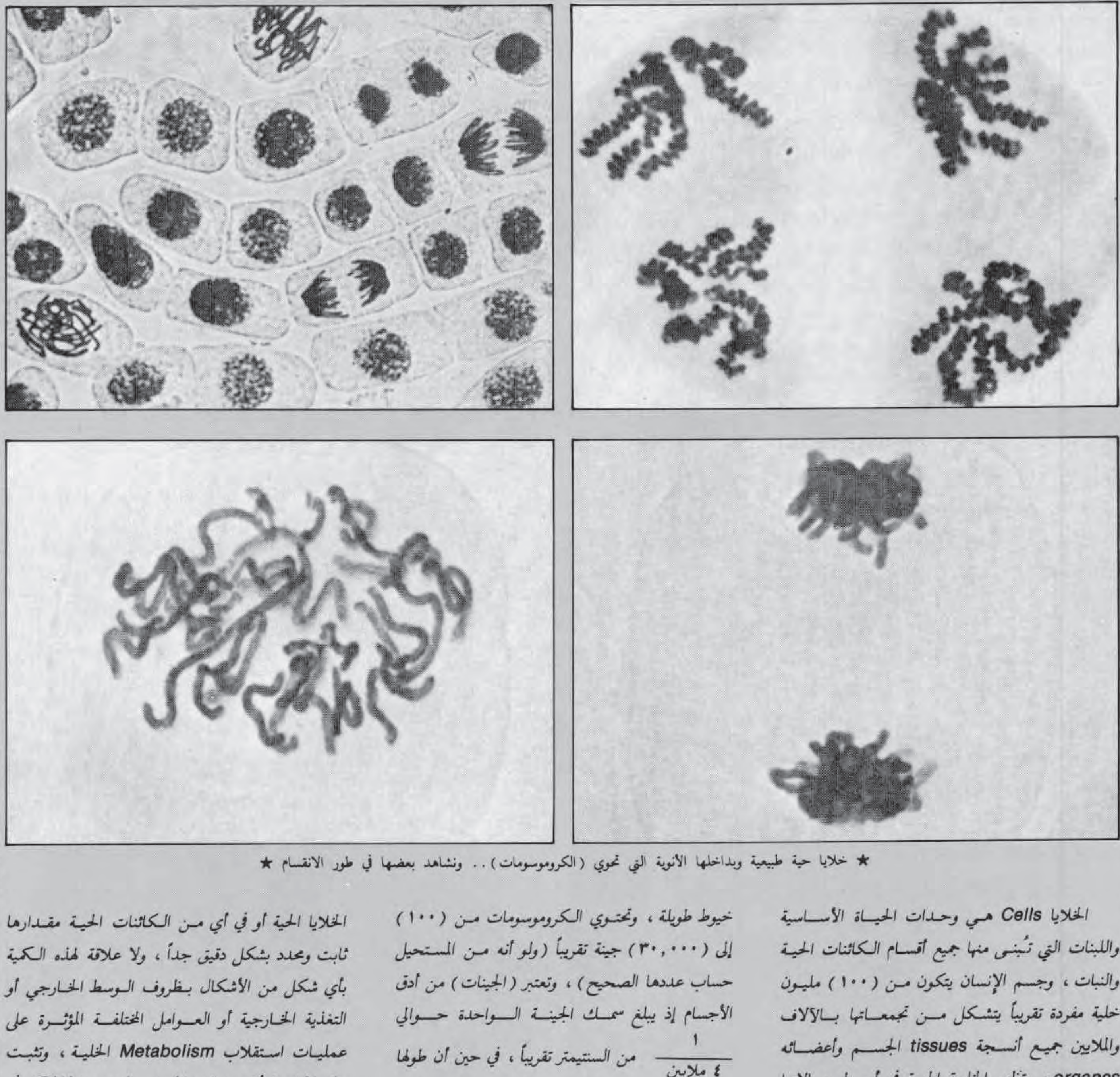
10) Newsweek - November 2, 1981.

11) oncogenes - by J.Michael Bishop - Scientific American - March 1982.



★ مكـوّنات الخلية الحية الإنسانية ★

الخليَّة الحيَّة



★ خلايا حية طبيعية وبداخلها الأنوية التي تحوي (الكروموسومات) . . ونشاهد بعضها في طور الانقسام ★

الخلايا **Cells** هي وحدات الحياة الأساسية واللبنات التي تُبنى منها جميع أقسام الكائنات الحية والنبات ، وجسم الإنسان يتكون من (١٠٠) مليون خلية مفردة تقريباً يتشكل من تجمعاتها بالآلاف والملايين جميع أنسجة **tissues** الجسم وأعضائه **organes** ، وتظهر الخلية الحية في أبسط حالاتها ككرة يحيط بها غشاء خارجي رقيق ، وتشاهد في وسطها كرة أصغر منها وأكثر كثافة هي **(النواة) Nucleus** التي تعتبر أهم عضيات الخلية ، ذلك أنها تحتوي على الكروموسومات **Chromosomes** التي يُختزن بها تراث البشرية كلها من المعلومات الوراثية **genetic information** ، ويختلف عدد هذه الكروموسومات بين كائن حي وآخر ، ولكل كائن حي عدد ثابت منها لا يتبدل أبداً ، ففي خلية الإنسان الحية مثلاً (٢٣) زوجاً من الكروموسومات ، على كل كروموسوم ، من هذه الكروموسومات الـ(٤٦) تنتظم (الجينات **genes**) كحبّات المسبحة المنتظمة في خيوط طويلة ، وتحتوي الكروموسومات من (١٠٠) إلى (٣٠,٠٠٠) جينة تقريباً (ولو أنه من المستحيل حساب عددها الصحيح) ، وتعتبر (الجينات) من أدق الأجسام إذ يبلغ سمك الجينة الواحدة حوالي ١ / ٤ ملايين من السنتيمتر تقريباً ، في حين أن طولها يبلغ حوالي ١ / ٤٠٠٠ من السنتيمتر تقريباً ، ويتراوح قطر الخلية في جسم الإنسان بين (٠,٠٢ ـ ٠,٠٨) من المليمتر تقريباً .

واللب الذي تتكون منه الجينات هو الحمض النووي الريبي المنقوص الأكسجين *ribonucheiøue diosy* ويرمز له اختصاراً بـ(*DNA*) ، ويتوضع هذا الحمض النووي في نوى الخلايا الحية حيث يدخل في بنية الجينات والكروموسومات ، ويعتبر الـ(*DNA*) بتناسخه العامل الوراثي الهام في نقل الصفات الوراثية من جيل إلى جيل ، وإن كمية الحمض النووي (*DNA*) في أي من الخلايا الحية أو في أي من الكائنات الحية مقدارها ثابت ومحدد بشكل دقيق جداً ، ولا علاقة لهذه الكمية بأي شكل من الأشكال بظروف الوسط الخارجي أو التغذية الخارجية أو العوامل المختلفة المؤثرة على عمليات استقلاب *Metabolism* الخلية ، وتثبت هذه الخاصية أن جزيئات الحمض النووي (*DNA*) في الخلية هي المادة الوراثية الوحيدة في الخلية الحية . . وكقاعدة عامة فإن كمية الحمض النووي (*DNA*) يتزايد مقدارها مع ازدياد درجة التعقيد للخلية الحية ، وبالتالي تزداد كمية الإعلام الوراثي الموجودة في الخلية الحية كلما كان الكائن الحي أكثر تقدماً وتطوراً ، وكلما كانت كمية الحمض (*DN1*) في الخلية أكبر .

والوحدات الكيميائية الهيكلية الداخلة في تركيب جزيئات جميع الحموض النووية في الطبيعة بما فيها الـ(*DNA*) هي أسس (قواعد) آزوتية أربع (بالإضافة إلى السكر والفوسفات) كل منها له تركيب كيميائي مختلف . . وهذه الأسس هي : **(الآدينين**

Adenune) ويرمز له بالحرف (A) ، و (**التيمين Thymine**) ويرمز له بالحرف (T) ، و (**السيتوزين Cytosine**) ويرمز له بالحرف (C) ، و (**الجوانين Gwanine**) ويرمز له بالحرف (G) ، وتتالى هذه القواعد الآزوتية الأربع بترتيب وأشكال منوعة مختلفة مع ارتباطها مع بعض بشكل معين على طول جزيء الـ (DNA) يشكل (**النكليوتيدات Nucleotides**) ، التي هي الوحدات الهيكلية الأساسية في بناء (تركيب) جزيئة الـ (DNA) والحموض النووية عامة ، ذلك أن جزيئة الـ (DNA) تتكون من سلاسل طويلة من هذه النكلوتيدات المتتابعة علماً بأن تركيب الحامض النووي ribonucleicacid (RNA) يختلف عن تركيب الـ (DNA) بقاعدة آزوتية واحدة ، فيحل (**اليوراسيل uracil**) الذي نرمز له بالحرف (U) محل (التيمين) ، علماً بأن الحامض النووي للفيروس لا يتكون من أقل من (٥) جينات ، ولا يكون أكثر من عدة مئات من الجينات ، والفيروس (ØX174) أصغر أنواع الفيروسات المعروفة بآكلات الجراثيم Bactriophage يتكون من (٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠) نكليوتيدة ، والكروموسوم الواحد في الجرثوم (إشريشياكولي E.Coli) أكبر بحوالي (٢٠٠٠) مرة من كروموسوم الفيروس (ØX174) وبه حوالي (٤.٢) ملايين زوج من النكليوتيدات التي تنتظم على جزيئة (DNA) واحدة طويلة مضاعفة السلسلة يبلغ قطرها حوالي (٢٠) أنغستروم (الأنغستروم = $\frac{١}{١٠ \text{ آلاف مليون}}$ من المتر) ، ولكتابة الترتيب النكليوتيدي لجزيئات الحمض النووي (DNA) في كروموسومات خلية حية واحدة عند الإنسان تحتاج إلى حوالي (مليون) صفحة تقريباً ، ويقدر علماء الوراثة أنه لو أمكننا ترجمة التعليمات الوراثية التي ترسلها مادة الـ (DNA) في خلية إنسانية واحدة إلى اللغة الإنجليزية مثلاً فإنها ستملأ (١٠٠٠) مجلد من دائرة المعارف ، علماً بأن الترتيب النكليوتيدي لمعظم كروموسومات الإنسان ما زال مجهولا ، وترتيب تتابع هذه النكليوتيدات إضافة لمجموعها يخلق التنوع في الكائنات الحية وفي صفاتها وفي مسلكها التطوري ، فهي شيفرات codes وراثية مبرمجة لتكون هذا المخلوق الذي يختلف عن غيره من المخلوقات ، ولتعطي هذا المخلوق صفات ومسلكاً تطورياً يختلف عن غيره من المخلوقات ، وهذه الشيفرة الوراثية تحدد بدقة أنماط متغايرة مبدأ المخلوق ونهايته ، فهي بالأحرى شيفرة معلومات الكون والموجودات ، وفيها يكمن السر الكبير الذي يجسد عظمة الخالق (سبحانه) وبديع صنعه وإعجازه .

★ ★ ★

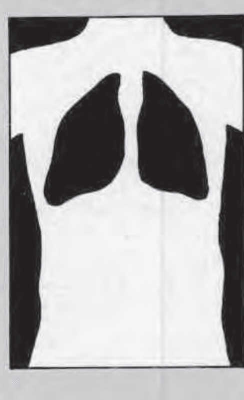
★ كروموسوم عملاق وتبدو بوضوح تام آلاف (الجينات) التي تنتظم فيه كحبات المسبحة ★



حقائق عن أخطر (١٠) أنواع من السرطان

جميع المعلومات والبيانات والتقديرات مقدمة من معهد السرطان القومي الأميركي (NCI) National Cancer Institute

سرطان الرئة
Lung Cancer



●● **الإصابات :** (١٤٤٠٠٠) إصابة جديدة في أميركا في عام (١٩٨٥ م) ، وهذه الإصابات تعادل ما نسبته (١٥ ٪) من إصابات كل أنواع السرطان ، ومع نهاية عام (١٩٨٥ م) ، نشر علماء معهد السرطان القومي الأميركي أخباراً سارة وأخباراً سيئة عن هذا السرطان ، فمن عام (١٩٨٢ ــ ١٩٨٣ م) ، انخفضت نسبة الإصابة بسرطان الرئة بين الرجال البيض لأكثر من نصف بالمائة ، بينما ازدادت نسبة الإصابة بين الرجال السود والنساء من كل الأجناس .

●● **معدل الوفيّات :** توفي في عام ١٩٨٥ م ، (١٢٦٠٠٠) شخص ، أو ما نسبته (٢٣ ٪) مما أهلكت جميع أنواع السرطانات الأخرى ، وهذه النسبة تتجاوز نسبة الوفيات التي سببها سرطان الثدي القاتل الأول للنساء .

●● **العوامل المسببة :** تدخين السجائر ، التعرض الصناعي للأسبستوس (الحرير الصخري) والزرنيخ (وخاصة بالنسبة للمدخنين) ، الغازات المشعة الموجودة في مناجم اليورانيوم ، نقص فيتامين (A) من الغذاء وخاصة عند المدخنين المدمنين ، تلوث الجو .

●● **الأعراض المنبهة (المحذرة) :** سعال متواصل ، بصاق ممزوج بالدم ، ألم في الصدر ، تكرار الإصابة بمرض ذات الرئة pneumonia أو التهاب الشعب bronchitis .

●● **الوقاية :** يبدأ تركز هذا السرطان بعد أن تظهر نقاط صغيرة كبقع على البطانة الداخلية في إحدى شعب القصبة الهوائية ، ومن الصعب جداً اكتشاف هذا السرطان وهو في مراحله الأولى ، وعموماً لا تظهر أعراضه إلا بعد أن ينتشر السرطان في الرئة ، ويساعد على تشخيصه فحص الصدر بواسطة أشعة (X) ، وتحليل البصاق خلوياً cytology والفحص بالمشعاب bronchoscopy الليفي البصري المرن (أداة أنبوبية لفحص شعبتي القصبة الهوائية) .

●● **العلاج :** الجراحة surgery ، والإشعاع radiation بالنسبة للأورام التي لا يمكن استئصالها جراحياً ، ثم بالمعالجة الكيميائية chemotherapy إذا انتشر السرطان في الجسم ، أو بالوسائل الثلاث .

سرطان القولون والمستقيم
Colon and rectum Cancer



●● **الإصابات :** (١٣٨٠٠٠) إصابة جديدة في أميركا في عام ١٩٨٥ م ، (٩٦٠٠٠) منها بسرطان القولون ، و(٤٢٠٠٠) بسرطان المستقيم ، ولهذا السرطان المشترك ثاني أعلى نسبة إصابة بعد سرطان الرئة (إذا استثنينا أنواع سرطان الجلد) .

●● **معدل الوفيات :** (٦٠٠٠٠) حالة وفاة في عام (١٩٨٥ م) ، في (أميركا) .

●● **العوامل المسببة :** تاريخ العائلة المرضي بالنسبة للإصابة بمرض السليلة المخاطية polyps (ورم في غشاء مخاطي) في القولون والمستقيم ، أو الإصابة بالتهاب الأمعاء ، وتقترح الأبحاث الحديثة بأن هناك مواداً معينة في الأمعاء لم يستطع العلماء تحديدها بدقة بعد ، وربما تكون هي التي تسبب هذا السرطان ، إضافة إلى تناول الأغذية ذات النسب العالية من الشحوم والدهون Fat ، ونقص الألياف fiber من الغذاء ربما يكون له بعض التأثير .

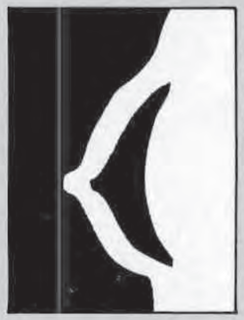
●● **الأعراض المنبهة :** النزيف الدموي من المستقيم ، دم في البراز ، تبدل في العادات المعوية .

●● **الوقاية :** الفحص المستقيمي الإصبعي ، اختبارات لكشف الدم في البراز ، والتنظير السيني والمستقيم Proctosingmoidoscopy ، وإذا اشتبه بوجود السرطان يستخدم **المنظار القولوني Colonoscopy** والفحص بأشعة (X) الباريوم .

●● **العلاج :** الجراحة ، وأحياناً يترافق العمل الجراحي مع الإشعاع إذا كان السرطان منتشراً ، وتختبر الآن بعض العقاقير drug ولكن بدون وعود آملة ، ويتضمن العمل الجراحي لمعالجة هذا السرطان استئصال منطقة الورم الخبيث أو جزء من المستقيم أو القولون بكامله ، وبعد الإجراءات الجراحية تفتح فتحة في القولون وفي جدار البطن لتسمح بإزالة مخلفات الجسد ، وعلى عكس الاعتقاد الشائع فإن عملية تفميم القولون (عملية يراد بها فتح شرج صنعي في القولون) لا يحتاج إليها إلا نادراً ، ويضطر إليها تكراراً بالنسبة لسرطان المستقيم .

سرطان الثـدي

Breast Canaer



●● **الإصابات :** (١١٩٠٠٠) إصابة جديدة في أمريكا في عام (١٩٨٥ م) .

●● **معدل الوفيات :** (٣٨٤٠٠) حالة وفاة في عام (١٩٨٥ م) .

●● **العوامل المسببة :** السن فوق الـ (٥٠) عاماً ، تاريخ الأسرة السابق بالنسبة للإصابة بسرطان الثدي ، عدم إنجاب أولاد أو إنجاب الطفل الأول بعد سن الثلاثين ، البداية المبكرة للطمث (الحيض) ، تأخر سن اليأس ، أمراض ثديية حميدة ، التعرض لجرعات كبيرة من الإشعاع ، الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية العالية ، تناول حبوب منع الحمل وهرمون الاستروجين ، البدانة ، تناول الأغذية ذات النسب العالية من الدهون .

●● **الأعراض المنبهة :** تبدلات مستمرة في حالة الثدي تظهر على إثرها تكتلات أو تغلظات دقيقة في نسيجه ، ظهور تورمات أو تضخمات أو نقر صغيرة في كتلة الثدي ، تهيج جلدي ، بروز حلمة الثدي ، آلام أو أوجاع عند مس الثدي .

●● **الوقاية :** فحص ذاتي شهري للثدي لكل امرأة بلغت سن العشرين وما فوق ، أخذ صورة خطية قاعدية baselinemammogtam للثدي لكل امرأة من سن الـ (٣٥ ــ ٣٩) ، تصوير الثدي mammography كل عام أو عامين لكل امرأة من سن الـ (٤٠ ــ ٤٩) بعد الاعتماد على العوامل المنبهة ، تصوير الثدي كل عام لمن تجاوزت سن الخمسين عاماً .

●● **العلاج :** أشكال مختلفة من العمل الجراحي تتفاوت بين الاستئصال الموضعي للورم إلى استئصال الثدي بالكامل ، الإشعاع ، المعالجة الكيميائية ، المعالجة بالهرمونات .

سرطان الجلد

skin Cancer



●● **الإصابات :** أكثر من (٤٠٠٠٠٠) إصابة جديدة في أمريكا في عام (١٩٨٥ م) ، والقسم الأكبر منها من إصابات سرطانات جلد الخلايا الحرشفية والقاعدية القابلة للشفاء ، ويعتبر **سرطان الورم الملانـي** (القتاميني Malignant melanoma) من أخطر أنواع سرطان الجلد فهو يقتل حوالي (٢٢٠٠٠) شخص كل عام .

●● **معدل الوفيات :** (٧٤٠٠) حالة وفاة في عام (١٩٨٥ م) ، في أمريكا ، منها (٥٥٠٠) حالة وفاة من سرطان الورم الملانـي .

●● **العوامل المسببة :** بَشَرة شقراء ، التعرض الطويل لأشعة الشمس وخاصة بين الساعة العاشرة قبل الظهر والساعة الثالثة بعده ، عندما تكون الأشعة فوق البنفسجية قوية ، تعرض الاختصاصيين بالطاقة المشعة للإشعاع ، تعرض عمال المناجم الإشعاعية للإشعاع ، تعرض العاملين في قطران الفحم والزفت والكريوسيت (سائل زيتي يستحضر لتقطير القطران) ومركبات الزرنيخ ، وقد أثبتت الدراسات الحديثة على أن الندوب المحترقة في جلود الرجال السود أو التلوثات المزمنة تجعلهم عرضة للإصابة بسرطان الجلد .

●● **الأعراض المنبهة :** تبدل في حجم أو لون أي خال أو شامة على الجلد ، ظهور أي بقع أو لطخ جلدية صبغية داكنة أخرى ، وعموماً تكون ألوان بدايات سرطانات الخلايا الحرشفية والقاعدية الجلدية شاحبة ، وتكون كعقد صغيرة (عجيرات modules) لؤلؤية ناعمة لينة ، وتكون كبقع بلون أحمر محرشف محدد واضح ، ويتحدد السرطان الملانـي الخطير عادة بظهور تصبغات سوداء أو بنية داكنة سمراء تبرز من على سطح الجلد كبروزات النموات الشبيهة ببروزات الخال أو الشامة الصغيرة ، حيث تكبر وتتوسع ويتغير لونها ، ثم تتقرح وينزف الدم من أي أذى أو جرح بسيط تتعرض له .

●● **الوقاية :** ملاحظة التبدلات في البروزات التي تظهر على سطح الجلد أو أي نموات أخرى .

●● **العلاج :** بالنسبة لسرطان الورم الملانـي تستأصل جراحياً النموات الأولية البدائية التي تظهر على سطح الجلد ، ويكون ضرورياً استئصال العقد اللمفاوية القريبة منها ، والإشعاع والتجفيف الكهربائي elsctrodesiccation (تدمير النسيج بالحرارة) وجراحة التجميد (القرية) cryosurgery (تدمير الأنسجة بالتجميد) أيضاً عمليات أساسية للقضاء على هذا السرطان ، ويفكر العلماء الباحثون الآن في استخدام فيتامين (A) الضروري للنمو الطبيعي لنسج الجسم لمكافحته ، كما يعملون على إنتاج لقاحات ربما تزيد من مقدرة النظام المناعي في الجسم على مقاومة السرطان والقضاء عليه .

سرطان البروستات

Prostate Cancer



●● **الإصابات :** (٨٦٠٠٠) إصابة جديدة في أمريكا في عام (١٩٨٥ م) . والنسبة الكبيرة من الإصابات كانت بين الرجال الذين تخطوا سن الـ (٦٥) عاماً .

●● **معدل الوفيات :** (٢٥٥٠٠) حالة وفاة في عام (١٩٨٥ م) .

●● **العوامل المسببة :** نسبة الإصابة بين الرجال السود الأمريكيين أعلى نسبة في العالم ، ويمكن أن يكون سبب هذا بتأثير تناولهم **الأغذية عالية نسبة الدهون** التي تنتج بدورها **الهرمونات الجنسية** (تنمو خلايا البروستات وتنشط بالاعتماد على الهرمون الذكري التستوستيرون الذي يتشكل في الخصي) ، ونسب حدوث سرطان البروستات بين اليابانيين الموجودين في جزر هاواي الذين يتناولون أغذية ذات نسب دهون مرتفعة أعلى من نسب حدوثه بين اليابانيين الموجودين في اليابان ، وتكون نسب الإصابة مشابهة عند أتباع الطائفة الدينية الأميركية المورمون الذين يتناولون أغذية ذات نسب دهون مرتفعة ، وأمكنة العمل التي تجرى بها عمليات اللحام بالكادميوم (عنصر فلزي أبيض شبيه بالقصدير) وأماكن الطلي بالكهرباء وأماكن إنتاج البطاريات القلوية ، جميعها أماكن تعرض لحدوث هذا السرطان .

●● **الأعراض المنبهة :** غالباً لا تكون لهذا السرطان أعراض في مراحله المبكرة ، وبعد أن تنمو الأورام تتوسع غدة البروستات وتضغط على الإحليل (مجرى البول) وتسبب ضعفاً عاماً في جريان البول ، وتكرار للتبول (خاصة في الليل) ، وصعوبة في عملية التبول ، ودم يظهر في البول ، وتألم أثناء التبول ، وألم في الورك والمقعد والحوض .

●● **الوقاية :** الفحص المستقيمي الإصبعي الوسيلة الأفضل لكشف السرطان في مراحله المبكرة ، وإذا كان هناك شك بحدوث السرطان يجرى الفحص بأشعة (X) ، وتحليل البول كيميائياً ، واختبارات للدم تتبع الدراسات الجهرية .

●● **العلاج :** تقنيات جراحية عديدة تتضمن إجراءات للشق الجراحي ، وواحدة منها تدعى الجراحة عبر الإحليل تجرى لمعالجة مرض البروستات الحميد والسرطانات البدائية الصغيرة وهذه لا تتطلب أي شق ، وبدلا من ذلك تدخل أداة خاصة خلال القضيب وينزع الورم ، وعندما ينتشر السرطان خارج غشاء النسيج الضام الذي يلف غدة البروستات يكون العلاج بالجراحة أو الإشعاع ، أو بالاثنين معاً ، وإذا كان الانتشار واسعاً يجب استئصال الخصي بكاملها (خلايا سرطان البروستات تعتمد أيضاً في نموها على الهرمونات الجنسية الذكرية) ، أو العلاج بالهرمون الأنثوي الاستروجين الذي يبطل تأثيرات هرمون التستوستيرون .

سرطان الرحم

Uterine Cancer



●● **الإصابات :** (٢٥٠٠٠) حالة جديدة في أمريكا في عام (١٩٨٥ م) ، منها (١٥٠٠٠) حالة سرطان **عنق الرحم** cervix ، و(٣٧٠٠٠) حالة سرطان **بطانة الرحم** endometrium .

●● **معدل الوفيات :** (٦٨٠٠٠) حالة وفاة في أمريكا في عام (١٩٨٥ م) ، من سرطان عنق الرحم ، و(٢٩٠٠) حالة وفاة من سرطان بطانة الرحم .

●● **العوامل المسببة :** بالنسبة لسرطان عنق الرحم تعدد رفقاء الجنس ، الاتصال الجنسي الأول في سن مبكرة لأن نسيج عنق الرحم يتبدل أثناء البلوغ ويمكن أن يكون حساساً سريع التأثر وربما يترافق هذا مع مرض تناسلي ، وبالنسبة للسرطان البطاني الرحمي فإنه يصيب من هن في سن الخمسين عاماً أو أكثر ، وتاريخ الإخصاب ، والبدانة ، وتأخر سن اليأس ، والإحاضة المبكرة ، والمعالجة الطويلة بهرمون الاستروجين .

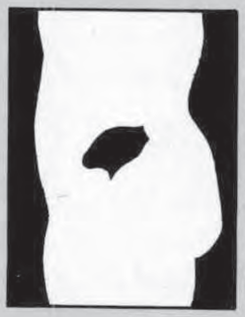
●● **الأعراض المنبهة :** نزيف ما بعد سن اليأس ، إفرازات غير طبيعية .

●● **الوقاية :** اختبار حلمة الثدي له تأثير قوي للحماية المبكرة من سرطان عنق الرحم ، ويكون هذا بحدود الحماية الفعلية لنسبة (٥٠٪) فقط بالنسبة للسرطان البطاني الرحمي ، فحص عينة من نسيج بطانة الرحم لمن هن في سن اليأس .

●● **العلاج :** الجراحة أو الإشعاع ، أو الاثنان معاً ، وتبدلات ما قبل التشكل في عنق الرحم يمكن أن تعالج بجراحة **التجميد والتخثير الكهربائي** electrocoagulation (تدمير النسيج خلال حرارة كثيفة من تيار كهربائي) أو بالجراحة الموضعية ، وقبل أن يتشكل السرطان البطاني الرحمي يمكن أن تعالج التبدلات بهرمون البروجسترون ، واستئصال الرحم هو العلاج الطبيعي لسرطان عنق الرحم وللسرطان البطاني الرحمي إذا ما انتشر السرطان .

سرطان المثانة

Bladder Cancer



●● **الإصابات:** (٤٠٠٠٠) حالة جديدة في أميركا في عام (١٩٨٥ م)، وعدد إصابات الرجال ثلاثة أضعاف عدد إصابات النساء.

●● **معدل الوفيات:** (١٠٨٠٠) حالة وفاة في عام (١٩٨٥ م).

●● **العوامل المسببة:** تدخين السجائر، التعرض لمركبات أمينات العطور، العمل في أماكن دباغة الجلود والأصبغة والصناعات المطاطية وتزيين شعر النساء، والرسامون والدهّانون وعمال المطابع والنسيج والمحليات السكرية.

●● **الأعراض المنبهة:** بول مخلوط بدم بألم أو بدون ألم، زيادة مرات التبول المتكررة، تشنج في عضلات المثانة.

●● **العلاج:** الجراحة، الإشعاع، العقاقير.

سرطان الفم

Oral Cancer



●● **الإصابات:** (٢٩٠٠٠) حالة جديدة في أميركا في عام (١٩٨٥ م).

●● **معدل الوفيات:** (٩٥٠٠) حالة وفاة في عام (١٩٨٥ م).

●● **العوامل المسببة:** التدخين، مضغ التبغ، الإدمان على المشروبات، الأسنان الاصطناعية والجسور الرديئة التركيب في الفم، الأسنان المعطوبة والحادة التي تسبب التهيجات أو التلوثات.

●● **العوامل المنبهة:** ألم وتقرح في الفم يجعله يدمي بسهولة ولا يشفى، تكتلات وتثخنات في الفم، ظهور بقع صغيرة كنقط بيضاء أو حمراء لا تزول وتجعل المضغ والبلع صعباً، حركة اللسان والفكان صعبة.

●● **الوقاية:** الفحص السني النظامي.

●● **العلاج:** الإشعاع، الجراحة، والمعالجة الكيميائية تحت الدراسة.

سرطان ابيضاض الدم

Leukemia



●● **الإصابات:** (٢٥٠٠٠) حالة جديدة في أميركا في عام (١٩٨٥ م)، نصفها حالات خطيرة جداً ونصفها غير خطير، وضحاياها (٢٢٥٠٠) من الكبار و(٢٥٠٠) من الأطفال.

●● **معدل الوفيات:** (١٧٠٠٠) حالة وفاة في عام (١٩٨٥ م).

●● **العوامل المسببة:** النوع الخطير: حمى، عقد لمفاوية كبيرة، إعياء، ألم مفاصل وعظام، شحوب، ميل للنزيف السهل والجروح، تلوث متكرر. **النوع غير الخطير:** عموماً تكون أعراض خبيثة وشعور عام بتوعك صحي يترافق بإعياء وفقد للشهية وتعرق ليلي.

●● **الوقاية:** اختبارات وتحاليل نخاعية عظمية ودموية.

●● **العلاج:** العلاج الكيميائي مؤثر جداً ويترافق مع العلاج بالإشعاع، وزرع نخاع العظام.

سرطان المعدة

Stomach Cancwe



●● **الإصابات:** (٢٤٧٠٠) حالة جديدة في أميركا في عام (١٩٨٥ م).

●● **معدل الوفيات:** (١٤٣٠٠) حالة وفاة في عام (١٩٨٥ م).

●● **العوامل المسببة:** عوامل بيئية مسيطرة، التهام كميات كبيرة من المخللات المملحة والأغذية المدخنة، أمراض تؤثر في بطانة المعدة، تدخين السجائر، الإشعاع.

●● **الأعراض المنبهة:** أعراض مشابهة للأمراض المضمية: آلام بطنية جوفية شديدة تدوم لأكثر من ست ساعات، تقيؤ دموي، دم في البراز، حمى دائمة لا تفسير لها، فقد الوزن، اليرقان، ألم عند البلع.

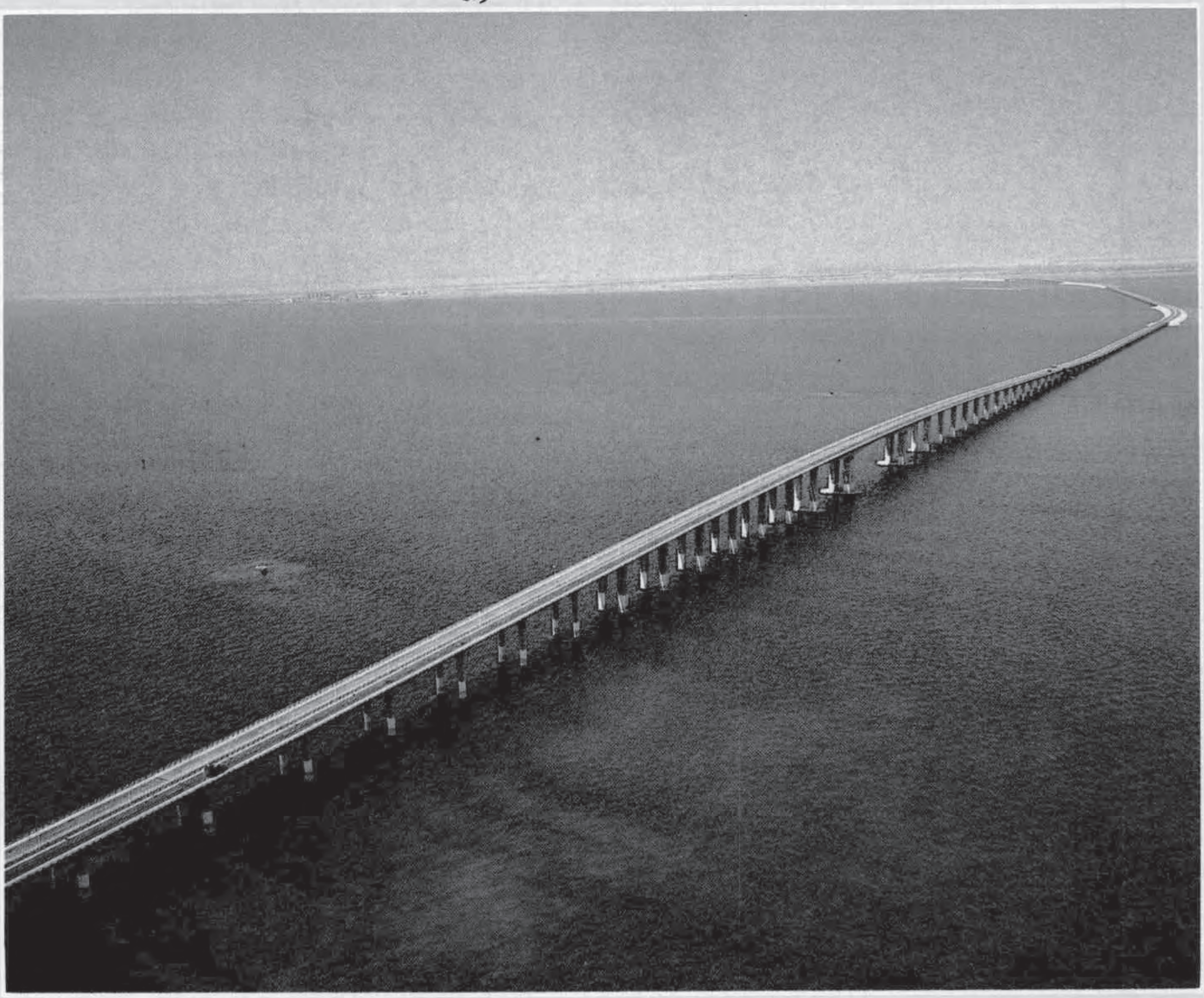
●● **العلاج:** لأن هذا السرطان لا يكتشف إلا بعد أن يتقدم المرض ويستفحل السرطان فالمعالجة تكون صعبة، والإجراء الجراحي الطبيعي هو استئصال المعدة بكاملها أو جزء منها.



جسر الملك فهد

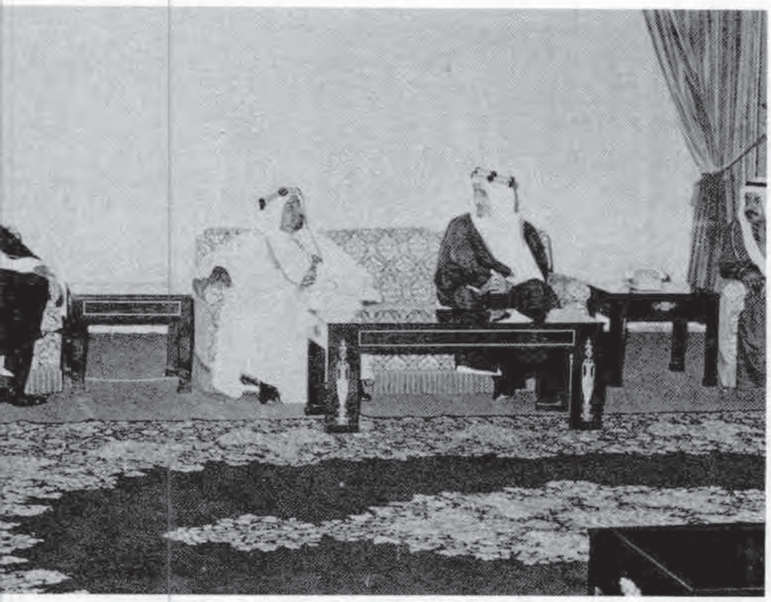
(السعودية / البحرين)
العلاقة .. والتاريخ .. والمستقبل

إعداد : محمد فكري أنور





★ الملك عبد العزيز ، والشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير البحرين والعلاقات العميقة ★



★ الملك فيصل بن عبد العزيز ، والملك خالد بن عبد العزيز ، وسمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البحرين (حالياً) ، وسمو رئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة .. امتداد العلاقات ★

في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول لعام ألف وأربعمائة وسبع سنوات خلت للهجرة (٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ م) ، تم افتتاح جسر الملك فهد ، الذي يربط البحرين بالمملكة العربية السعودية .

وفي هذا اليوم بدأ مرور السيارات الخاصة والحافلات على هذا الجسر الأسمنتي ، الذي يعد ثاني جسر من نوعه في عالم اليوم ، والأول في منطقة الشرق الأوسط .. نقول بدأ مرور السيارات على جسر الملك فهد فيما بين دولتي المملكة العربية السعودية والبحرين الشقيقتين .

الجسر لم يخلق علاقة كانت غير قائمة ، ولم يبتكر قربى كانت عراها مفقودة .. لكنه جسّد بمفهوم معطيات العصر علاقة قديمة قدم التاريخ ، وأخوة متأصلة بين أبناء البلدين ، ضاربة بجذورها العميقة ، في وجدان وتراث وعواطف وأخوة الشعبين الشقيقين .

وفي التاريخ المعاصر نذكر تلك الكلمات النابضة بالإخاء والحب ، التي بعث بها المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، بعد عودته من زيارة قام بها إلى البحرين في عام ١٣٥٨ هـ .

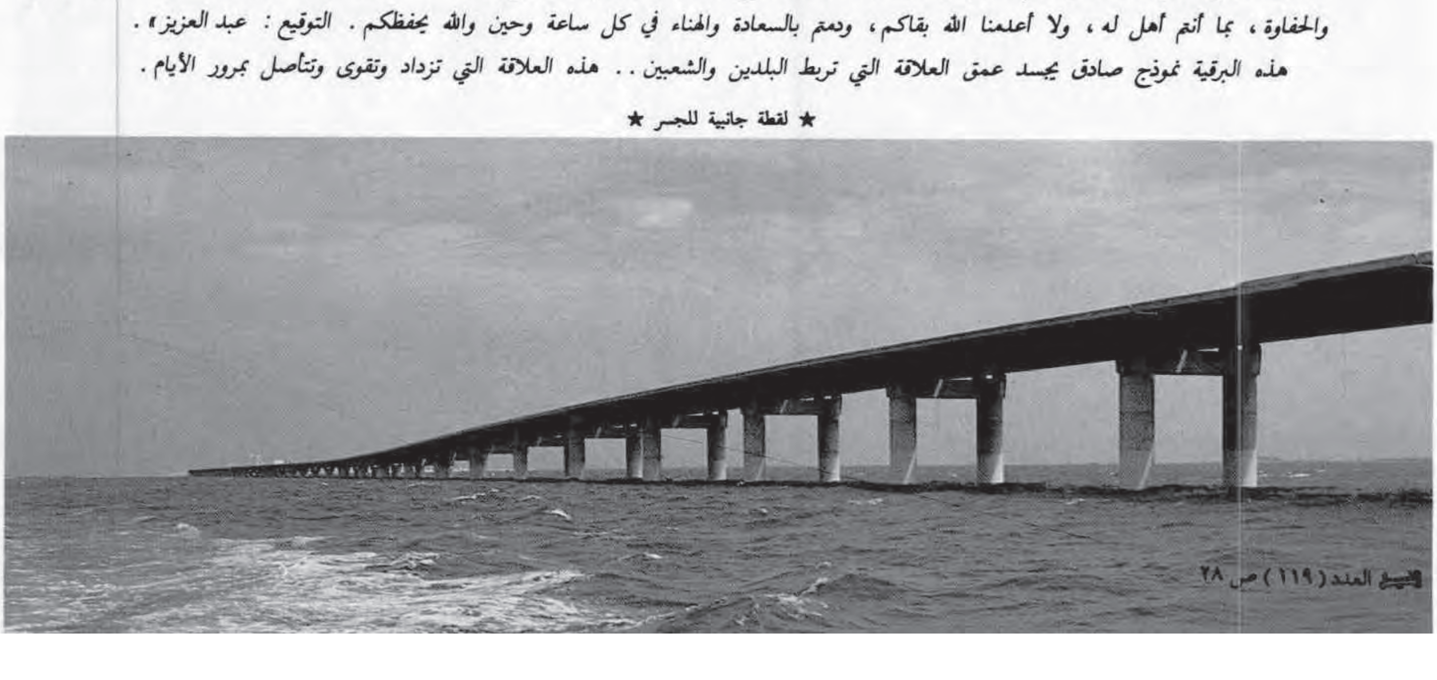
بعث رحمه الله تعالى إلى أخيه الشيخ **حمد بن عيسى آل خليفة** أمير البحرين بالبرقية التالية :

«حضرة صاحب السمو أخينا الشيخ حمد .. أدام الله لنا بقاه .

نخبر سموكم بالراحة والسهالة ، ببركة الله ثم ببركاتكم قد وصلنا محلكم في الظهران الساعة الخامسة والنصف في أتم راحة واطمئنان . والقلب يأسف كل الأسف ، والخاطر في قلق من فراق سموكم مع إخواننا الكرام وشعبنا المحبوب . ولكن بما أنه لو تفرقت الأجسام فالقلوب مجتمعة ، فالرجا من الله العزيز أن يجعله ليس بآخر العهد ، وأن يتم التلاقي في أقرب وقت وحين ، مع أننا نشكر سموكم العزيز مع إخواننا الكرام وشعبنا المحبوب بما لاقيناه من الإكرام والحفاوة ، بما أنتم أهل له ، ولا أعدمنا الله بقاكم ، ودمتم بالسعادة والهناء في كل ساعة وحين والله يحفظكم . التوقيع : عبد العزيز» .

هذه البرقية نموذج صادق يجسد عمق العلاقة التي تربط البلدين والشعبين .. هذه العلاقة التي تزداد وتقوى وتتأصل بمرور الأيام .

★ لقطة جانبية للجسر ★





★ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، وسمو الشيخ عيسى بن سلمان ، وسمو ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين .. وتـواصل العلاقات (في زيارة تفقدية لموقع الجسر في ١٠ أبريل (نيسان) ١٩٨٦م) ★



★ سمو الشيخ أمير البحرين وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد .. لقاء الأخوة ★

كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

أزاح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية ، يحفظه الله ، الستار عن اللوحة التذكارية للجسر قائلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى بركة الله ..

ثم تحدث قائلاً :

«لقد كان بودي أن أكتفي بما قاله أخي وحبيبي وصديقي منذ قديم ، وحتى الآن ، سمو الأمير عيسى بن سلمان آل خليفة .. بيد أنني أريد أن أقول إن هذا الجسر هو من منجزات القرن العشرين.

ولقد سبقني بعض الإخوان إلى القول إنه ربما كان أن أحداً لم يكن يصدق أنه من الممكن أن يقام مثل هذا الجسر الذي كان فكرة ، وكان الاعتقاد بأن من الصعوبة بمكان تنفيذها .. إلا أنه والحمد لله ها نحن نلمس ونرى بأعيننا كيف أمكن تنفيذ هذا الجسر الذي كنا قد وضعنا الحجر الأساسي له عندما كنا في مؤتمر قادة مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، الذي عقد آنذاك في البحرين . وهكذا شاءت إرادة الله أن يفتتح الآن هذا الجسر . فلله الحمد والشكر» .

★ الجزيرة الصناعية للجسر ★





★ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، وسمو أمير البحرين بمناسبة افتتاح الجسر يوم ١٤٠٧/٣/٢٤هـ ، الموافق ١٩٨٦/١١/٢٦م ★

كلمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين

﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ صدق الله العظيم.

«أخي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية ، أصحاب السمو والسعادة .. أيها الحفل الكريم :

في تاريخ الأمم والشعوب أيام تسطر على جبين الزمن أمجاداً تحفل بمعان سامية وقيم أصيلة هي دائماً مشاعل التوجّه إلى المستقبل . وأحسب أننا نعيش اليوم واحداً من هذه الأيام الخالدة . ففي هذه اللحظات يقف التاريخ شاهداً يحيي هذا الإنجاز الشامخ الذي يسعدنا أن نطلق عليه اسم «جسر الملك فهد» .

وإني لأنتهز هذه المناسبة لأزجي إلى أخي العزيز خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية الشقيقة عظيم الشكر والتقدير على تشريفه لنا بزيارة البحرين تأكيداً لمدى الصلات المتميزة بين البلدين الشقيقين وما يجمعهما من علاقات على مدى الأزمان والحقب مستمدة جذوتها من الصلة الروحية التي تسري في كيان الجسد الخليجي الواحد .

أخي خادم الحرمين الشريفين .. أصحاب السمو والسعادة :

إننا نرى في هذه المناسبة العظيمة عنواناً مضيئاً لتضامننا يجسد قيمة التواصل الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به ، فهو النبراس الذي نهتدي به ، وسنظل على عهده ملتزمين ، مؤمنين دائماً وأبداً .

إن ما يجمع البلدين الشقيقين ، المملكة العربية السعودية والبحرين هي علاقة وجود ، لا علاقة حدود ، تجلت في أروع صورها في هذا الإنجاز الشامخ ليربط مهبط الوحي بملتقى الحضارات ، وليبرز دليلاً على وضوح رؤيتنا ونفاذها إلى الحقائق والأماني والأهداف الواحدة . فتهنئة تزف إلى شعبي المملكة العربية السعودية والبحرين ، وإلى شعوب أسرتنا الخليجية والعائلة العربية وأمتنا الإسلامية .. راجين الله العلي القدير أن يهبنا العزم لمزيد من التضامن والتآزر يعمق صلات الود والتعاون بيننا على هدي من ديننا الحنيف ، وقيمنا ، ومبادئنا الأصيلة .. لتستمر شجرة العطاء دائماً وارفة خضراء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» .



★ حجر الأساس .. واللوحة التذكارية ★



★ الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء يضغط على زر إنزال الجسر النهائي ★

قصة الجسر

بعد انتهاء **الحرب العالمية الثانية** شهدت الجزيرة العربية ودول الخليج العربي نمواً اقتصادياً متسعاً ، وذلك نتيجة مجموعة من الأسباب نذكر من بينها ما يلي :

★ **أولا :** اكتشاف النفط في دول الخليج العربية بكميات جعلت من النفط مصدراً أساسياً لتمويل مشروعات التنمية والنشاط التجاري .

★ **ثانياً :** اكتمال حصول دول المنطقة على استقلالها الوطني وقيام حكومات وطنية من أبنائها تسهر على تدبير شؤونها .

★ **ثالثاً :** علاقات الأخوة والجوار التاريخية التي تربط دول الخليج العربية بعلاقات وثيقة أثمرت مؤخراً عن إنشاء **«مجلس التعاون لدول الخليج العربية»** .

وبالنسبة لكل من المملكة العربية السعودية والبحرين ، فقد فرض اتساع حجم المعاملات التجارية بين الدولتين ضرورة إنشاء هذا الجسر .. فكانت الخطوات والأحداث والإجراءات التالية :

●● **في عام ١٩٦٥ م :** تبلورت فكرة إنشاء الجسر ، وذلك أثناء الزيارة التي قام بها المغفور له الملك الشهيد **فيصل بن عبد العزيز** إلى المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية . وكان الشيخ **خليفة بن سلمان آل خليفة** ، رئيس وزراء البحرين ، قد وصل إلى المنطقة الشرقية على رأس وفد للسلام على جلالته . وخلال تلك الزيارة أعرب الملك فيصل عن رغبته في بناء هذا الجسر .

●● **في ربيع عام ١٩٦٦ م :** قام الشيخ **عيسى بن سلمان آل خليفة** ، أمير البحرين ، بزيارة إلى المملكة . وخلال لقاء سموه بصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز وزير الداخلية في ذلك الوقت (وخادم الحرمين الشريفين ملك المملكة العربية السعودية حالياً) ، طرح الشيخ عيسى فكرة تنفيذ إقامة الجسر التي دعا إليها الملك فيصل بن عبد العزيز .

●● **في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ م :** شكلت لجنة مشتركة من البلدين (المملكة العربية السعودية ودولة البحرين) لدراسة إمكانية تنفيذ المشروع . وقد قامت اللجنة بدراسات ميدانية لتقدير حجم التكاليف ، كما طلبت استشارة **البنك الدولي** في المشروع من خلال اختيار أفضل السبل لتنفيذ إقامة صرح كبير كهذا ، نظراً لتشعب جوانبه البيئية والجغرافية .

●● **في صيف عام ١٩٧٣ م :** وفي مدينة جدة ، عقد اجتماع حضره الملك فيصل ، رحمه الله ، والشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ، والأمير فهد بن عبد العزيز (خادم الحرمين الشريفين حالياً) ، والشيخ خليفة بن سلمان . وفي ذلك الاجتماع طلب الملك فيصل أن تتجاوز اللجنة في دراساتها النواحي الاقتصادية والمالية ، وأن يعتبر الجسر من المشروعات ذات الطابع الوطني .

●● **في أواخر عام ١٩٧٥ م :** قدم البنك الدولي دراساته عن الجوانب الجغرافية ، والبيئية ، والتيارات البحرية .

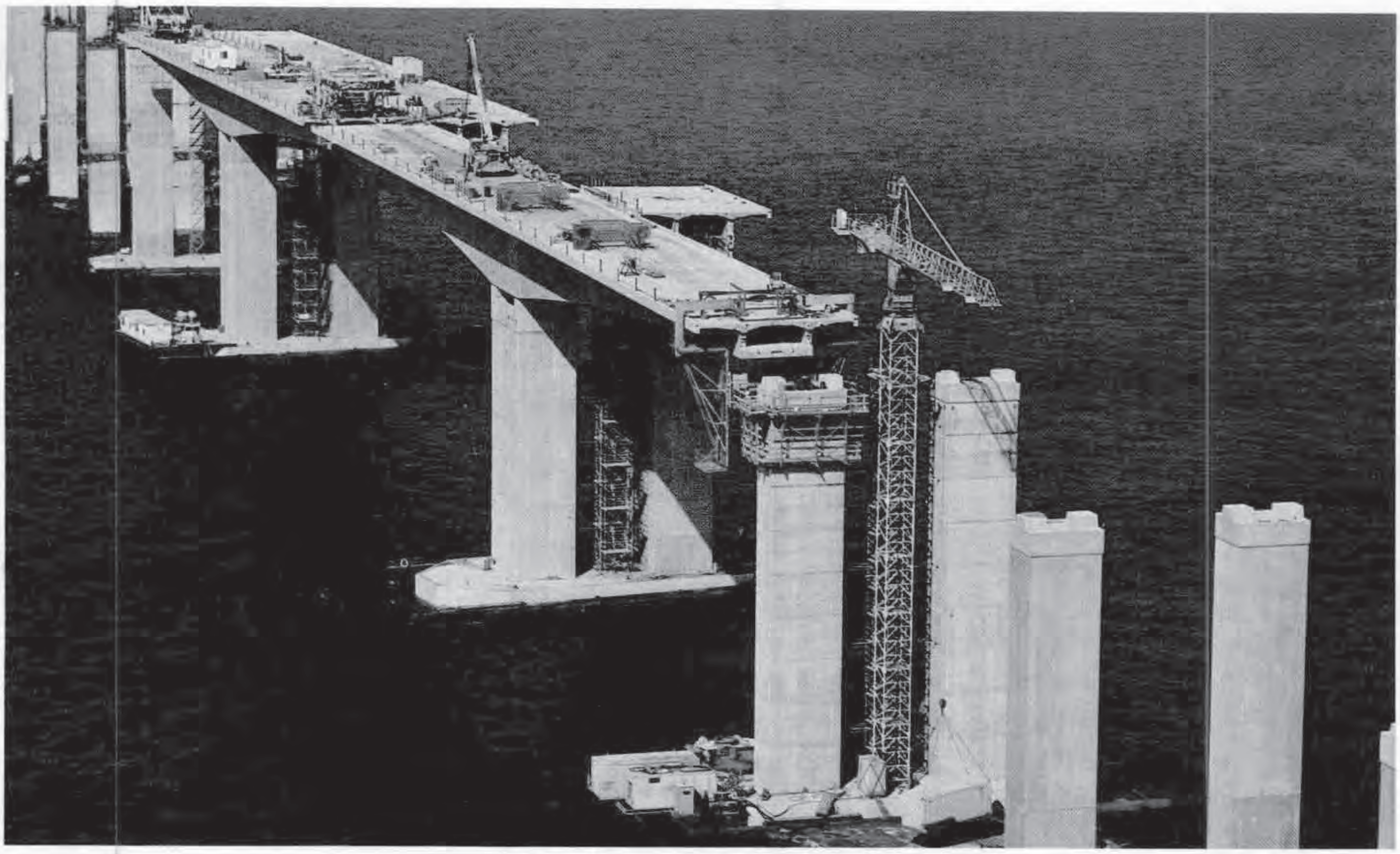
●● **في ربيع عام ١٩٧٦ م :** قام المغفور له جلالة **الملك خالد بن عبد العزيز** بزيارة إلى دولة البحرين ، اتفق خلالها على تشكيل لجنة وزارية من البلدين للعمل على تنفيذ المشروع .

●● **في ٨ يوليو (تموز) ١٩٨١ م :** وقّع الأستاذ **محمد أبا الخيل** ، وزير المالية السعودي ، ورئيس اللجنة ، باسم المملكة العربية السعودية ـ نيابة عن لجنة المشروع ـ عقد إرساء تنفيذ الجسر على **شركة «بالاست نيدام» الهولندية** ، لتنفيذ القسم الأول والرئيسي من المشروع ، وهو المسار البحري بين الساحلين السعودي والبحريني .

●● **في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٨١ م :** بدأ العمل رسمياً في المشروع .

●● **في ٢٤ أبريل (نيسان) ١٩٨٢ م :** بدأت عمليات إنشاء الجسر بين المملكة والبحرين ، الذي استغرق حوالي ثلاث سنوات .

●● **في ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢ م :** قام خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز** ، والشيخ عيسى بن حمد آل خليفة ،



★ الجسر . . في إحدى مراحل التأسيس ★

بوضع **حجر الأساس** للمشروع ، وذلك في احتفال كبير حضره قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

●● **في ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٨٣ م :** تم تثبيت أول قاعدة من قواعد الجسر .

●● **في ٢٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٥ م :** وقّع الأستاذ محمد أبا الخيل وزير المالية السعودي ، والأستاذ **يوسف الشيراوي** ، وزير التنمية والصناعة البحريني عقد إنشاء المؤسسة العامة للجسر السعودي/البحريني ، التي سوف تضطلع بإدارته وتشغيله وصيانته .

●● **في ٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ م :** صدر بالمملكة العربية السعودية مرسوم ملكي بالمصادقة على **اتفاقية إنشاء المؤسسة العامة للجسر السعودي/البحريني** . وكذلك الأمر في دولة البحرين .

●● **في ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ م :** تم استلام مشروع الجسر استلاماً مبدئياً .

خطة العمل

تضمنت خطة بناء الجسر ، وما يتبعه من مرافق ، توقيع وتنفيذ أربعة عقود بيانها كما يلي :

★ **العقد الأول :** ويشمل إنشاء الجسور والردميات بتكلفة (٢٠٥٣) مليون ريال سعودي .

★ **العقد الثاني :** ويختص بعملية إنشاء جزيرة صناعية تقع بين حدود البلدين ، وتشمل منطقة الخدمات ومحطات الوقود بتكاليف (٣١٦) مليون ريال سعودي .

★ **العقد الثالث :** ويتعلق بإقامة طرق الاقتراب والتقاطعات من بداية الجسر وحتى شبكات الطرق الرئيسية بالمملكة العربية السعودية بتكلفة (٢٠٠) مليون ريال سعودي .

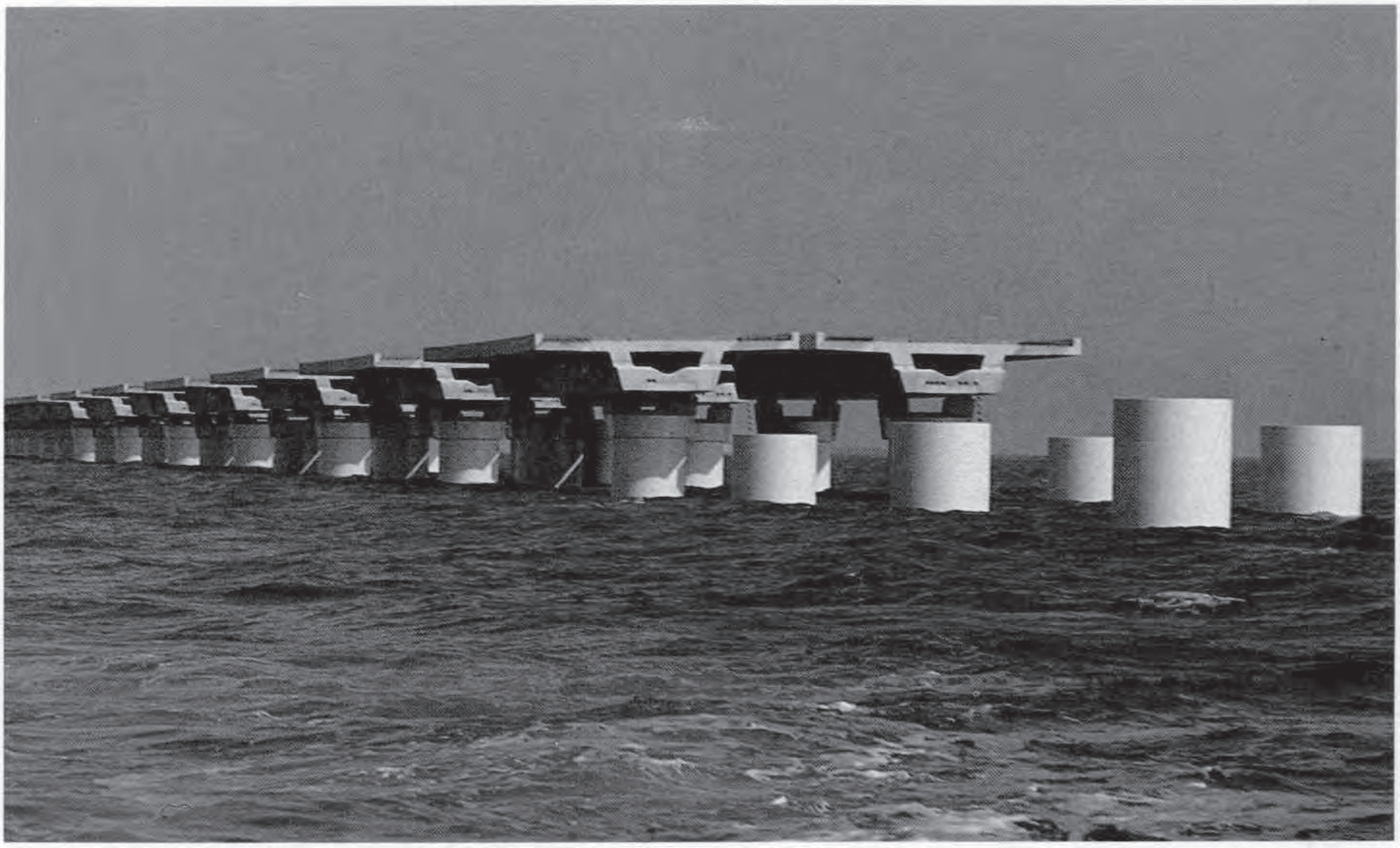
★ **العقد الرابع :** ويتعلق بإقامة طرق الاقتراب والتقاطعات التي تربط بين دولة البحرين والجسر وذلك بتكلفة (١٢٠) مليون ريال سعودي .

هذا ، بالإضافة إلى تكاليف الإشراف الفني والإداري التي بلغت (٨٠) مليون ريال سعودي . وبهذا **بلغت التكلفة الإجمالية للجسر (٢٧٦٩) مليون ريال سعودي** ، (أي ما يعادل سبعمائة وثمانية وثلاثين مليوناً وأربعمائة ألف دولار أمريكي تقريباً) .

وهكذا دار دولاب العمل وتحول الأمل إلى حقيقة .

أما خطة العمل فقد تضمنت إنشاء جزيرتين صناعيتين على جانبي الجسر من الناحية السعودية والبحرينية ، كل منهما على مساحة ستمائة كيلومتر مربع ، كما تم إقامة مكاتب للإدارات الحكومية والجمارك والجوازات والأمن العام وسلاح الحدود والدفاع المدني . وفي كل منطقة حدودية يوجد مطعم على برج يرتفع إلى حوالي خمسين متراً ، إلى جانب البنوك وغيرها من المرافق لخدمة المسافرين .

ويتضمن المشروع خمسة جسور في المياه العميقة ، تفصل بينها سبعة ردميات في المناطق الضحلة ، وطولها الإجمالي خمسة وعشرين كيلومتراً . .



★ قواعد الجسر.. مرحلة من مراحل الإنشاء ★

نصفها من الجسور، والنصف الآخر من الردميات. ويتكون الجسر من مسارين في كل اتجاه، ومسار للطوارئ على الجانبين، ويفصل بين الاتجاهين جزيرة صغيرة، مع حواجز حديدية.

أما الجسور، فهي من الأسمنت المسلح المسبق الصنع، ويبلغ طول القطعة الواحدة ٢٦ متراً، وعرضها ١١ متراً، ووزنها ألف وثلاثمائة طن. هذا، وقد تم إنشاء قواعد كبيرة من الخرسانة المسلحة وذلك لكي لا تتسبب عملية الحفر في اختراق الصخور التي تحجز المياه الجوفية وتتباعد الأعمدة من بعضها في الاتجاه الطويل بمسافة قدرها خمسين متراً.

هذا، وقد أطلقت أرقام مراحل الردميات والجسور وفق بدايتها من الشاطئ السعودي. والجسر الرئيسي يحمل رقم (٣)، ويرتفع عن سطح البحر بحوالي ٣٢,٥ متراً، ويحتوي على ممر ملاحي مخصص لأن يكون معبراً رئيسياً للسفن الكبيرة التابعة للبحرية السعودية وشركة أرامكو وغيرهما. أما القوارب وسفن الصيد فيمكنها استخدام ممرات الملاحة الأخرى عبر الجسور التي ترتفع عشرة أمتار عن سطح البحر.

كما تم إنشاء طريقين رئيسيين تتخللهما تقاطعات متعددة في كل من السعودية والبحرين لربط الجسر بشبكة الطرق الرئيسية تسهيلاً لعملية مرور المركبات الصغيرة والشاحنات، ويبلغ طولها (٣٠٢) كيلومتر في المملكة العربية السعودية و(١٣) كيلومتراً في البحرين.

أما عند مدخل الجسر.. من الطرف السعودي، فقد أقيمت محطة لوزن الشاحنات للتأكد من أن أحمالها لا تتعدى الأحمال المسموح بعبورها فوق الجسر.

الجسر.. في أرقام

★ طول الجسر (٢٥) كيلومتراً، نصفها من الجسور، والنصف الآخر من الردميات.

★ طول الردميات ١٢٤٩٥,٠٥ متراً.

★ طول الجسور ١٢,٥ كيلومتراً.

★ استخدمت في بناء الجسر: (٤٧٠٠٠) طن حديد، (١٦٠٠٠٠) طن أسمنت حراري، (٧٧٠٠٠) متر مكعب رمال، (٣١٤٠٠٠٠) متر مكعب من الحجارة، (٩,٥) أطنان من الصخور.

★ بلغ إجمالي مكعب الخرسانة المسلحة المستخدمة في بناء الجسر (٣٥٠) ألف متر مكعب.

وإلى جانب هذه الخامات والميكنة العالية المستوى، التي تم بها تنفيذ بناء الجسر، تجدر الإشارة إلى الإمكانات والخدمات التالية:

(أ) ضمن الإمكانات المتوفرة للمشروع، تم **إنشاء محطة لتحلية المياه**، لا يقتصر استخدامها على عمليات خلط الأسمنت والركام فحسب، بل استخدمت مياهها أيضاً في غسل الرمال والصلبوخ (الزلط) المستخدم في الخرسانة.

(ب) أنشئت منصة عائمة لمتابعة أعمال الإنشاء على الماء.

(ج) أقيمت رافعة عائمة.

(د) صمم قاربان كبيران لدق أساسات الدعائم.



★ هكذا يبدو الجسر في مرحلته النهائية ★

(هـ) استخدمت حفارة كبيرة مزودة بجهاز قطع ومضخة هائلة .

الجسر .. والمردود الاقتصادي

مما لا شك فيه أن الجسر يشكل جزءً هاماً وأساسياً من مشروعات التكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عن طريق زيادة حجم التبادل التجاري وانتقال السلع والبضائع لسد احتياجات البلدين منها . ومن ثم تتضح تلك الآثار في مجالات التجارة ، والزراعة ، والصناعات الغذائية ، والصناعة ، والنقل ، والبنوك والاستثمار ، والمقاولات والاستثمار العقاري ، والسياحة ، وغير ذلك من أوجه النشاط الاقتصادي ، على نحو ما يرد إيضاح بعضه فيما يلي :

أ ـ التبادل التجاري : يعود التبادل التجاري بين البلدين (السعودية والبحرين) إلى عهود قديمة جداً ، حيث كانت السعودية تستورد **اللؤلؤ** من البحرين وتصدر إليها **التمور** . أما في الوقت الحاضر فإن البحرين تستورد من السعودية الذهب ، والحلي ، والمجوهرات ، والألمونيوم ، والسيارات ، ووسائل النقل ، والآلات ، والأجهزة ، والمعدات الكهربائية ، والخضروات ، والفواكه ، والبقول .. ومن المنتظر أن يؤدي وجود الجسر إلى مزيد من خفض تكلفة السلع الممكن تبادلها بين الدولتين ، ومن ثم تنشيط القطاع التجاري بينهما من خلال إتاحة فرصة النقل عن طريق البر الأقل كلفة والأكثر سرعة وسهولة .

ب ـ النشاط الزراعي : من المتوقع أن يحقق قطاع الزراعة نشاطاً وتقدماً ملحوظين في ظل هذا الجسر . وتتمثل تلك الأنشطة في استخدام الشاحنات البرية في نقل المحاصيل الزراعية إلى البحرين ، وفتح أسواق جديدة أمام منتجات المزارع الصغيرة بالسعودية ، والمحافظة على اعتدال أسعار المنتجات الزراعية ، وظهور منتجات مصانع الألبان في أسواق دولة البحرين .

هذا ، ولقد تمثلت أولى ثمار الجسر ــ في مجال القطاع الزراعي ــ في قرار دولة البحرين باستيراد أربعة آلاف طن من القمح السعودي عوضاً عن استيراد احتياجات البحرين من القمح من دولة **أستراليا** .

جـ ـ قطاع الصناعة : يتوقع ازدياد صادرات السعودية من الحديد إلى البحرين ، وارتفاع صادرات البحرين من الألمونيوم إلى المملكة .

وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن المملكة العربية السعودية قدمت إلى دولة البحرين إسهامات عديدة في مجال الصناعة نورد منها ما يلي :

★ تمويل مشروع ألمونيوم البحرين .

★ تمويل مشروع البتروكيماويات .

★ التوقيع على اتفاقية تمويل تشييد محطة تحلية المياه في منطقة « الدول » بجنوب البحرين ، وذلك في شهر شوال عام ١٤٠٤ هـ .

د ـ قطاع النقل : من المتوقع ازدياد الإقبال على وسائل النقل البحري ــ بين المملكة والبحرين ــ وانخفاض عدد الرحلات الجوية ، واقتصار الرحلات البحرية على النشاط السياحي .. الأمر الذي سيؤدي إلى تنامي الطلب على الشاحنات السعودية .



★ الحياة تدب على الجسر ★

هذا ، ويوضح الجدول التالي إجمالي الصادرات والواردات بين كل من المملكة العربية السعودية والبحرين خلال الفترة من ١٩٨٠ م ، إلى ١٩٨٤ م ، (القيمة بالمليون ريال سعودي) .

البيـــان	١٩٨٠م	١٩٨١م	١٩٨٢م	١٩٨٣م	١٩٨٤م
صادرات إلى البحرين	٧١,٣٥٠	٦٨,١٩٨	١٢٣,٣٩١	١١٦,٢٠١	١٦٨,٧١٢
واردات من البحرين	٣٠٠,٩	٥٤٤,٢	٧٤٢,٢	٤٢٤,٧	٢٢٠,٧

هـ ـ النشاط السياحي : كانت أولى ثمرات الجسر ـ وقد تحققت قبل افتتاحه رسمياً بعدة شهور ـ هي موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على مرور الحجاج البحرينيين عبر الجسر لأداء شعائر الحج ، وكان ذلك في موسم الحج لعام ١٤٠٦ هـ .

وبمتابعة حركة السياحة بين السعودية والبحرين يتضح أن عدد زوّار البحرين من السعودية ـ عام ١٩٨٣ م ـ قد بلغ (١٦٨٤٢٧) زائراً (بمعدل ٢٨ ٪ من إجمالي زوّار البحرين القادمين من دول العالم) . وأما عدد البحرينيين القادمين إلى السعودية في نفس العام فقد كان (١٨٩١٦٨) قادماً (بنسبة ٣٢ ٪ من مغادري البحرين إلى دول العالم) .

وبالنسبة لمشروعات تنشيط السياحة بين البلدين ، فقد صدر عن الديوان الأميري بالبحرين ـ قبل افتتاح الجسر بأيام قليلة ـ قرار بإنشاء **شركة للمشاريع السياحية في البحرين** ، لتنشيط السياحة تحسباً لتزايد النشاط السياحي بعد افتتاح الجسر .

وفي أول ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٦ م ، بدأت « **الشركة السعودية البحرينية للنقل** » تسيير حافلاتها من نقطة تقع شمال السوق المركزي بالمنامة (عاصمة البحرين) وابتداء من شارع الملك فيصل الدائري ، المطل على الخليج . . مروراً بالجسر ، وانتهاءً خلف المبنى القديم لإمارة المنطقة الشرقية بمدينة الدمام بالمملكة العربية السعودية .

كما تم أيضاً إنشاء شركة للتأمين على السيارات العابرة فوق الجسر برأسمال قدره مليون دينار بحريني (حوالي ٣,٥ ملايين دولار أميريكي) . ومن المتوقع أن يصل عدد المسافرين على الجسر خلال العام الأول حوالي خمسين ألف مسافر (بمعدل من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ سيارة يومياً) .

أوائل سياح الجسر

ذكرت تقارير صحف محلية ، أن فنادق البحرين لم تستطع استيعاب سياح دخلوا البلاد عبر جسر الملك فهد ، الذي يربط البحرين بالمملكة العربية السعودية في عطلة نهاية الأسبوع .

وتحدث مديرو الفنادق عن شغل غرف فنادقهم بنسبة ١٠٠ ٪ ، مما اضطرهم إلى الاستعانة بالشقق ، لاستضافة بعض السياح الذين تعذر إيجاد غرف شاغرة لهم .

وقالت إحصائية نشرتها الصحف إن ١٦,٦٢٨ شخصاً و ٥,١٨٨ سيارة عبرت الجسر يوم الجمعة في ١٤٠٧/٤/٤ هـ ، الموافق ١٩٨٦/١٢/٥ م ، مما أدى إلى التزاحم والتأخر عدة ساعات للمرور .

وبهذا يتجاوز الواقع كل حدود التخمينات والتوقعات .



★ الجسر . . وعناق فجر جديد من العلاقات الصادقة والحب الذي لا ينضب ★

رسـوم التأميـن

في المنطقة الحدودية بـدولة البحـرين تم افتتــاح شركة للتـأمين على السيارات ، التي تعبر الجسر ، وفق الرسوم التالية للسيارات الخاصة :

لمدة (٧) أيام ، سبعة دنانير ، والشهر بأربعة عشر ديناراً ، والثلاثة شهور بخمسة وثلاثين ديناراً ، والستة شهور بخمسين ديناراً ، ومن ستة أشهر إلى عـام كامل بثمانين ديناراً ، واليوم الواحد بدينار واحـد (الـدينار البحريني يســاوي حوالي ٣ دولارات أميريكية) .

رسـوم المـرور

حددت المؤسسة العامة للجسر رسوم عبور السيارات بـأنواعها على الجسر كما يلي :

ــ سيارات الركاب الصغيرة والصالونات : عشرون ريالا سعودياً .

ــ الشاحنات الصغيرة (الونيتات) سـواء للـركوب أو للنقـل : ثـلاثون ريالا .

ــ الحافلات الصغيرة (٢٥ راكباً) : ثلاثون ريالا .

ــ الحافلات الكبيرة (أكثر من ٢٥ راكباً) : خمسون ريالا .

وسوف تستخدم حصيلة رسوم المرور في الإنفاق على أغـراض التشـغيل ، والصيانة ، والنظافة . . بالإضافة إلى ما تقدمه حكومتا المملكة والبحرين مـن دعم ومعونة .

الوثائق المطلوبة للعبور

يجب أن يصطحب السائق الوثائق التـالي بيانها عنـد عبـور جسر الملك فهد :

ــ شهادة ملكية وفحص المركبة وضرورة صلاحيتها .

ــ رخصة القيادة الصالحة لنوع المركبة المستخدمة .

ــ شهادة التأمين على المركبة .

ــ شهادة تفويض من المالك الأصلي للمركبة ، إذا كان غير متـواجد فيها أثناء العبور إلى الجسر ، وتكون مصدقة من إدارة المرور والتراخيص .

المركبات الممنوع مرورها

ــ الدرّاجات النارية بأنواعها .

ــ عربات الحيوانات والجر .

ــ الحيوانات غير المنقولة بمركبات .

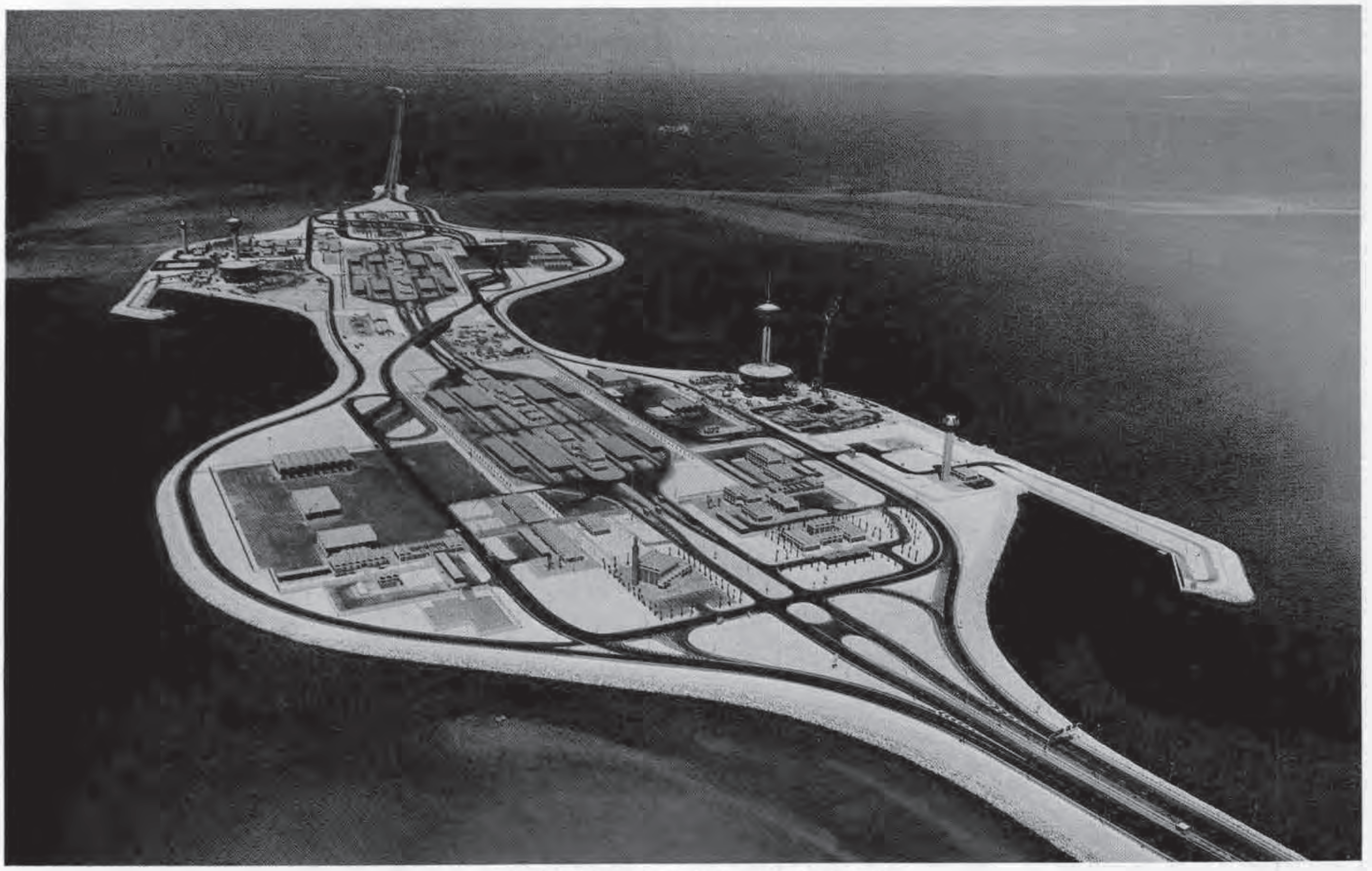
بالإضافة إلى عدم السماح للمشاة بالسير على الجسر .

التصرفات الممنوعة

ــ التوقف بالمركبة فوق الجسر بدون سبب اضطراري .

ــ صيد الأسماك .

ــ ممارسة الأعمال التجارية .



★ الجزيرة الصناعية .. اللقاء التاريخي لعلاقات الأخوة ★

الرحلات البرية

تقوم الشركة السعودية ـ البحرينية المشتركة لنقل الركاب بتسيير الحافلات التابعة لها في ثماني رحلات يومية ـ بواقع رحلة كل ساعتين بين البلدين ـ وتبدأ الرحلات من الساعة الثامنة صباحاً ، وحتى الساعة الثامنة والنصف من مساء كل يوم بما فيها إجازة نهاية الأسبوع .

هذا ، وقد عبرت الجسر أول حافلة في تمام الساعة الثامنة من صباح يوم السبت ، الموافق ١٤٠٧/٣/٢٧ هـ ، (١٩٨٦/١١/٢٩ م) .

الافتتــاح

بمناسبة الاحتفال الذي أقيم بالبحرين يوم الأربعاء ١٤٠٧/١١/٢٤ هـ ، لافتتاح جسر الملك فهد ، تفضل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، ملك المملكة العربية السعودية بإهداء **وشاح الملك فيصل** إلى كل من :

ـ السيد يوسف الشيراوي ، وزير التنمية والصناعة ، ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء البحريني .

ـ سمو الشيخ عيسى بن عبد الله آل خليفة ، وكيل وزارة التنمية والصناعة بالبحرين .

كما أهدى خادم الحرمين الشريفين أوسمة إلى كل من :

ـ الدكتور صالح العمير ، نائب وزير المالية ورئيس المؤسسة العامة للجسر السعودي ـ البحريني .

ـ وإلى المهندسين السعوديين الذين شاركوا في تنفيذ الجسر .

كما قدم الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ، أمير دولة البحرين ، **وسام البحرين من الدرجة الأولى** إلى كل من :

ـ السيد محمد أبا الخيل ، وزير المالية والاقتصاد الوطني بالسعودية .

ـ الدكتور صالح العمير ، نائب وزير المالية ورئيس المؤسسة العامة للجسر .

أيضاً .. واحتفالا بنفس المناسبة أعلنت مؤسسة النقد بالبحرين عن طرحها للبيع عشرة آلاف ميدالية ذهبية تذكارية .. وزن كل منها أوقية واحدة من الذهب ، ومصنوعة في سويسرا ، بمبلغ (١٨٠) ديناراً بحرينياً (حوالي ٤٨٠ دولاراً) للواحدة ، وعلى أحد وجهي الميدالية توجد صورة خادم الحرمين الشريفين ، وصورة لأمير البحرين ، وعلى الوجه الثاني صورة لجسر الملك فهد .

أسمـاء الجسـر

قبل يوم الاحتفال بافتتاح الجسر أطلقت عليه عدة تسميات نذكر منها :
(جسر السعودية ـ البحرين ، الجسر السعودي ـ البحريني ، جسر الوطن الواحد ، جسر المحبة ، جسر الحب) .

وفي حفل الافتتاح أطلق عليه الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ، أمير البحرين ، اسم «**جسر الملك فهد**» ، وذلك في كلمة سموه في الحفل .

* * *

قالوا عن الجسر..

●● إن هذا الجسر سيزيد من الروابط الاجتماعية بين البلدين ، وستعود فوائده على شعبي المملكة والبحرين .

الأمير
سلمان بن عبد العزيز
أمير منطقة الرياض





●● يأتي التصميم على إنشاء الجسر من قبل الحكومتين الشقيقتين ترجمة لتطلعات المواطنين في دول مجلس التعاون بما يعود عليهم بالخير وتبادل المنافع إن شاء الله .

الأمير
محمد بن فهد بن عبد العزيز
أمير المنطقة الشرقية

●● إن وجود هذا الجسر سيدعم من التواصل الاجتماعي القائم بين الشعبين الشقيقين ، كما أن هذا الجسر يمثل همزة وصل برية لأول مرة تربط البحرين بشقيقاتها في المنطقة .

طارق المؤيد
وزير الإعلام البحريني

●● إن جسر السعودية ـ البحرين رمز للتلاحم بين شعوب المنطقة ويرتكز على أسس عميقة الجذور من المحبة والتلاقي عبر التاريخ الواحد والمصير والأمل المشترك .

الشيخ
خليفة بن سلمان آل خليفة
رئيس وزراء البحرين



●● حتى لو لم تنجز دول مجلس التعاون فيما بينها سوى جسر البحرين ـ السعودية لكان ذلك يكفي للتدليل على صدق النوايا في الربط الاستراتيجي بين شعوب المنطقة والمصالح اليومية لمواطنيها .

من تقرير لمعهد الدراسات الاستراتيجية بلندن







●● لا شك أن جسر المملكة ـ البحرين وسيلة من وسائل التواصل بين أبناء المنطقة بشكل عام .

الأمير فهد بن سلمان
نائب أمير المنطقة الشرقية

●● الجسر بلا شك وسيلة حضارية ومشروع عملاق جسّد الحلم ليصبح واقعاً ينبض بالحيوية بين بلدين تربطهما روابط قلبية كبيرة على المستوى الرسمي والشعبي .

الأمير سلطان بن سلمان
رائد الفضاء
العربي المسلم الأول

طوابع تذكارية



بمناسبة افتتاح جسر الملك فهد ، أصدرت إدارة البريد بوزارة المواصلات البحرينية ، ثلاثة طوابع تذكارية :

★ **الأول :** فئة ١٠٠ فلس ، وتتوسطه صورة لجزء من الجسر .

★ **الثاني :** فئة ٥٠ فلساً ، بوسطه صورة للجزيرة الصناعية التابعة للجسر .

★ **الثالث :** فئة ١٥ فلساً ، وعليه صورة جسم الجسر .

والطوابع الثلاثة ، تحمل في أعلى الجانب الأيسر منها ، صورة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، وفي الركن الأيمن العلوي ، صورة سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البحرين .

فحص المواد الغذائية

أعلنت إدارة الصحة العامة بالبحرين أنه قد تركبت ـ على الجسر ـ أجهزة لفحص المواد الغذائية والتأكد من خلوها من الإشعاعات النووية .

عن جسر الملك فهد

ضربٌ من العشق

شعر: غازي القصيبي

ضربٌ من العشق .. لا دربٌ من الحجرِ ... هذا الذي طار بالواحات للجُزُرِ
ساق الخيام إلى الشطآن فانزلقت ... عبرَ المياه شراعاً أبيض الخفرِ
ماذا أرى؟ زورقاً في اليمِّ مندفعاً؟ ... أم أنه جملٌ ما ملَّ من سفرِ
وهذهِ أغنيات الغوص في أذني؟ ... أم الحُداة شدوا بالشعر في السَّحرِ
واستيقظت نخلةٌ وسنى توشوشني ... مَنْ طوّق النخل بالأصداف والدُّررِ؟
نسيتُ أين أنا .. إن "الرياض" هُنا ... مع "المنامة" مشغولان بالسَّمرِ
وهذهِ "جدَّةٌ" جاءت بأنجمها؟ ... أم "المحرّق" جاءتنا مع القمرِ؟
أم أنها "مسقطُ" السمراء زائرتي؟ ... أم أنها "الدوحة" الخضراء في قطرِ؟
أم "الكويتُ" التي حيّت فهمتُ بها؟ ... أم أنها "العينُ" كم في العينِ من حَوَرِ؟
بدْوٌ وبحارةٌ .. ما الفرق بينهما ... والبرُّ والبحرُ ينسابان من مضرِ؟
خليج .. إنَّ حبال الله تربطنا ... فهل يُقرِّبنا خيطٌ من البشرِ؟

لوحة وفنان

★★ اللوحة : «حلم» ★★

● تصور الفنانة مارتنيك في اللوحة المعروضة أحد مشاهد أحلامها ، أي إنها جسدت الحلم في إبداع فني يتسم بالرمزية ، التي هي من مقومات الأحلام بالإضافة إلى الطفولة ، والواقع المعاش ، والرغبات المكبوتة ، والأحزان والأفراح والآلام والآمال ، أي الرؤى التي تعكس كل هذه المقومات في إطار رمزي يتسم بالخيال .

● اعتمدت الفنانة في تصويرها الحلم على الأسلوب السيريالي ، فهو الأسلوب الأمثل في التصوير والتعبير عن الأحلام ، نظراً لاعتماده على إطلاق الفنان للأفكار المكبوتة لتظهر وتتضح من خلال التعبيرات الفنية ، وعلى اللاشعور حيث هو المصدر الأساسي لغالبية الأفكار والتصورات والانفعالات التي تقوم عليها السيريالية ، والتي ترتبط بأحلامنا وبالأوقات التي تطغى فيها خيالاتنا على أفكارنا ، فتتداعى صور وخيالات في وعينا منطلقة أساساً من واقعنا .

● صورت الفنانة فتاة تسير وسط عالم يتسم بالسحر والغموض ، بين أشجار كثيفة متداخلة زاهية الألوان ، ونباتات غريبة يظهر من خلالها بوضوح زهرة بيضاء ، وطاووس جميل يقف في زهو وكبرياء ، ويظهر في الخلفية فتاة أخرى ترتدي الزي الياباني حاملة طائراً أبيض ، وفارساً ممتطياً جواده وحاملاً حريته كأنه يبرز من أعماق الليل حيث يظهر ضوء القمر في حياء وسط تناغم من الألوان الزرقاء وأطياف من الألوان البنفسجية ، وقصر ياباني الطراز يظهر من بعد من بين الأشجار الكثيفة يظهر في ضوء النهار في عالم ليلي كأنه أحد قصور الأساطير القديمة ..

تتداخل عوالم الفنانة وتتلاحم لتوحي بمناخ جمالي يرمز إلى السلام ، وتدل الرموز المستخدمة على ذلك كالطائر الأبيض والزهرة البيضاء والطاووس ، وحركة الفتاة نفسها التي تظهر في مقدمة اللوحة .

● لم تعتمد الفنانة على تشكيل محدد ، وإنما اعتمدت على تداخل وامتزاج الألوان ذات الطبيعة الحسية والنغمية ، التي ظهرت وكأنها سيمفونية لونية تعزف لحن السلام ، وذلك لتؤكد موضوع ومضمون لوحتها ، واتسمت ألوانها بالهارمونية بين الألوان المتضادة والمتوافقة المنسجمة ، كما اعتمدت على تداخل الأشكال ليشعر المتلقي بجو ومناخ الحلم الذي يتسم باللاواقعية ، أو بالعالم اللاواقعي المستمد رموزه من الواقع .

★★ الفنانة : مارتنيك ★★

● من مواليد ديترويت بأميركا عام ١٩٥٠ م .

● درست الفن في مدرسة منيبوليس الفنية ، ثم تابعت دراستها في معهد جنوب فلوريدا الفني .. وتقيم حالياً في الاستديو الخاص بها في ميامي مع زوجها الذي يعمل بالفن أيضاً .

● شاركت بعدة معارض دولية منها : (المعرض الفني الدولي في شيكاغو ، معرض نادي الراكيت واليخت في جزيرة تيرنبري ، معرض بيرل ويونيفورن في فلوريدا ، معرض ميناء باي في فلوريدا ، عدة معارض في متحف الفن في كوكونت بفلوريدا) .

● أقامت معرضها الأول عن المرأة في قاعة داينسين بسوهو في نيويورك



وذلك في مارس (آذار) عام ١٩٨٤ م .

● تشارك بلوحاتها في كثير من قاعات العرض في الولايات المتحدة الأميركية خاصة قاعة إيسلبس بنيويورك ، ويغلب على لوحاتها «التشخيصية» التي تتسم بها فنون الشرق .

● تخطط الفنانة حالياً بأن يشمل اهتمامات ابداعها أنماطاً أخرى غير اليابانية مثل الإيرانية والمصرية حيث إن هذه الثقافات تقدم لها تنوعاً غنياً من التصميمات والجماليات .



الرّوتين


أقدم لك رئيس القسم الجديد... قل للزملاء إن الرجل عدو لدود "للبيروقراطية"!!

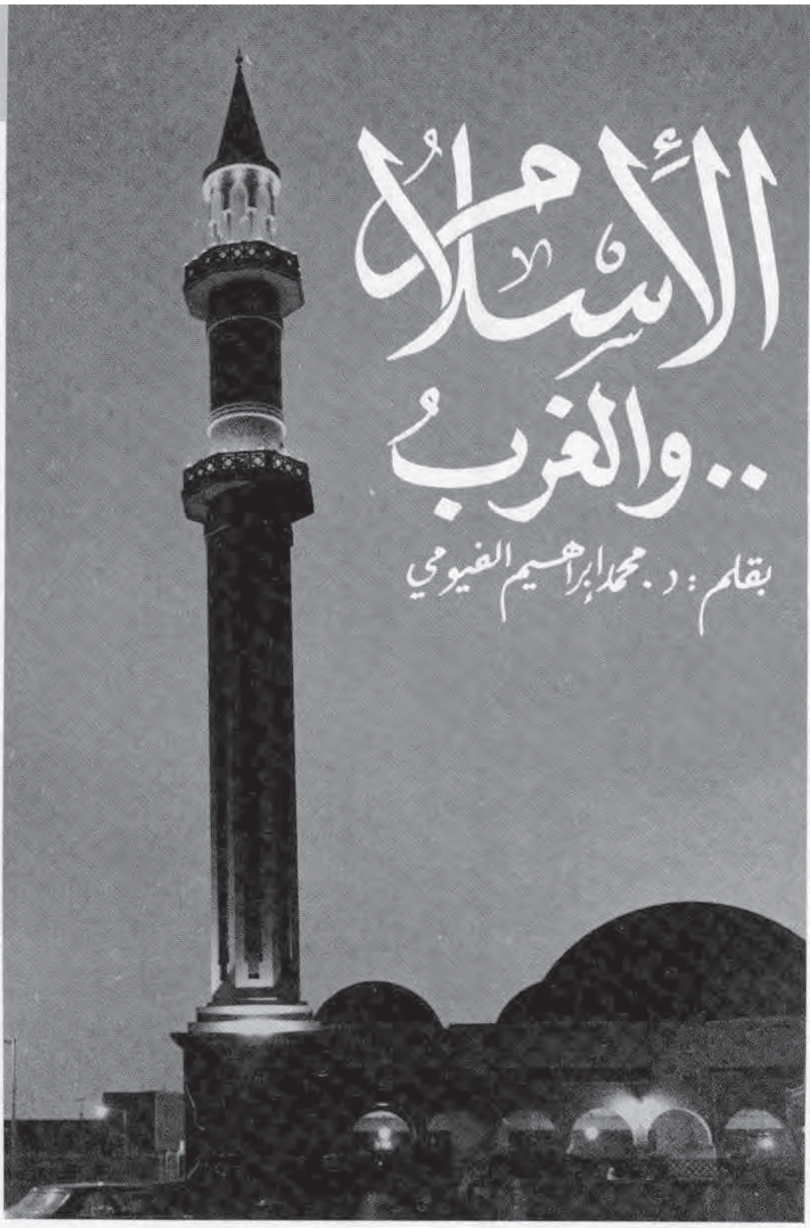
من ديوان الشعر السعودي

الواقعية

شعر: حسين أبوبكر قاضي

حيلة العاجز في دنياه آه ... ليتها ماتت عليها شفتاه
أنا إنسان قويّ !! فلأكن ... مثل العزّة في هذي الحياه
وإذا ما عاكس الدّهر الفتى ... فبما تجني من الإثم يداه
فأنا الزارع فلأصبر على ... ثمري حتى يوافي منتهاه
فشكاة الدهر لا تعجبني ... لا أرى ذنباً لدهري قد أتاه
والذي لم يأبه الدهر له ... بصروف! أو خطوب! يا عزاه
خائر ذلك في الناس انطوى ... سخط الدهر عليه فطواه
لا أرى للدهر أن يجعلني ... في كتاب الخلد سطراً قد محاه
منتهى الأيام مهما بلغت ... غمضة ينسى بها القلب أساه
فلتكن بعد كفاح طاحنٍ ... مستمدّ العون من روح الإله
هكذا الإيمان قد علّمنا ... وكذا لقننا الصيد الأباه
ميتة كالعير لا تعجبني ... وقنوع القلب أمر لا أراه
غايتي أرسمها لا أنثني ... ومرامي واسع الأفق مداه
كلنا للموتِ والموتُ لنا ... غاية كبرى فما جدوى الشكاه
أنا لا تعجبني الشكوى ولا ... ذلّة الرّحمة في سلوى الأساه
ربَّ رحمى ودّ حرّ أنه ... لقي الموت ولا نالت ذراه
أنا رحمى الناس لا تعجبني ... إنّما يعجبني صمت العتاه
ربَّ معنى شامت في رحمة ... كان خيراً منه ما تنعى النّعاه
إنما الشكوى إلى الله ومن ... قصد الله بإخلاص كفاه
إنما الشكوى إلى ذي قدرة ... خضعت ذلا له كل الجباه
واقعي أنا هذا مبدئي ... هكذا أقطع عمري في سناه
هدفي حددته لا أنثني ... أنا أرميه أو الدهر رماه

من قصيدته «الواقعية» ـ عن «شعراء الحجاز في العصر الحديث»



الإسلام .. والغرب

بقلم : د. محمد إبراهيم الفيومي

تشكلت صورة الإسلام في الغرب، لقرون طويلة، من خلال حدثين :

★ الحدث الأول : هو اتساع رقعة الإسلام في مرحلته الديناميكية، أي حركة الفتح الأولى حين نازل فيها الإمبراطورية الرومانية وعصف بها واقتطع منها بلداناً في حوض البحر الأبيض المتوسط كانت حتى ذاك الوقت تعد من بلدان العالم المسيحي الروماني.

من هذا الحدث اعتبر الغرب المسيحي : الإسلام منافساً له منافسة، عدائية اصطبغت بصبغة «أيديولوجية» خاصة في العصر الوسيط. لذلك نظم الغرب غزوه المسلح تحت راية الحرب المقدسة. وغاب عن الغرب الذي راح يبشر بالمسيحية تحت وطأة الحرب الصليبية في الشرق، أن المسيحية هي دين نشأ في الشرق أولا وأن الإسلام يرى في المسيحية أنها دين سماوي بيد أنها ليست خاتم الأديان إنما هو يكملها.

يقول جرونيباوم : وعلى الرغم من المؤتمرات الدولية التي كانت تحدث الفينة بعد الفينة، فإن الإسلام كان يؤثر في الوضع الأوروبي في معظم الأمر بظهوره في ثوب الخطر الدائم .. ثم يصف هذا الخطر بقوله :

وإن يكن خطراً سلبياً إلى حد ما ...

ثم يتابع فيقول : ولما كانت أوروبا ــ وهي أقل انطواءً على نفسها من خصمها ــ **أي الإسلام** ــ لم تكف عن التطلع جنوباً وشرقاً فإن وجود الإسلام ومثوله بقوة في الأذهان ظل يبدو لأعين الأوروبيين أضخم من حقيقته على الدوام ولم يحدث البتة على مر التاريخ أن حقيقة مفردة لعبت في ضوء العلاقات الدولية في العصور الوسطى دوراً أكبر من الذي لعبه وجود دولة قوية غامضة **(لا يمكن التكهن بحقيقتها)**، تقوم في الجانب الآخر من ذلك البحر الذي كان العرب كلفين بتسميته البحر المتوسط. ثم فيقول :

«وكانت الإمبراطورية البيزنطية خصم الإسلام اللجوج تكابد الأهوال لاضطرارها على الدوام إلى تكييف نظمها وسياستها وفق ضرورات الساعة وكان الخطر الإسلامي ماثلاً

في مخيلة كل بيزنطي وكان مجرد وجود الدولة الإسلامية . . . يضطر بيزنطة إلى التزام خطة التيقظ الدائم الأليم » . ثم يقول : **« ولم يبرح شعور العداء لبيزنطة يشتد في مناسبات عديدة حتى شارف القرن العاشر نهايته »** .

ثم يقول : **« والظاهر أن عوامل البغضاء والخوف والإعجاب وجاذبية المجهول كانت تعيش مجتمعة في عالم المسيحية طوال العصور الوسطى ، وكانت الحوادث هي التي تحدد أي هذه الانفعالات هو السائد في لحظة من اللحظات »** .

وسط الجو النفسي والفكري والسياسي تشكلت صورة الإسلام واتخذت صوراً منها : ـ (١) **« محمد » عند يوحنا الدمشقي :** يحدثنا يوحنا الدمشقي وهو يتناول الإسلام ، كيف أنه حدث في أيام الإمبراطور **« هرقل »** أن ظهر بين العرب متنبئ **(اسمه مامد)** وأنه اطلع على كتب العهد القديم والجديد ، ثم ما لبث بعد أن اتصل براهب من أتباع « آريوس » وقد استطاع بالتقوى أن يكسب قلوب قومه ثم أخبرهم بعد ذلك أن كتاباً مقدساً قد أنزل إليه من السماء يشتمل على تعاليمهم المقدسة وقدم إليهم الفرائض التي وضعها في ذلك الكتاب قائلاً : **إنها شريعتهم المقدسة .**

الصورة الثانية : ثيوفانيز (المتوفى ٨١٧م) :

وكان أول مؤرخ بيزنطي عالج أمر محمد (صلى الله عليه وسلم) والذي قدر لكتابه **« حياة النبي »** أن يكون مرجعاً هاماً لمن تلاه من الكتاب . . . والكتاب يرفض نفسه لأنه خال من المراجع .

يقول : في هذه السنة (٦١٢٢ من بدء الخليقة المقابل ٦٣٢م) توفي محمد (صلى الله عليه وسلم) حاكم العرب ونبيهم بعد أن عين قريبه **أبا بكر** خليفة له وفي نفس الوقت كان الخوف مستولياً على الجميع . وعند بداءة ظهوره ظن العبرانيون الضالون أن المسيح الذين كانوا يتوقعون ظهوره لذلك ، انضم إليه بعض كبارهم وتقبلوا دينه وهجروا دين **موسى** ، الذي رأى الله جهرة والذين فعلوا ذلك كانت عدتهم عشرة .

وقد لازموه حتى لقي نهايته . ثم عدلوا عن رأيهم عندما رأوه يأكل لحم الجمل . إذ أدركوا أنه ليس ما ظنوه أولا ، فتحيروا ولم يعرفوا ماذا يصنعون . وخاف التعساء من الارتداد عن دينه فرمونا نحن المسيحيين بتهم السلوك غير المشروع وواصلوا مناصرته . وبعد استطراد موجز في العلاقات الداخلية بين القبائل العربية ، يعود **« ثيوفانيز »** فيقول : ولما كان **محمد** (صلى الله عليه وسلم) المذكور فقيراً ، ويتيماً ، فإنه قرر أن يربط نفسه بامرأة ثرية من ذوي قرباه **هي خديجة** ، بأن جعل من نفسه وكيلاً لها لقاء أجر يتناوله ، يتولى شؤون إبلها ، ويقوم بأشغالها في مصر وفلسطين .

ولم يمض زمن طويل حتى فاز برضا السيدة . وكانت أيما بفضل طرائقه الصريحة فاتخذها له زوجاً .

وقد اختلط في فلسطين باليهود والمسيحيين وبواسطتهم حصل على بعض الكتب المنزلة . وأصيب كذلك بمرض عصبي .

فلما علمت زوجته بأمره حز في نفسها أنها وهي العريقة الأصل قد أصبحت اليوم مرتبطة بإنسان لا يقتصر أمره على أنه فقير بل هو أيضاً مريض فراح يهدئها بقوله : **إني تلم بي رؤية ملك من الملائكة اسمه جبريل ولما كنت لا أقوى على تحمل مرآه فإني تخور قواي وأقع على الأرض .** وكان يقيم بتلك النواحي راهب قد نفي لكفره ، واتخذته صديقاً . فأخبرته خديجة بكل شيء كما أبلغته باسم الملاك وأراد هذا أن يقنعها تماماً فقال لها : **لقد قال الصدق .** فما ذلك الملاك إلا الناموس الذي يرسل إلى النبيين كافة . حتى إذا قبلت **خديجة** تفسير الراهب وصدقته ، فأعلنت لنساء عشيرتها الأخريات أن زوجها نبي . . وهكذا انتشر الخبر من النساء إلى الرجال ، فبلغ أولا **أبا بكر** الذي جعله فيما بعد خليفة من بعده . وانتهى الأمر بأن استطاعت شيعته **(أو قل فرقته)** أن تحصل على السيادة في منطقة يثرب . وذلك أنه قضى في البداية عشر سنوات ينشر دعوته سراً ، ثم قضى عشر سنوات أخرى ينشرها حرباً ، وانتهى به الأمر إلى إعلانها صراحة وحكم البلاد تسع سنوات . وكان يعلم أنصاره أن من قتل عدواً أو قتله عدوه فهو داخل الجنة . وكان يصف الجنة بأنها موطن **« سرور »** ، وأن بها أنهاراً من خمر ومن عسل ومن لبن . . .

الصورة الثالثة : « بارثولوميو » الرهاوي ـ القرن الثالث عشر : يقول بصوت الخطيب مؤنباً خصمه المسلم : إنك تقول إن نبيكم ظل اثنين وثلاثين عاماً لا يتكلم كلام الأنبياء ولا هو كان أثناءها رسولا ولا معلماً ولا عرف شيئاً عن الله وإنه عرفه بعد تلك الفترة . . . **كيف استطاع أن يعرف الله وبأية وسيلة عرفه . . . ؟ .**

وإذا كنتم تسمونه نبياً فأروني ماذا تنبأ به وبأي لفظ تنبأ أو ما هي وصاياه ، وما هي الآيات والعجائب التي صنع . . . لقد قرأت كل كتبكم واكتشفت كل شيء بنفسي . . .

هكذا كانت صورة الرسول في كتابات الغرب الأولى تحكمها النغمة النابية ، وتزيدها قسوة تلك الكراهية المتزايدة التي كانت الحروب المستديمة تزيدها ضراماً . وكانت تلك الكتابات التي شاعت في العالم المسيحي اللاتيني قائمة على معلومات خالية من الضبط والدقة وإنما تحكمها الأكاذيب والتخرصات العجيبة .

وبعد الحروب الصليبية لم تتغير الصورة . **في عام ١٢٧٣م ،** كتب **وليم الطرابلسي** رسالة عن حالة العرب ومحمد النبي وشريعتهم وعقيدتهم . والصورة التي صور بها محمد (صلى الله عليه وسلم) وإن كانت أبعد ما تكون عن شخصيته التاريخية ، فإن بها من العناصر ما قد أنزل إلى الحد الأدنى الذي لا غنى عنه لمدافع عن المسيحية في القرون الوسطى .

« وليم » يقول : إن للكاثوليك مع ذلك رأياً آخر . فهم يرون أنه بعد أن مات محمد عليه الصلاة والسلام ، أراد أنصاره أن يعالجوا العقيدة والشريعة معالجة شاملة قائمة على تعاليمه . فلما تبينوا أن الرجل الذي نيط به العمل لم يرزق الكفاية اللازمة لأداء ذلك على الوجه الأكمل ، طلبوا إلى اليهود والمسيحيين الذين أسلموا أن يساعدوه . وعند ذلك رأى هؤلاء من الأفضل أن ينتقوا فقرات مناسبة من العهد القديم والجديد ، وأن يمزجوها بالكتاب ، وبذا أصبح الكتاب على قدر عظيم من الرونق والجمال !

وهكذا نرى أن تلك الكتابات حكمتها البغضاء وسوء الفهم الذي يكاد يكون متعمداً وما قدمناه بين أيديكم من نصوص نراها بعيدة تماماً عن الواقع التاريخي كما تفيد تلك النصوص بأن طريقة الاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين لا تتفق أبداً إن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل قد أملاه عليها تعصبها لرأيها ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدوا أن يصلوا اليه مبدئياً .

★ **الحدث الثاني :** حين سيطرت الخلافة العثمانية على دول البلقان بدأت مرحلة الخطر التركي على الغرب ولا سيما حين زحفت **« الخلافة »** على أبواب فيينا ، تعرض التعايش بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي لهزات عنيفة ، أخذت المواجهة بينهما صبغة الصراع المسلح وسياسة الشماتة والأخذ بالثأر تارة أخرى . . .

اشتدت حدة النقد الهجومي على الإسلام . وأخيراً مع ضعف الخلافة العثمانية وزوال الخوف المرضي إثر توزيع ما عرف في المحافل الدولية **« بتركة الرجل المريض »** والذي ما زال مريضاً . بدأ النظر إلى الإسلام من منظور أعراف الأتراك : فالشارب ، والعضلات المفتولة والعنجهية . والفظاظة بعض مظاهر التركي في نظر الغربي خصائص شخصية المسلم . وكانت الروايات التركية التي قدمتها المسارح ترادف بين شخوصها والإسلام **(فولبير)** على سبيل المثال يضمن مسرحيته **« البرجوازي النبيل » جملاً** تركية كاملة . . **و « جولدوني »** يستوحي شخوصه المرحة من الأجواء التركية ، **و « راسين »** يؤلف مأساته العاطفية (بايجازية) خصائص تركية **و « موزارت »** يضع لأوبراه مقطوعات موسيقية تركية تستخدم فيها الآلات التركية مثل : الناي والمثلث والطبلة الكبيرة . . . وهكذا تغلغلت عوائد الحياة التركية وأعرافها وتقاليدها في الكثير من المجالات على أنها العوائد الإسلامية ، وأصبح لفظ تركي مرادفاً للفظ إسلامي ومسلم ، وكانت نتيجة هذا الخلط الهمجي بين المبادئ والأشخاص أن أصبح الرسول موضع حملات وتخرصات مؤداها : أنه أغرق الأرض بالدم والنار .

إلى الأحسن

بدأت صورة الإسلام تتغير عما كانت عليه وتقترب من الصورة



التاريخية للإسلام منذ أواخر القرون الوسطى ، حين صدر قرار مجلس فيينا ١٣١١ ـ ١٣١٢ م ، بإنشاء خمس كليات لتعليم العبرية والعربية في **روما ، وبولونيا ، وباريس ، وأكسفورد ، وسلامنكا .** وكان ذلك يؤذن ببداية الدراسات الشرقية المنتظمة في الغرب فضلاً عن الأشخاص الذين أتيح لهم أن يخبروا العالم الإسلامي بأشخاصهم . وبدأت صورة الرسول صلى الله عليه وسلم ، المنقحة بعض الشيء تظهر رويداً رويداً ، ولم تكن هناك إلا فئة قليلة نسبياً من الناس مستعدة لقبول هذه الصورة المنقحة ، ومن أبرز هذ الفئة بعض زعماء اللاهوت الذين كانوا يرغبون في إمداد عقيدتهم بأمضى سلاح ينازلون به العدو الذي كان تأثيره في تفكير الفلسفة الكلامية في القرون الوسطى قد أخذ ينتشر آنئذ انتشاراً مخيفاً .

ولما تقدمت دعوات الحوار الحضاري مرتكزة على قواعد البحث العلمي التي تلتزم الموضوعية والبحث الحر النزيه عن الأغراض والأهواء التي التاثت بها أوروبا حتى عصرها الوسيط، أخذت صورة الإسلام التاريخية تتطور نحو الأحسن والأفضل وتقترب كثيراً من حقيقته التاريخية ، وذلك بفضل علماء مثل : **(هربيلو)** وتلميذه **(جالاند)** الأستاذ بالكلية الملكية **و (بوكوك)** أستاذ التاريخ العربي بجامعة أكسفورد **و (ريلاند)** أستاذ اللغات الشرقية والآثار الاكلبريكية القديمة **و (أوكلي)** أستاذ اللغة العربية بجامعة كامبريدج ، اطلع هؤلاء الأساتذة على النصوص الأصلية فنظروا إلى العربية نظرة جديدة ، **يقول « بول هازار » : لفت أولئك العلماء الأنظار إلى أن جهوراً غفيراً لم يكن ليتبع محمداً لو كان محمد رجلاً دعياً مصروعاً . وإن من المحال أن ديناً غير مهذب كما يدعي البعض يستطيع أن يعيش وأن يتقدم . لكن لو سأل الناس العرب عن تاريخهم بدلا من أن يستمعوا إلى الروايات لعرفوا أن محمداً وأتباعه لا يقلون عن أبطال الشعوب الأخرى في مزايا القلب والفكر . ويعد فما أكثر السخافات التي ألصقت به . هكذا شأن الناس على الدوام إذا ألقوا نظرة سطحية على الأشياء ، لقد ناقضوا**

أقوالا لم يلفظها المسلمون وأخطاء لم يرتكبها الإسلام . ثم يقول بول هازار : والحقيقة إن الإسلام دين منطق معقول ، دين نبيل جميل ، وأكثر من ذلك فإن الحضارة الإسلامية جديرة بالإعجاب . فبعد ما طغت الجاهلية على العالم ، يتساءل بول هازار : من الذي كان حفيظاً على حقوق التفكير والثقافة ؟ يجيب : هم العرب .

أتاحت كتابات بعض علماء الغرب المنصفين عن الإسلام العودة إلى دعوة إعادة النظر فيه من جديد وليس ذلك وحسب بل بدأ بعض المفكرين يطلب إعادة نظر شاملة في تاريخ الفكر الإنساني لتصحيح مجاري الحضارة الغربية من جانب وكشف لجوانب جديدة تنقصها . . . ولوضع أساس يربط بين ثقافة الغرب وبين القيم الروحية التي لا تزال تمتاز بصفات خالدة مهما أثرت عليها العوامل التي تحاول طمسها . . **فهدف الغرب الآن الاهتمام بتكوين قيم الحياة الروحية أو الدينية لإنقاذ الحضارة الغربية أو إنقاذ شخصيته من براثن عوامل الهدم التكنولوجي . من هنا بدأ الغرب تساؤله : ماذا نفعل إزاء المخاطر التي تهدد الإنسانية من خلال إنجازات الإنسان نفسه ؟ هل من الحضارة ؟ مثلاً : ما نراه من جرائم القتل التي ترتكب باسم التقدم ، والموارد الطبيعية التي تهدر ، والطبيعة المحيطة التي تهدم دون وعي أو مراجعة .. وعناصر الحياة الإنسانية التي تصاب بالسموم ؟ ثم ذلك التسليح النووي المطرد الذي تخطى حدود المعقول ، ثم الفقر والجوع والشدائد التي نسمعها .. هل هذا هو النمو الذي ينجزه مجتمع الإنتاج الحديث ؟**

مظاهر العبث الحضاري بدأت تحيط بالعالم الغربي وبدأ يبرز معها خطر « **فقدان المستقبل** » ومستقبل الإنسانية ، مما جعل الفكر الإنساني يدور في مقولات : القلق والغربة ، والتوتر والآلام والتشاؤم . فقلَّت مطامحه عن البحث في مقولات القيم الخالدة .

كذلك حفل الفكر الإنساني بقضايا الاحتجاج ضد نفسه ، وضد وجوده ، حتى بات يهزه الشعور بالعجز والخوف المتلعثم الذي قد لا يجد الكلمات الآمنة المطمئنة فيتدهور إلى خوف أصم صامت مما أوقع نفسه في حيرة متسائلة هل هو عجز الحضارة أو ضعف الفكر ؟ . أو كلاهما معاً ؟ لا شك أنه عجز منهما معاً .

ذلك اعتراف من الإنسان الأوروبي بأن رصيده من الأمل قد ضاع واحتواه الشك والاكتئاب والذهول ؟ فهل من سبيل إلى الخروج من ذلك المأزق ؟ . إنه في العودة إلى الدين وقيمه الخالدة .

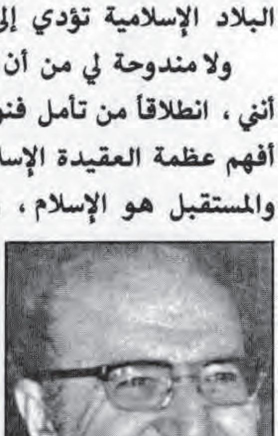
بدأ الغربي يبحث عن مستقبل حقيقي من خلال منهج حوار الحضارات الذي طرحه المفكر العالمي المسلم **جارودي** يقول فيه : إنه يقتضي العثور مجدداً على جميع أبعاد الإنسان التي تمت في الحضارات وفي الثقافات اللاغربية . فالغرب بالنسبة للحضارة عارض طارئ ولا سبيل لنا يوصلنا إلى تأمين المستقبل إلا « **بالحوار بين الحضارات** » فهو الذي سوف يوصلنا إلى أبعاد جديدة تنأى عن النزاعات الفردية وذلك هو مشروع الأمل الجديد لمستقبل جديد من خلال هذه الرؤية الجديدة ذات المنظور الحواري منظور المشاركة البنائية .

بدأ **رجاء جارودي ، وموريس بوكاي ، وفانسان مونتاي** ، وصفوة رائدة من المفكرين الغربيين والمستشرقين يتجهون نحو الإسلام على أنه هو المستقبل ومن حيثيات حكمهم :

يقول **رجاء جارودي** : إن المباينة بين الأديان تقيم تعارض المسيحي مع الكافر ، ولا سيما مع المسلم . مع أن علاقات المسيحية بالإسلام ليست بعلاقات متناظرة . فقد كان الإسلام أقل تعصباً : القرآن يجل « **يسوع** » بينما يقصي (**دانتي**) في الكوميديا الإلهية (**محمداً**) صلى الله عليه وسلم ، إلى البعيد (مع أنباء النشيد ١٨ البيت ٣٥) .

ويقول في مقارناته بين المسجد والكنيسة : لقد سنحت الفرصة بوصفي أستاذاً لعلم الجمال في الجامعة بأن أعين طلابي على فهم الفن الإسلامي . فهو يرى أن المسجد بلا ريب هو المثل الرمزي الأعظم وهو نوع من مصلى من الحجارة وملتقى جميع فنون الإسلام . . .وقد أصاب القائلون إن جميع الفنون تقود في الإسلام إلى المسجد والمسجد إلى الصلاة والمسجد من حيث بنيته ذاتها ، يستجيب لوظيفته ، إنه لا يشبه الكنيسة المسيحية ولا المعابد الإغريقية ، إنه لا يصلح صندوقاً للاحتفاظ برفات قديس ولا ديكوراً لحفلة شاعرية وهو يريد أن يكون مجرد مصلى لذكر الله ومن هنا نشأ شكله الأصيل . . . إنه لا يشبه في شيء خلية المعبد الإغريقي ، ولا التصميم الطولاني للكنائس المسيحية صمم على أن يكون الغرض منه أن يتيح لأكبر عدد من المؤمنين أن يقابلوا المحراب نحو مكة المكرمة ، ثم يقول في النهاية : **لقد أمكن القول إن كل الفنون في البلاد الإسلامية تؤدي إلى المسجد والمسجد إلى صلاة .**

ولا مندوحة لي من أن أشهد بتجربتي الشخصية ، ذلك أنني ، انطلاقاً من تأمل فنون الإسلام ومساجده ، إنما شرعت أفهم عظمة العقيدة الإسلامية بتأكيدها الجذري على التعالي والمستقبل هو الإسلام ، والإسلام هو قوة الغد العالمية .



★ د . رجاء جارودي ★

قراءة في الفكر

من الأفكار التي لا ينـي محبو العامية عن ترديدها فكرة أن البحث عـن منـابع أصالة الأمة في الجزيرة والخليج هو في العـامية والـتراث العـامي، وأن الجـذور الثقافية للأمة العربية كامنة في التراث العامي. وقد ردد هاتين الفكرتين الـكثير من كتّاب الصحافة العامية[1].

وكنت أظن أن الأمر قـد اختلـط في أذهانهم وأنهم يريدون ما في العامية من بعض الإشـارات إلى الماضي القـريب الـذي يتجلى فيـه بعض العـادات والتقـاليد المعـروفة في المنطقة قبيـل انتشار التعليم والثقافة العـامة، وأنهـم قد لمسوا بعض خصائص هذه العادات والتقاليد الاجتماعية وأدركوا تميزها عـن غيرها من العـادات والتقـاليد الأخـرى فأرادوا التعبير عن الإحساس بما يجدونه ويشعرون به حيال ذلك فـلم يـوفقوا إلى الاستعمال المناسب.

والعوام وأشباه العوام لا يعـرفون الـدقة في استعمال اللفظ لمدلوله المحدد أو المصطلح عليـه. وكتّاب العامية معـذورون أيضـاً لأن كلّاً منهـم ينقل عن الآخر وقـد يعجبهـم النص فيـأخذونه ويضعونه في غير موضعه.

الدلالة.. والفحوى

كل تلك الاحتمالات وردت في خـــاطري عندما كنـت أقـرأ لهـم عبـارات تصرح أن في العامية منابع أصـالة الأمـة، وفيهـا جـذورها التاريخية. وكان مـن الممكـن أن لا أفهـم مـن استعمالهم غـير ذلك لـولا أن **نـدوة الـتراث الشعبـي**، بل مؤتمره الفكري، الذي أقيم في مـدينة **الـدوحة**، غيّر رأيـي، لأن المؤتمـرين فيه تحدثوا عـن هـذه الـكلمات ورددوهـا كما في النص السابق، وهم ليسوا عواماً يلقون القـول على عواهنه، بل يعرفون ما يعنـي منبـع الشيء وما تعنـي أصالته وجذوره، وكلهم مـن العلماء وأساتذة الجامعات وأصـحاب المنـاصب العليـا وأهل الثقافة الواسعة. وترديدهم لكلمات المنبع والأصالة والجذور ووصف العـامية بـذلك يعـد قنـاعة ومـدلولا على معنـى يـريده المسـتعملون لـدلالة الـكلمة وليس فحـواها أو معـانيها الجانبية.

ولا أدري كيف أناقش هذه الفـكرة. وأنـا لا زلت متردداً عن الجـزم بـأنهم يعنـون مـا يقولون. ومن يصدق أن مدلول هـذه الـكلمات يخفى على هـؤلاء؟ وكيف نضـع احتمالا آخـر؟ فالنص صريح على أن منـابع أصـالتنا وجـذورنا التاريخية والثقـافية، هـي العـامية والـتراث العامي، وهـو نص لا يحتمـل غـير وجهـين لا ثالث لهما.

●● **الأول:** أما أنهم يعنون مـا يقـولون ومقتنعون بأن ثقـافة الجـزيرة والخليج يجب أن تكون هي العـامية، وأن الأمـة يجب أن تبـدأ حياة فكرية وثقافية جـديدة مـن حيـث بـدأت العامية، وأن تنفصـل عـن مـاضيها العربـي في **الجاهلية** وماضيها في **عهـد النبـوة وصـدر الإسلام** ودولـة **بنـي أميـة** ودولـة **بنـي العباس** وما في ذلك كلـه مـن ثقـافة وتـاريخ وموروث حضـاري عـظم، وأن تجعـل الأمـة ثقافتها هي الثقافة العامية ولا ثقافة غيرها، وأن هذه الثقافة يجب أن تحل محـل الثقـافة العـربية والإسلامية الفصـحى الـتي وجـدت جـذورها ومنابعها في العصر الجاهلي ممثلـة في **المعلقات** ودواوين الشعراء الجاهليين، ثم أصبحت دوحة ملتفة تفيأ ظلالها العرب والمسلمون بعـد نـزول **القرآن الكريم** بها، واستمر حالها كذلك إلى القـرن الثانـي عشر حيـث انحسرت، وبـدأ في الجزيرة والخليج نبع العامية وجذورها مـن شعر ونثر يحل محل الفصحى.

كل ذلك يجب أن يفهم حتى تصدق دلالـة الكلمات لدى متعلميها في ندوة التراث الشعبي والتخطيط له. ومن يستطيع أن يصدق ذلك؟

وعلى أي حال فإن كانوا يعنون هـذا الأمـر ولديهم القناعة بصحة جعل العـامية ثقـافة لنـا بدل العربية فلا شك أنهم صادقون، ولا شـك أيضاً أن منـابع العـامية وأصـالتها وجـذورها الثقافية هي في حفـظ العـامية المتـداولة اليـوم والاهتمام بها وببداياتها الـتي كانـت مـع بـداية **القرن الحادي عشر الهجري** هـو عـين الصواب، ومـا شـعر **الخلاوي**، **وبـركات الشريف** ومعاصريهما ومـن جـاء بعـدهما، إلا منابع أصيلة لهذا السيل الجـارف مـن العـامية اليوم، وجذور أولية للثقافة العامية الحالية، ولا يشك في ذلك أحد، وهم بهذا العمل يقـدمون للأمة التي يريدون لها أن تبدأ بتـأسيس ثقـافتها الخاصة بها من جـذور ومنبـع هـذه الثقـافة والفكر، يقدمون لها خدمة علمية كبرى، وهـم أيضاً على حق عندما يصفون الثقافة العامية بأنها تحمل الجـذور ومنـابع الأصـالة لأدب الأمـة وتاريخها العامي، ولا عليهم إلا أن يعلنوا رأيهم صراحة دون تلبيس أو تدليس حتى يرتاح أمثالنا من ضرب الأخماس بالأسداس.

●● **الاحتمال الثاني:** أنهم يعتقدون أن العامية انعكاس شامل للحياة العربية المعاصرة،

بقلم : د . مرزوق بن صنيتان بن تنباك

العامي ٠٠٠

يمثل ارتداداً بالعرب إلى منطلقات الفكر الأول ، الذي كان سائداً قبل البعثة يوم كانت اللغة تمثل خيطاً ضعيفاً للوحدة بين القبائل الضاربة في الجزيرة مع استقلال الذات والأهداف .

وقد صرح المجتمعون في ندوة التراث الشعبي بشيء من هذا قائلين إن **(الفولكلور أو التراث هو هوية أي شعب ، وهذا هو الشيء الوحيد الذي يوحد الأمة العربية)**[٢] . وقالوا إنه تراث ثقافي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشخصية الذاتية لكل شعب[٣] ، وينحدر من جيل إلى جيل ويعبر عن روح الشعب وحكمته ومدى الصلة التي تربطه بالحضارات الإنسانية العريقة[٤] .

وعلى هذا المعنى يكون استعمال الجذور ومنابع الأصالة التي يرددونها استعمالا مرتداً هو الآخر إلى المشابهة في الفكر الأول ذي الطابع البسيط المنطلق من قيود التقنين والسائب من مرتكزات القاعدة ذات الالتزام الفكري .

الفكر الإقليمي .. والوحدة

وإذا أخذنا نص العبارة الصريحة التي ترى أن الفولكلور والتراث العامي هو الشيء الوحيد الذي يوحِّد الأمة العربية ، وحاولنا تفسير معناها فسنجد أن الأمر لم يعد حباً في العامية وغراماً بالعادات والموروثات الشعبية ، وإنما أصبح تشكيكاً بالثوابت من الفكر الذي قامت عليه حضارة عمرها سبعة عشر قرناً .

فاللغة والدين كانا هما الوحدة التي اجتمعت عليها كلمة الأمة العربية والإسلامية مع الإقرار باختلاف العادات والتقاليد الاجتماعية التي لا تناقض المبادئ الأساسية التي يمثلها الفكر المشترك والموروث الحضاري . ودعوى أن وحدة المجتمع قائمة على مفهوم الفولكلور والتراث الشعبي ، دعوى تسقط اللغة المشتركة وموروثها الحضاري وتخفف أهمية الالتزام التاريخي والديني وتجعل ارتكازات الفكر محدودة المساحة في محيط الارتكاز البدائي وفي أضيق الحدود التي تسمح فقط باتجاه الذهن إلى بروز العادة نحو نقاط تمحور الفكر الإقليمي الضيق التي لا تسمح بامتداد النظر إلى ما سواه . وتجزأة الوطن الكبير إلى نقاط تمحور للعادات والتقاليد الشعبية أمر وارد في رأي علماء الفولكلور وأهل التراث العامي المجتمعين في ندوة التخطيط للتراث العامي . والحرب في **فلسطين** ليست في رأيهم إلا حرب عادات وتقاليد موروثة تحاول إسرائيل استلابها .

وهذه إحدى عبارات **الفكر الإقليمي** الذي ينظر فيه المجتمعون تقول : « مثال ذلك حينما جاءت إسرائيل إلى المنطقة (فلسطين) ونسبت عادات وتقاليد الشعب العربي إليها في حين أنها أبعد ما تكون عن ذلك »[٥] .

هذه نماذج وأمثلة محزنة تكشف عن منطلقات الفهم الجديد وتبين أبعاد الوعي الذي يتمتع به المجتمعون لإحياء التراث العامي ، فالحرب بين العرب المسلمين وإسرائيل في رأي مفكري العامية لم تكن حرباً حضارية دينية ، بل كانت حرب عادات وتقاليد شعبية لمنطقة فلسطين .

ومعنى هذا أن اهتمامهم بالعامية والفكر العامي منطلق جديد آخر لتحرير فلسطين والعودة بها إلى حظيرة العادات والتقاليد للشعب العربي . والإدلاء بمثل هذه الأقوال والتسقط لها يدل على أن مفكري العامية لم يتركوا وسيلة يظنون أنها تدعم وجهة نظرهم إلا سلكوها . وكانت أذهانهم موجهة إلى حشد الحجج والبراهين والتبريرات الخاطئة في سبيل نصر مذهبهم ، فأوقعهم الحرص على الإقناع ، في مأزق التناقض المضحك الذي أجدني مضطراً إلى الإشارة إليه بعد أن طرحوا إسرائيل وانتهابها لعادات وتقاليد منطقة فلسطين حجة ومثالا .

إن إسرائيل التي يجعلونها دليلاً يمثلون به على أهمية العادات الشعبية هي في الواقع دليل يدمغ حججهم بالبطلان ويذهب بدعواهم مع الريح ، ويعزز الرأي الذي ينادي بالمحافظة على وحدة الدين واللغة حتى تستمر وحدة لا تنفصم عراها للأمة كلها التي تنقسمها أقاليم العامية في رأي العوام .

إسرائيل اليوم الجاثمة على أرض العرب كانت قبل أربعين عاماً عادات وتقاليد مشتتة في رؤوس فئات من اليهود يعيشون في كل مجتمعات الدنيا . كانت كل فئة منهم تنتسب إلى مجتمع وتشاركه عاداته وتقاليده الشعبية . وعندما أرادت أن تكون دولة لم تفكر بعاداتها وموروثها الشعبي ليكون هو الشيء الوحيد الذي يوحدهم كما يزعم العاميون في النص السابق . بل عرفت أن اللغة المشتركة والدين ، هما أساس الوحدة التي لا تنفصم عراها ، فعمدت إلى رفات لغة ماتت منذ ثلاثة آلاف عام ، وإلى دين نسخ مرتين في **الإنجيل والقرآن** ، فلملمت هذا الرفات المهترئ وصنعت منه حياة ، وأعادت العمل باللغة والدين ، فأحيت اللغة العبرية والدين اليهودي ، وقامت على أساس اللغة المشتركة والدين وحدة أمة هي اليوم إسرائيل التي يتحدث عنها مفكرو العوام ويمثلون بها ، وأصبحت تنسب نفسها وتعود بكل مصطلحات حضارتها الحديثة إلى أسس

فكرية قديمة ، لم ترض أن تفرط بشيء منها ، فوضعت لجنسيتها الحاضرة مصطلحاً تاريخياً ماضياً هو « إسرائيل » ، ووضعت لدينها مصطلحاً تاريخياً دينياً هو « اليهودي » ، ووضعت لثقافتها مصطلحاً تاريخياً قديماً هو « العبرية »[6] ، حتى تجمع لنفسها مقومات شخصية الدولة ذات التاريخ الحضاري والديني والثقافي ، الذي يوحد الشعب على أسس ضاربة في التاريخ .

عودة إلى الثقافة العربية والإسلامية

ولم تجعل تاريخها الحديث بداية حقيقية لوجودها ولا منبعاً لأصالتها ولا جذوراً لها .

رغم أن حاضرها هو أزهى العصور التي عرفها التاريخ اليهودي منذ ألفي عام . وكان الأولى لهم لو كان لهم عقول أن يأخذوا من تجربة إسرائيل عظة ودرساً حتى لا يفرطوا بأصل الوحدة وأساسها . والواجب أن يعودوا مرة أخرى إلى أساس الوحدة التي أضاعوها وجعلوا إسرائيل بتخليهم عنها قوة تتحكم بمصير شعوبهم وتهدد وجودهم وتاريخهم . تلك هي **الثقافة العربية الإسلامية** واللغة الفصحى الموحدة للعرب . لكن المنظرين للعامية وأمثالهم في الفكر والسلوك أهملوا أسباب قوتهم ووحدتهم ، وأتاحوا أسباب النصر والنجاح لإسرائيل ، وأعطوها القوة ومكنوها من البقاء ، ولا يزالون مستمرين في خدمة أهدافها دون علم ولا وعي ولا حياء .

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي

إنها مأساة أخرى عندما نرى إسرائيل تقوم بإحياء لغتها بعد موتها ، وتوثق دينها بعد نسخه ، وتحاربنا بالدين ولغة الدين ، فنقابل ذلك بتشتت الجهود وبلبلة الفكر وزعزعت الثقة باللغة الحيَّة القوية التي هي أمل الوحدة ، وهي سبب البقاء للأمة العربية وسبب الوحدة إن بقيت .

الهوامش

(١) جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٣٥ ، في ١٤٠٥/٢/٢٦هـ ، ومجلة الدوحة ، عدد ديسمبر (كانون الأول) ، في عام ١٩٨٤م .

(٢) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٧٨ ، في ١٤٠٥/٢/١١هـ .

(٣) جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤١١ ، في ١٤٠٥/٢/٢هـ .

(٤) جريدة الرياض ، العدد ٥٩٥٥ ، في ١٤٠٥/٢/١٧هـ .

(٥) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٧٨ ، في ١٤٠٥/٢/١١هـ .

(٦) انظر : ظاظا ، حسن ، الشخصية الإسرائيلية ، ص (٣١) ، دار القلم ، ط٥ ١٤٠٥هـ .

لقاء مع



الدكتور أبو القاسم سعد الله

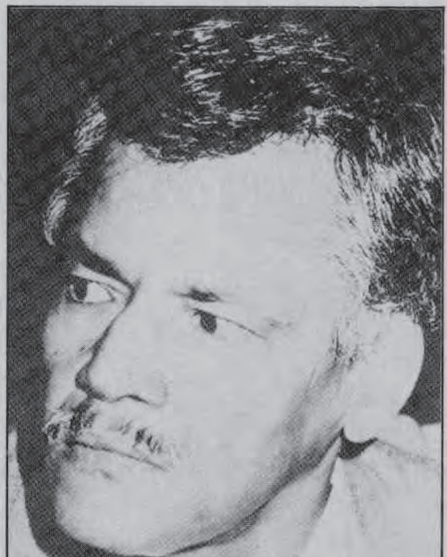
الطريق إلى الصحوة الفكرية

إعداد: المجلة

إن دعاة الإصلاح الفكري في العالم العربي الرحب مشرقاً ومغرباً هم اليوم موجودون أكثر من أي وقت مضى، ولا يحول بينهم وبين نشر رسالتهم على أوسع نطاق في ساحة الفكر العريضة إلا نقص قنوات التبليغ، وغياب التنسيق، وضعف الاتصال والتواصل.

والدكتور أبوالقاسم سعد الله، المفكر الجزائري، واحد من هؤلاء. فهو من خلال إنتاجه الفكري، لا يكل ولا يمل عن الدعوة إلى التطور الفكري والحضاري، ونبذ الجمود والتخلف، وهو أيضاً لا يكتفي بشرح العلة والسبب، بل سعى إلى وصف الدواء. وها هو هنا يدعو إلى ضرورة الإسراع في تحقيق وإثراء وحدة الفكر والاتصال بين أجزاء وطننا العربي الكبير، فهذه المسألة هي حجر الزاوية نحو تحقيق الوحدة الاقتصادية ثم السياسية.

وإذا كان الدكتور سعد الله قد قام بتحقيق الكثير من كتب التراث العربي والغربي، وقام أيضاً بالتعريف بسير معظم مفكري العرب، فإنه يأخذ على المكتبة العربية فقرها في مجال التعريف



★ د. أبو القاسم سعد الله ★

بالحركة الفكرية في الجزائر. وفي هذا الصدد، يقول في مقدمة كتابه القيِّم «دراسات في الأدب الجزائري الحديث» ـ في طبعته الثالثة، عام ١٩٨٥م ـ ما يلي:

«كل باحث في شؤون الأدب العربي يصدمه الفراغ المخيف الذي تعانيه المكتبة العربية بخصوص الحركة الفكرية في الجزائر. ولعل مسؤولية هذا النقص تقع على كاهل المثقف العربي نفسه. فطيلة مرحلة النهضة العربية، اعتاد هذا المثقف أن يحصر بحثه واهتمامه بجزء معين من الوطن العربي، وإهمال الأجزاء الأخرى، مما تسبب عنه تمزيق الحركة الفكرية العربية وأقلمتها. ومن هنا ارتبط الأدباء غالباً بالأوضاع السياسية في كل جزء من الوطن العربي، وتبعاً لذلك تطورت الحركة العربية على شكل غير متساو، ولعل الجزائر خير شاهد على ذلك».

ونظراً لضيق المجال هنا، ووفقاً لتعدد اختصاصات واهتمامات الرجل (شاعر وأديب وناقد ومؤرخ وعالم اجتماع)، فقد تنوعت أسئلتنا إليه تنوع اختصاصاته نفسها، على أنه وعدنا بطرح المزيد من القضايا الفكرية مستقبلاً على صفحات «**الفيصل**».

المتخصص.. وغير المتخصص

●● لكم أعمال تناولت موضوعات شتى.. في الشعر والنقد والتاريخ وعلم الاجتماع، فهل يعد هذا موقفاً يلغي الحدود

لقاء مع

بين مناحي الفكر والإبداع .. ؟

● المفروض أن يكون الأمر كذلك . فقد كان الإنسان في القديم غير متخصص بالمفهوم الذي نستعمله الآن ، فعلماء الإغريق والرومان والعرب ، وعلماء أوروبا أثناء عصر النهضة وحتى العصور الحديثة ، كانوا يجمعون بين عدة اختصاصات ، فيكون الواحد منهم طبيباً وفلكياً وشاعراً ورياضياً وفيلسوفاً ، وقد يكون الواحد منهم مؤرخاً ، ومحدثاً ، وفقيهاً ، ومفكراً اجتماعياً وما إلى ذلك ، فالحدود كادت أن تكون معدومة بين العلوم والآداب والفنون .

ولكن عصرنا الحالي ، ابتلي بظاهرة (التخصص) ، وإذا كانت الشعوب المتقدمة قد فهمت التخصص هذا على أنه دائرة ضيقة من دوائر المعرفة الكبرى التي على المتعلم أن يتقنها ، فإننا أخذنا هذه الظاهرة حرفياً ، وأقمنا الحدود الفولاذية بين أنواع المعرفة ، حتى إن الواحد منا لا يكاد يعرف شيئاً خارج مواده الدراسية ، وإذا قدر له أن يكتب أطروحة في موضوع ما ، فإنه لا يعرف أبعد من الموضوع الذي كتب فيه .

لقد كان **ابن سينا** الطبيب ، عالماً نفسياً ، ومتذوقاً للموسيقى ، وشاعراً . . . إلخ ، وكان **ابن خلدون** المؤرخ ، عالماً بالسياسة ، والأنساب ، وعلم الاجتماع ، والاقتصاد ، كما كان شاعراً وفقيهاً ، ونفس الشيء يقال عن **ابن رشد ، والرازي ، وديكارت** ، وهلم جراً .

ولا أدعي أنني جمعت بين علوم الأرض وبرعت فيها . ولكني أدعي أنني أحب الشعر وأتذوقه ، وتستهويني الموسيقى الجميلة الراقية ، ولي أحكام نقدية على ما أقرأ من شعر ونثر ، وأهوى التاريخ ، وسير الأمم ، والشعوب ، وصراعها من أجل البقاء باسم الحضارة والتقدم العقلي ، وأستعذب القراءة في هذه العلوم القديمة ـ الحديثة : علم النفس ، والاجتماع ، والفلسفة ، والسياسة .

ولعلني أبعد ما أكون عن علوم الطب والرياضيات وما شابهها . وإذا كان في ذلك إلغاء للحدود الفكرية ، فإني من دعاته ، وإذا كان تخصصاً ، رغم ذلك ، فإني من هواته .

اهتمامات الشباب

●● ما هي ـ برأيكم ـ أبرز الاتجاهات الفكرية للأجيال الجديدة من الشباب ، وهل أصبح اهتمام هذه الأجيال بالفكر العلمي المجرد يطغى على اهتماماتها بالتراث .. ؟

● نحن نعيش عصر غزو الفضاء ، وعصر الكومبيوتر . ولا أعني بـ (نحن) العرب والمسلمين طبعاً ، ولكني أقصد الإنسان المعاصر . ذلك أن مخترعات العالم المتقدم ، هي تراث لنا أيضاً ، رغم أننا لا نسهم فيها إيجابياً . وإذا لم نحث الخطى للحاق بركب المتقدمين ، فإننا سنزداد تخلفاً ما داموا هم يزدادون تقدماً ، وكلما أمعنّا في التاريخ ظهر تخلف أجدادنا فكرياً عندما كانت أوروبا تحرر عقلها ، وتستخدم إمكاناتها الاقتصادية والعسكرية في المكتشفات ، بينما كنا نحن ندير ظهورنا لها ، ونرفض حتى التفرج على ما كانوا يعملون إلى أن غزتنا أوروبا بجيوشها وأفكارها ومخترعاتها في عقر دارنا .

ولا شك أن السؤال منصب على الشباب العربي بالذات ، والواقع أن هذا الشباب يعيش واقع أمته ومجتمعه ، أي إنه شارد الذهن مبهور بما عليه العالم المتقدم ، في حين تكبله التقاليد وذهنيات مجتمعه الأمي المتخلف . وهو في أثناء ذلك تتوزعه اتجاهات مختلفة ، بل لعلها متناقضة . فمنه من يتعلق بأذيال الماضي خوفاً من السقوط ، في نظره . ومنه المتطلع المتوثب الذي يبحث عن البدائل ، لأن واقعه لم يعد يرضيه . وأنا هنا أتكلم عن الشباب المتعلم ، ولا سيما ذلك الشباب الذي عرف قدراً من حضارة العالم المتقدم ، وقابله برصيده الحضاري . وكل ما نخشاه هو أن هذا الشباب المزدوج الحضارة (الشرقية والغربية) ، يُطلِّق حضارته ويرتمي في أحضان الحضارة الجديدة رغم أنه لم يشارك في صنعها ، لأنها تعطيه البدائل التي ينشدها وترضي عقله المتوثب الطموح .

أما النوع الآخر من الشباب ، ذلك المتشبث بالماضي لذاته خوفاً من السقوط ، فإننا نخشى أن يكون سبباً في الإمعان في التخلف ، ذلك أن **مقاومة سلبيات حضارة العالم المتقدم لا تكون بالهروب منها بل بمواجهتها .**

إن على مؤسساتنا التعليمية ووسائل إعلامنا ونحوها ، أن توفر للجيل الجديد شروط الاختيار الأفضل ، وذلك بتقديم قضايا العصر على أنها قضاياه ، وعليه أن يشارك في حلها علمياً وعقلياً ، لا صوفياً وسلبياً .

أزمة الفكر العربي

●● كثر المتحدثون عن أزمة الفكر العربي ، وقل المتحدثون عن الحلول والضوابط . فما هي ـ برأيكم ـ عناصر هذه الأزمة ، وما الخطوات

المنهجية التي ينبغي اتباعها لوضع هذه الأزمة موضع التحليل والدرس . . ؟

● أحب أولا أن أحدد الإجابة ، ذلك أن الأزمة في الحقيقة علامة صحة وليست علامة مرض . **فالمجتمع الذي لا يعرف الأزمات ، هو مجتمع راكد خامل لا يستحق الحياة** . فإذا قلنا مثلاً إن المجتمع الغربي يمر الآن بأزمة أخلاق أو نحو ذلك ، فمعنى ذلك أن هذا المجتمع كان يعيش حالة معينة إيجابية في الأخلاق ، ثم وجد نفسه في حالة أخرى اهتزت فيها قيمه ومثله فشعر بالخطر ، وأخذ يبحث عن حلول لأزمته هذه حتى يتجاوزها وينصرف إلى عمله المنتج تحت شعار التقدم والعقلنة ، فالأزمة هنا عامل تغيير نحو الأفضل .

والمسألة نسبية طبعاً ، فنحن خاملون على العموم . وإحساسنا بالتطور ـ الذي يعني الشعور بالأزمة ـ ضعيف إن لم يكن معدوماً . ونحن أيضاً مجتمع كسول متواكل ، نفضل أن يقوم غيرنا بالعمل الذي علينا أن نقوم به بأنفسنا . وها نحن نفقد كل يوم استقلالنا ومبادرتنا وثقتنا في أنفسنا ، لماذا . . ؟ . . لأن غيرنا هو الذي يفكر لنا ، ويخطط بدلنا ، ويستثمر ثرواتنا .

فإذا كنت تعني الأزمة على هذا النحو ، فهي موجودة بحدة . وهي تتمثل بالخصوص : في الكسل العقلي والجسمي معاً ، وفي ترك مقاليدنا في أيدي غيرنا ، وفي انعدام الثقة في الذات ، وفي غياب التطبيق الفعلي للديمقراطية ، وفي الخوف من المثقفين ، **وأخيراً تتمثل في الانفصام بين السلطة ورجال القلم** .

ولماذا نخاف من مواجهة هذه الظواهر السلبية في مجتمعنا . . ؟ لماذا لا نشرّح خلايا هذه الأزمة ونعمل فيها المبضع . . ؟ ، وليس هناك أبلغ من مبضع الحوار والمناقشة الحرة . دعنا نناقش خلايا السياسة والدين والفكر والإعلام والنظام الاقتصادي . . دعنا نحاسب المسؤولين بكل نزاهة ، ونحاسب المفكرين بكل موضوعية . . وليواجه كل منا الآخر بما قدم للأمة ، **﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾** .

التواصل .. بين المشرق والمغرب

●● ألا ترون أن التواصل الفكري بين المشرق والمغرب العربيين يتم حتى الآن بصفة عفوية غير مدروسة .. وما هي برأيكم أهم السبل لتحقيق هذا التواصل .. ؟

● للأسف ، فإن التواصل الذي تشيرون إليه منعدم تماماً ليس فقط بين المشرق والمغرب ، ولكن أيضاً بين أجزاء المشرق وأجزاء المغرب . فنحن ، حقيقة ، نعيش عصر التجزئة بكل قبائحها . ويبدو أننا شعب توحده الآلام والنكبات أكثر مما توحده المصالح والتاريخ والروح الوطنية . وإذا استقرأنا تاريخنا الطويل ، وجدنا هذه الظاهرة مجسّمة في أحداثنا الكبرى ، فقد توحدنا في الشدة وافترقنا في الرخاء . . حتى إذا عادت الشدة وجدت عرانا قد انحلت وقوانا قد خارت . ولا أدل على ذلك من عهد الحروب الصليبية وعهد التسلط الاستعماري . وها نحن نعيش عهد الجبروت الصهيوني ، **ومع ذلك أين دعاة الوحدة التي تعني القوة . . ؟ وأين دعاة التواصل الذي يعني تجاوز الخلافات وبناء جسور المستقبل . . ؟** .

إن عقدة المشرق والمغرب قديمة قدم الحضارة العربية الإسلامية . فمن الوجهة السياسية كان المغرب قد تميّز بالتطرّف والتمرّد والخروج عن التبعية للخلافة . وكثير من المؤرخين يرجعون ازدهار الحركات المذهبية في المغرب ، والطرق الصوفية الغريبة إلى تلك الروح . **أما من الناحية الفكرية فالمعروف أن هناك تنافساً حاداً بين علماء وأدباء المغارب والمشارق . فالمغاربة يدعون أن المثقفين المشارقة يهملونهم أو يقللون من شأنهم** ، وهذا ينطبق على مختلف العصور . والمشارقة كانوا لا يعترفون بفضيلة علمية أو أدبية لمثقفي المغرب ، بما في ذلك مثقفو الأندلس ، حتى لقد حمل بعضهم شعار « **هذه بضاعتنا ردت لنا** » ، عندما يذكر له نابغة مغربي أو أندلسي في الشعر أو الفلسفة أو الطب . وينطبق ذلك بالخصوص على **ابن رشد ، وابن هانئ ، وابن خلدون** .

وهذه الروح ما تزال موجودة في عصر **ابن باديس والشابي** . ألا يزعم الزاعمون أن ابن باديس نبات الحركة الإسلامية في المشرق . . ؟ وألا يزعم الآخرون أن الشابي وليد الحركة الرومانتيكية ممثلة في **جمعية (أبوللو) بالمشرق** . . ؟ ، وهل نضرب أمثلة بتجاهل المشارقة لمواقف **ابن العنابي وحمدان خوجة** من الحضارة الغربية ، وهي المواقف التي سبقت مواقف الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده بأكثر من نصف قرن . . ؟ .

إن التواصل عملية مشتركة ، ولعلنا في عصر يفرض هذا التواصل أكثر من ذي قبل ، سياسياً ، وثقافياً ، واقتصادياً . وإذا كان دور الحكومات سلبياً

حتى الآن، فلا أقل من أن يقوم المثقفون في المشرق والمغرب بدورهم الإيجابي في هذا الصدد بمحاربة عناصر الاختلاف، وتبني المواقف الوحدوية.

الأسلاف .. والمعاصرون

●● إذا كان التراث الفكري العربي قد تجلى حتى الآن بما أبدعه أسلافنا من المفكرين العرب .. فما مدى مساهمة المفكرين المعاصرين في إثراء هذا التراث، وفقاً للمقياس النسبي، وما أهم الإضافات التي تمت بهذا الشأن ..؟

● يبدو لي أننا ركزنا كثيراً في حياتنا المعاصرة على **قضية التراث**، وكان الواجب أن نتوجه إلى المستقبل ونغيّر من حاضرنا من أجل المستقبل الذي ننشده. وبدل أن يكون التراث دافعاً لنا على التطلع والاستشراف والإبداع، أصبحنا نقتات تراثاً ونلبس تراثاً ونفكر بتفكير الماضي. **إن الإسراف في طرح قضية التراث تؤدي لا محالة إلى عرقلة الإرادة العربية عن الإبداع.**

إذا أخذنا المثل من أوروبا الحديثة، فإننا نجدها قد أهملت تراثها (اليوناني والروماني)، وأقدمت تأخذ من العرب والمسلمين آخر ما توصلوا إليه من نتائج في ميادين العلوم والتقنيات، ثم وظفتها لصالحها وزادت عليها وتبنتها إلى أن أصبحت هي هذه الحضارة الأوروبية التي تتحدانا اليوم. ولكن أوروبا في أثناء ذلك اكتشفت أيضاً تراثها الإغريقي والروماني (عن طريق التراث العربي ـ الإسلامي)، وأخذت ترجع إليه في بعض الجزئيات وتفتخر به في ميدان التنابز الحضاري، ولكنها لم تتوقف عنده أو تنظر إليه نظرة القداسة كما نفعل نحن بتراثنا، بل عاملته معاملة المستفيد عند الحاجة فقط، والمستغني عنه في أغلب الأحوال.

إن مؤسسات نشر التراث اليوم كثيرة في البلاد العربية، والأموال التي ترصد لتحقيقه ورعايته غزيرة. وهناك جيش عرمرم من المحققين والمتاجرين بالتراث. والغريب أن بعضهم قد اتخذ من عملية نشر التراث تجارة رابحة، فهذا ينشر أعمالا معينة تستجيب لحاجات قطاع كبير من مجتمعنا، وهذا ينشر آثاراً علمية يعرف أن قطاعاً آخر من المجتمع يقبل عليها .. وهكذا. كما أن طلبة الجامعات أخذوا يستسهلون تحقيق مخطوطة تراثية على القيام ببحث مستقل أصيل. **فالجامعات هنا أصبحت تسهم في عملية الكسل العقلي والربح السريع (وهو نيل الشهادة).**

صحيح أننا في حاجة إلى بعث التراث، ولكن يجب أن يكون ذلك محل تخطيط ودراسة، وليس موكولا إلى مؤسسات تجارية أو دعائية لا يهمها إلا الربح المادي، أو الحصول على الشهادات على حساب البحث العلمي الأصلي والإبداع الفكري. ومن يدري فلعل أعداءنا يساهمون في عنايتنا المسرفة بالتراث لذاته حتى نبق أسرى الماضي، غير متطلعين إلى المستقبل وما يقتضيه من تحد عقلي.

دور النقد

●● إلى أي مدى يمكن اعتبار النقد مصلحاً لآلة المسيرة الفكرية .. وما تقييمكم للحركة النقدية في الجزائر والعالم العربي ..؟

● قبل كل شيء، لا بد من التنبيه إلى أنني أفهم النقد بمعناه الواسع الذي يشمل مجالات الحياة في المجتمع العربي المسلم، وليس فقط معناه الخاص الذي هو النقد الأدبي. وإذا كان النقد الأدبي قد ضبطت قواعده وأصبح (علماً) قائماً بذاته يحتكم إليه في عملية تقييم الأعمال الأدبية ووضعها في مكانها من الإنتاج الفكري على العموم، فإن النقد بالمعنى الأول يجب أن تكون له أصوله وضوابطه ليحتكم إليه الناس أيضاً في تقييم النشاط الإنساني في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة.

وعلى هذا الأساس، فإن مجتمعنا العربي ـ الإسلامي يكاد يكون خالياً من النقد بمفهومه الشامل. **فالنظريات الاقتصادية المطروحة عندنا، تأتي وتذهب دون نقد ولا تمحيص، كأنها تجارب في مختبر للأطفال وليست وسائل لترقية المجتمع.**

وكلما تغير النظام السياسي عندنا أو تبدل الأشخاص الذين في السلطة، أو وقعت مراجعة لعلاقاتنا بهذه الدولة أو تلك، وجدنا نظرياتنا وتطبيقاتنا الاقتصادية تأخذ منعرجاً جديداً، بصفة ارتجالية عشوائية.

ونفس الظاهرة نجدها في الأنظمة السياسية. إن النقد السياسي عندنا معناه (المعارضة)، وهذه تعني العداء أو التمرد والخروج عن الطاعة. والسياسي الحاكم (أعني هنا كل صاحب سلطة في أجهزة الدولة)، يرى أنه لا حق لأحد أن يقول له هذا خطأ وهذا صواب، لأنه يعد ذلك «مشاركة» في الحكم أو طموحاً إليه، بينما هو يؤمن بأنه (الوحيد

الأوحد) . وغياب النقد في المجال السياسي أدى إلى انعدام الديمقراطية عندنا ، وذلك يعني الاستبداد والديكتاتورية . ويقاس على ذلك النقد الاجتماعي والثقافي .

أما النقد بالمفهوم الخاص (النقد الأدبي) ، فلا يشكل في نظري إلا جزءاً من القضية ، بل لعله يأتي نتيجة أنواع النقد الأخرى . وإذا لم يكن الأمر كذلك ، فما معنى النقد الأدبي في غياب النقد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي . . ؟ ، خذ مثلاً توجيه الثقافة في بلادنا العربية ـ الإسلامية . هل هو أمر يهم فئة معينة (النقّاد) ، أو هو قضية الجميع مهما اختلفت مسؤولياتهم . . ؟ ، **إن نقد البرامج التلفزيونية والسينمائية والإعلامية ، وطبع الكتب وتوجيه البعثات الطلابية إلى الخارج ، والتبادل الثقافي مع الدول الأخرى ، كل ذلك يعتبر في نظري قضية الجميع ، ليس قضية (النقّاد) بالمعنى التقليدي للكلمة .**

وفي نظري ، أن الحركة النقدية بهذا المفهوم الشامل منعدمة في البلاد العربية ، وإذا كانت هناك أصوات ، فهي أصوات معزولة أو مكبوتة . ولذلك تميّزت توجهاتنا الثقافية في المرحلة الراهنة بالارتجالية والاستلاب والحيرة ، وهي الظاهرة التي سمحت للغزو الثقافي باجتياحنا ، دون حرب ولا معاناة . **فمجتمعنا عبارة عن خيمة كبيرة مفتوحة من الجهات الأربع لكل التيارات .**

المجتمع العالمي

●● بالنظر إلى وتيرة التطور التكنولوجي المتسارعة عبر العالم ، هل يمكن أن نتنبأ بحالة المجتمع العالمي في مطلع القرن القادم .. وهل تجدون في قصص الخيال العلمي صورة معقولة لهذه الحالة .. ؟

● يبدو لي أننا نعيش حالة المجتمع العالمي فعلاً . إن المخترعات ، وتقريب المسافات ، ووسائل الإعلام الآلية ، وتبادل الخبرات بين الدول والجماعات ، بل وهيئة الأمم المتحدة نفسها ، كلها دلائل على وجود هذا المجتمع العالمي . أين عصر الحروب البونيقية . . ؟ ، أين عصر الإمبراطوريات الاستعمارية الحديثة . . ؟ ، لقد ترك كل ذلك المجال للحديث عن التعاون والتبادل والمساعدة المشتركة .

حقيقة إن هذا العالم ما يزال يعيش مشاكل معينة مثل : المعسكرات الشرقية والغربية ، ومثل الأغنياء والفقراء ، ومثل التمايز العنصري إلخ . ولكن هذه المشاكل لم تمنع من الاتصال الثقافي ، والإعلامي ، والاقتصادي ، والتقني بين الشعوب .

والنقطة التي يجب الإلحاح عليها في نظري ليست عالمية المجتمع الإنساني ، ولكن مسؤولية ومساهمة العرب والمسلمين في هذا التطور العالمي .

ومن البديهي ، أننا إلى الآن لا نقوم إلا بدور المتفرج على هذا التطور ، والمستهلك لإنتاج الآخرين . وإذا لم ننتبه إلى هذه السلبية عندنا ، فإن المجتمع العالمي سيتطور بدوننا ، وسنجد أنفسنا ذات يوم وقد بلعتنا الأمواج البشرية الأخرى التي تعمل ليل نهار على أن يكون لها صوت ودور في هذا المجتمع .

وما قصص الخيال العلمي إلا جزء بسيط من المسألة . إن المهم هو أن ينتج العقل العربي الإسلامي قصصاً خيالية علمية جديدة على غرار ما أنتج في ألف ليلة وليلة ، وبذلك نكون من المساهمين الفاعلين في المجتمع العالمي المقبل ، وليس المتفرجين عليه ، المستهلكين لإنتاجه فقط كما هو واقعنا اليوم .

الغزو الثقافي

●● يقال إن الغزو الفكري تزامن مع التطور والغزو التكنولوجي ، ووجدنا من يدعو إلى مقاومة هذا الغزو عن طريق غلق الأبواب في وجه التكنولوجيا ، وهناك من يدعو إلى استقدامها دون قيد أو شرط ، وآخرون يرتأون استقدامها مع وضع القواعد المحكمة لضبط مسارها وتأثيرها في المجتمع . فكيف تنظرون إلى هذه المسألة الحساسة .. وهل يمكن أصلاً تبني واحد من هذه الاختيارات بمفرده .. ؟

● الغزو الثقافي عملية معقدة ومصطلح شائك . ويمكن أن نقول إن الذين وضعوا هذا المصطلح نظروا إلى أن الغزو العسكري والاقتصادي والسياسي ، الذي عرف بالاستعمار الحديث قد ولّى ، وأن الشعوب التي كانت تخضع لهذا الغزو قد تحررت وأصبحت سيدة نفسها . ولكنها من الناحية الثقافية بقيت مرتبطة بالدولة التي كانت تستعمرها . ولعل الجزائر

خير دليل على ذلك . فقد حاربت الاستعمار المعروف بأكبر ثورة تحررية عرفتها الشعوب المستعمرة ، وذلك يعني تضحيات جسيمة في الأرواح والعتاد الاجتماعي والاقتصادي ، ولكنها وجدت نفسها مكبلة بأخطبوط الثقافة الفرنسية : لغة ، ونمط عيش ، ومثلاً ، وأنظمة ، وكتباً .. إلخ .

والغزو الثقافي أنواع ، منه ما هو مفروض فرضاً ، ومن ثمة يصدق عليه لفظ (الغزو) ، ومنه ما هو إرادي واختياري ، بحيث تواطأ مسؤولو الثقافة في البلد المعني على الإبقاء ، أو على الاستيراد الثقافي بدون ضغط ولا شرط ولا قوة . ومنه أيضاً ما هو غزو مرئي يمكن لمسه والنظر إليه ، ومن ثم التعرف على خطره أو نفعه ، ومنه ما هو خفي لا يرى بالعين المجردة ، ولكنه يعرف بمفعوله وتأثيره . **ولعل من أخطر أنواع الغزو الخفي التكوين في الخارج ، حيث يخضع المتكوّن لأنواع من التأثير غير المباشر ، ولكن له مفعول السحر** .

وما دمنا قد تحدثنا عن المجتمع العالمي ، فإنه لا مناص من الخضوع للمؤثرات الثقافية ، بما فيها الاستعمال التكنولوجي . والشعب الأفضل في عصرنا الحاضر ، هو الشعب الذي يعرف كيف يوظف تكنولوجيا الغير لصالحه وعلى مقياسه ، ثم يعرف كيف يصبح فيها من المنتجين المصدرين لها أيضاً .

وعندي أن الوعي الوطني والقومي كفيل بجلب الأنسب والأمثل من التكنولوجيا إلى مجتمعنا ، ذلك أن مجتمعاً بدون وعي ، تعشش فيه الأمية والتواكل ، لا يمكنه أن يهتم بما هو له وما هو عليه ، ولا يفرق بين كونه مستهلكاً ، وكونه منتجاً ، فالوعي الجماهيري هو الوسيلة المثلى لحسن اختيار التكنولوجيا ، بشرط أن تكون هناك أيضاً قيادة حكيمة واعية تدرك الفرق بين العيش في الصدارة وبين العيش على فتات الآخرين .

هجرة العقول العربية

●● قرأنا كثيراً عن مسألة هجرة العقول العربية ومساهماتها في دفع الحركة التطورية لبلدان المهجر ، فما الدور الذي يمكن أن يلعبه هؤلاء في الحركة التطورية المرتقبة في العالم العربي .. وما الشروط التي يجب توفيرها لعودتهم والاستفادة من خدماتهم .. ؟

● سبق لي أن أجبت عن سؤال مماثل في إحدى المناسبات الأخرى ، ومن طبيعتي كره تكرار الكلام حول نفس الموضوع . وإذا جاز لي أن ألخص جوابي في هذه المسألة ، فإني أقول إن لهذه الهجرة طرفين : الطرف المهاجر ، والطرف المتسبب في الهجرة . ولا يهجر الناس أوطانهم وأهليهم إلا لأسباب قاهرة . **ويبدو أن الأسباب الرئيسية لهجرة الخبرات العربية تعود إلى :**

١ ــ انعدام المناخ السياسي .

٢ ــ انعدام وسائل العمل والإنتاج ، تلك الوسائل التي جربها أو عاينها الطرف المهاجر عادة في البلد الذي درس فيه قبل أن يهاجر إليه .

٣ ــ عدم الاعتراف بالمجهود الشخصي ، وغمط المبادرة الذاتية ، وتفضيل الجهود الأجنبية على الجهود الوطنية .

وإذا أردنا أن نتخلص من ظاهرة الهجرة هذه ، علينا أن نتخلص أولا من أسبابها . ولكن هذا لا يعني أنني أبرر الهجرة مع الأسباب المذكورة . بالعكس ، لقد ناديت كم من مرة ، بأن يحارب المثقفون فكرة الهجرة ، وأن يعملوا على البقاء في أوطانهم ، ولو مع الاضطهاد السياسي ، وانعدام الوسائل وعدم الاعتراف . ذلك أن بقاءهم يخدم مجتمعاً كاملاً ، أما هجرتهم ، فلا تعود بالفائدة إلا على أنفسهم . وهناك ناحية سلبية أخرى في عملية الهجرة ، وهي أن بعض الأنظمة تفضل التخلص من العناصر المثقفة بالهجرة ونحوها ، حتى يخلو لها الجو لتكريس الاستبداد والأمية والتبعية .

أما الخطر الأكبر في عملية الهجرة هذه ــ في نظري ــ فهو مساهمة المثقفين العرب في ضرب أمتهم ، ولو بطريقة غير مباشرة ، حين يقدمون خبراتهم ومعارفهم إلى أعداء هذه الأمة ، أو إلى المتحالفين مع أعدائها . وها نحن نشهد يومياً مواقف الدول المتقدمة التي يقصدها المهاجرون العرب من القضية العربية عموماً ، **وقضية فلسطين** خصوصاً . أليست الهجرة في هذه الظروف تخدم مصالح أعدائنا ، ومن ثمة ، ألا تكون ضرباً من الخيانة .. ؟ .

وهذا لا يعني بالطبع أنني أبرر الأسباب التي أدت بهم إلى الهجرة ، وقد قلت ذات مرة إنني **أفضل بقاء المثقف في وطنه مع السجن على هجرته إلى بلاد أخرى مع الحرية** .

التواصل بين المشرق والمغرب العربي عملية مشتركة .



د . أبو القاسم سعد الله .. في سطور

★ من مواليد بلدة «قمار» التابعة لولاية الوادي بالجزائر عام ١٩٣١ م .

★ دكتوراه في التاريخ .

★ عمل أستاذاً في جامعة «أوكلير» بولاية ويسكنسن الأميريكية .

★ عمل في جامعة الجزائر وكيلاً لكلية الآداب ، ورئاسة قسم التاريخ ، وما زال يعمل بالجامعة نفسها .

★ عمل أستاذاً زائراً في عدة بلدان عربية .

★ شارك في عدة مؤتمرات فكرية وأدبية ، وأشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه .

أعماله المختلفة

● في الأدب :

★ النصر للجزائر (شعر) ، ط ٢ ، (١٩٨٤ م) .

★ ثائر وحب (شعر) ، ط ٢ ، (١٩٧٧ م) .

★ حكاية العشاق (قصة شعبية) ، ط ٢ ، (١٩٨٣ م) .

★ القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني ، ط ٢ ، (١٩٨٥ م) .

★ تجارب الأدب والرحلة (١٩٨٤ م) .

★ سعفة خضراء (قصص) ، تحت الطبع .

★ شاعر الجزائر : (محمد العيد آل خليفة) ، ط ٣ ، (١٩٨٤ م) .

★ الزمن الأخضر (ديوان سعد الله) (١٩٨٥ م) .

● في التاريخ :

★ الحركة الوطنية الجزائرية ، جـ ٢ ، ط ٣ ، (١٩٨٣ م) .

★ الحركة الوطنية الجزائرية ، جـ ٣ ، ط ٢ ، (١٩٧٧ م) .

★ تاريخ الجزائر الثقافي (جزآن) ، ط ٢ ، (١٩٨٥ م) .

★ محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال) ، ط ٣ ، (١٩٨٢ م) .

★ أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (القسم الأول) ، ط ٢ ، (١٩٨٢ م) .

★ أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (القسم الثاني) (١٩٨٦ م) .

★ حياة الأمير عبد القادر (ترجمة كتاب تشرشل) ، ط ٢ ، (١٩٨٢ م) .

★ تاريخ العدواني ، بصدد التحقيق .

● دراسات عامة :

★ منطلقات فكرية ، ط ٢ ، (١٩٨٢ م) .

★ رائد التجديد الإسلامي : ابن العنابي ، (١٩٧٧ م) .

★ شيخ الإسلام : عبد الكريم الفكون ، جاهز للطبع .

★ الطبيب الرحالة : ابن حمادوش ، (١٩٨٢ م) .

★ رحلة ابن حمادوش (لسان المقال) ، (١٩٨٣ م) .

★ شعوب وقوميات (١٩٨٥ م) .

● بالفرنسية :

La Montée du Natioanlisme Algénen, 1900 – 1930, 1e édition, 1982, 2e édition, 1985 .

بدايات

البلاستيك

كلمة **بلاستيك** مشتقة من الكلمة الإغريقية Plastikos أي: **الشيء اللدن القابل للتشكيل**. وهذه فعلاً هي الخاصية المميزة لهذه المادة.

والبلاستيك نوعان:

بلاستيك شبه تركيبي Somi - Synthetic، وفيه تشتق السلسلة الأساسية للتركيب من منتج طبيعي مثل **السيليولوز**.

والبلاستيك الكامل التركيب Fully - Synthetic، وفيه تتكون سلسلة التركيب بطريقة كيميائية من وحدات صغيرة Monomers. وتسمى العملية التي يتكون خلالها **البوليمر** Polymer – من وحداتها الصغيرة – بعملية **التبلمر** Polymerization أو **البلمرة (التبلمر هو اتحاد جزءين – أو أكثر – من مركب ما، لتشكيل مركب ذي وزن جزيئي أكبر)**.

وأول منتجات بلاستيك تم تسويقها تجارياً كانت شبه تركيبية، كما كانت مشتقة من **كربوهيدرات السيليولوز** الذي أمكن الحصول عليه من **فاقد القطن**.

ففي عام ١٨٦٢م، استطاع الكيميائي البريطاني **ألكسندر باركس** تركيب أول مادة بلاستيكية أسماها **باركساين** Parkesine، وكانت لدنة فعلاً وقابلة للتشكيل... وذلك بإحداث **تفاعل بين فاقد القطن وخليط من حامضي النيتريك والكبريتيك بهدف إنتاج النتروسيليولوز، الذي تم خلطه بعد ذلك بزيت القُندس** Castor Oil **مع قليل من الكافور ومادة ملونة**. بيد أن باركس لم يستطع إنتاج كميات كبيرة من تركيبته تلك، كما أنها لم تحقق نجاحاً تجارياً.

وفي عام ١٨٧٠م، أنتج الكيميائي الأمريكي **چون ويزلي حيات، أول مادة بلاستيك تحقق نجاحاً تجارياً**. وتركيبته تشبه تركيبة **باركس**، ولكن مع فارق واحد، هو أن **حيات** وضع الكافور في مكان زيت القندس. وقد استخدمت تلك المادة الجديدة في صناعة منتجات متعددة ومتنوعة منها: **إطارات النظارات، الأمشاط، كرات البلياردو، مقابض السكاكين، أفلام التصوير**.

أما أول نسيج توليفي، فقد أنتج في عام ١٨٨٩م، وكان هو **الحرير الصناعي** الذي صنع من **النترو سيليولوز**.

البلاستيك المركب:

في عام ١٨٣٨م، لاحظ الفرنسي **رينوه** تحوّل **كلوريد الفينيل** – تحت تأثير ضوء الشمس – إلى **راتنج**. لكنه لم يدرك – وقتها – قيمة ما تحمله تلك المادة من إمكانات... **فهي ذات المادة التي تسمى الآن كلوريد البوليفينيل Poly-vinyl Chloride** أو بي. في. سي (P. V. C).... ثم توالت الخطوات والإنجازات على طريق صناعة البلاستيك.. مما نعرض منه لما يلي:

●● عام ١٨٧٢م، اكتشف الألماني **أدولف باير**.. راتنج **الفينول فورمالديهايد**.

●● عام ١٨٧٧م، اكتشف الكيماويان الألمانيان: **فيتيج، وبول**.. لأول مرة – مادة **الميثيل ميتاكريلايت**، وحققت نجاحاً تجارياً كبيراً. وقد كانت هذه المادة بمثابة الأساس الذي قامت عليه صناعة بلاستيك **البرسبيكس Perspex** أو البلكسجلاس Plexiglas التي استخدمت في الإنتاج بعد ذلك بنصف قرن.

●● عام ١٨٧٩م، أجريت أول تجارب لبلمرة الإثيلين.. **لكنها أنتجت زيت التشحيم وما أنتجت بلاستيك**.

●● عشرينات القرن العشرين الميلادي، أجرى الكيميائي الألماني **هيرمان ستودنجر**، تجارب مكثفة توصل بها إلى إنتاج أنواع جديدة من البلاستيك تعتمد أسساً أكثر معقولية. ففي عام ١٩٣٠م، بدأ الإنتاج التجاري لمادة **البوليسترين**.. واحدة من أهم منتجات البلاستيك هذه الأيام (**هيرمان فاز بجائزة نوبل للكيمياء في عام ١٩٥٣م**).

●● عام ١٩٣١م.. أول إنتاج تجاري لمادة **البوليفينيل كلوريد** (بي. في. سي) في ألمانيا.

●● هذا.. ومع منتصف القرن العشرين الميلادي بدأ ظهور مواد بلاستيكية جديدة نذكر منها: **البوليستر، البوليوريتان، البولولفين**.. وغيرها كثير.



دوافع وآثار
حركة الاستشراق الهولندي
في مضمار الجغرافيا العربية

بقلم : د . سعيد حسين علي

★ ★ ★

توفرت ظروف جياشة للحركة العلمية في هولندا في فترة سبقت ما توفر لغيرها من دول أوروبا من ظروف مماثلة ، مما جعلها مركز الاستقطاب الأوروبي في نشر العديد من الكتب العربية المتميزة بكونها مصادر أصيلة لينابيع الثقافة وكنوزها .

والمتتبع لحركة الاستشراق الهولندي تلك يرى أن الفكر الجغرافي العربي فيها ، حظي ميدان التقصي والدراسة والطبع والنشر والتحقيق لدرجة بالغة الأهمية وبتركيز أكبر مما حظيت به العلوم العربية الأخرى .

يهدف هذا البحث إلى تحليل دوافع وآثار حركة الاستشراق الهولندي في مضمار الجغرافية العربية ، وإبراز الحوافز المشجعة لمستشرقي هولندا في اقتحام الميدان الثقافي للفكر الجغرافي العربي .

الدوافع والآثار

إن تلك الدوافع والآثار تتضح بصورتها الواضحة في العوامل التالية :

(١) تعدد طرق التماس الحضاري العربي - الأوروبي :

لقد سببت الفتوحات الإسلامية (صدمة) حضارية عند الأوروبيين ، مما نبههم إلى أن العرب قوم حضارة وثقافة أملت عليهم دراسة تراثهم ، كما أن لحركة **الترجمة** إبان حكمي **المنصور والمأمون** في بغداد ، وما يتبع ذلك من ظهور العديد من الدراسات ، أثر في جعل التراث العربي الجغرافي بصفة خاصة ذو أهمية مرموقة الجانب تناقلته الأيدي الأوروبية بعد سنين طوال تمتد لأكثر من خمسة قرون من الزمن .

ولم يكن تشجيع **الأمويين** عندما انتقلوا **للأندلس** وكونوا فيها مملكة عاصرت العصر العباسي الأول لحركة الترجمة والتأليف ، بأقل كثيراً من عمل العباسيين من مدنيات العراق[١] .

لقد شعَّ التيار العلمي العربي من جهات ثلاث ليعم القارة الأوروبية ، والجهات الثلاث هي الأندلس وفلسطين وصقلية التي تمثل مناطق تماس وإخصاب فكري بين علوم العرب المسلمين الأصيلة الغزيرة وبين مفكري قارة أوروبا التي يفتقر تراثها إلى هاتين الخاصيتين .

فقد جعل المسلمون من بلاد الأندلس ميداناً هاماً للحركة الفكرية وكان نتاجهم يمثل تراث ضخم يشمل أبحاث العرب الأصيلة إضافة إلى نتاجات ما ترجم عن اللغات الأخرى .

إن هذه التراكمات العلمية في الأندلس تجلت منها الاستفادة الجادة بانتشارها في كل أرجاء القارة الأوروبية ومما زادها أهمية أن مستشرقي أوروبا تناولوها بحثاً وتحقيقاً وتدقيقاً وتحليلاً . وقد ساهمت مدرسة المترجمين في طليطلة Collegio de Traduttores to Ledenus بصورة راسخة في نقل التراث العلمي العربي إلى عدة لغات أوروبية[٢] ، فمن الطبيعي أن يصل ذلك التأثير إلى هولندا ، وكان وصول تلك الترجمات إلى أيدي المستشرقين الهولنديين ، معناه السيطرة على كشف مغاليق الثقافة العربية والخوض في غمارها إذ إن ذلك يعني طبع ونشر ما يتميز به العقل العربي من إبداع وأصالة وخاصة في مضمار الفكر الجغرافي .

وثاني مناطق التماس والإخصاب الفكري هي **صقلية** التي كانت تزخر بالمفكرين العرب ولها صلات وثيقة ثقافية وتجارية بالأندلس تمثلت في هجرة العديد من العلماء والفقهاء والتجار لها ، وقد تسربت بعض مؤلفات الكتَّاب الأندلسيين لها والتي هي أصلاً من نتاج العرب[٣] .

وتعتبر **فلسطين** مركزاً مهماً للتماس الحاصل بين الأوروبيين والعرب ، فهي أقدم مناطق الصلات الثقافية بين الشرق والغرب . ورغم أن كتباً عربية كثيرة تعرضت للنهب[٤] ، ونقلت إلى أوروبا إلا أن ترجمتها وطبعها وتحقيقها

كان بمثابة بدء النبض الحضاري والثقافي عند المستشرقين الأوروبيين وبدء اقتحامهم للتراث الجغرافي العربي أولا بأول باعتباره دليلاً هاماً لأحوال بلاد العرب الطبيعية والبشرية والتي كان الغرب يتلهف في معرفتها ، وقد كان تحسس باحثي هولندا في هذا المجال ليس أقل مما يماثله من شعور عند الباحثين الأوروبيين من رغبة في خوض غمار تراث العرب الجغرافي كما سنرى .

(٢) الريادة البحرية : كان من الطبيعي أن تتجمع لدى الهولنديين معلومات جغرافية عن بلاد العرب في القرن السادس عشر الميلادي (الذي يمثل بدء دخولهم مجال التوسع البحري والتجاري)[٥] ، وذلك بسبب امتلاك هولندا لأسطول تجاري ضخم يأتي آنذاك في المرتبة الرابعة بين أساطيل العالم الكبرى[٦] ، وكانت هولندا في دور ريادة في فترة تيسرت لها أن تكون من القوى السياسية الكبيرة[٧] ، وقد ألمت وهي تتميز بهذه الميزة بمعالم جغرافية بلاد العرب وخصوصاً تلك التي ارتبطت معها قسراً بعلاقات تجارية .

ومنذ منتصف القرن السابع عشر كان للهولنديين وكالتان تجاريتان مهمتان في الخليج العربي ، إحداهما في **البصرة** وأخرى في **مسقط** دام نشاطها التجاري قرابة ١٣٠ سنة[٨] .

وخلال تلك الفترة تجمعت تقارير ومعلومات جغرافية الاتجاه عن منطقة الخليج العربي بصفة خاصة وبلاد العرب بصفة عامة وهي معلومات ضرورية لتوسيع تواجدهم هناك وممارسة النشاط التجاري ، وكانت تلك التقارير بمثابة نواة لبحوث مستشرقي هولندا .

فقد كتب المستشرقون الهولنديون عن طبائع وعادات وتقاليد العرب ، وعن الميزات الجغرافية للبلاد التي أقاموا معها علاقات اقتصادية . فمثلاً وضع **رينهارد دوزيه Reinhard Dozy** قاموساً للألبسة العربية ، وهو ملخص لأطروحته في الدكتوراه من **جامعة أمستردام** عام ١٨٤٥ م[٩] . كما إن ذلك الاهتمام يتضح من

دوافع وآثار حركة الاستشراق الهولندي في مضمار الجغرافيا العربية

دراسة فريدة تصنف ضمن الجغرافيا الاجتماعية (في الفكر الجغرافي المعاصر) وهي الدراسة التي وردت في كتاب (**الحياة في الحجاز وموسم الحج**) للمستشرق **سنوك غرونيه Snouk Hurgtonje** المطبوع في عام ١٨٨٥ م[١٠] .

وقام المستشرقون الهولنديون بنشر الكتب الخطية العربية التي وقعت بأيديهم ، ومن أمثلة ذلك ترجمة وطبع ونشر ما ورد من معلومات فلكية في كتاب (**جوهر الفلك**) لمؤلف عربي مجهول ، وكان النشر باللغتين العربية واللاتينية عام ١٦٦٩ م[١١] .

وتبعاً لذلك ، وبغض النظر عن الصراع الاقتصادي بين الدول الأوروبية للسيطرة على أسواق العرب منذ القرن السابع عشر الميلادي ، وبغض النظر أيضاً عن وجود التيار المتزمت الذي بدا ووضح من خلال دراسات بعض المستشرقين الأوروبيين (ومنهم بعض الهولنديين أيضاً) ، التي (كان هدفها إثارة الطائفية والعرقية في بلاد الإسلام)[١٢] ، فإنه من الإجحاف أن يهاجم البعض عموم حركة الاستشراق ، غافلين أن للعديد من رواد تلك الحركة دوافع ثقافية .

(٣) انتشار رواد اللغة العربية في هولندا :

كان للعلاقات التجارية بين الهولنديين ودول المغرب العربي (**ليبيا والجزائر والمغرب**) دور كبير في انتشار اللغة العربية بين مجموعة ليست قليلة العدد من الهولنديين[١٣] ، هذا في خارج هولندا ، أما في داخلها فكان أول انتعاش للعربية على يد **ويسل J. WESSEL** في بحثه الموسوم (**علوم العرب**)[١٤] ، (١٥٣٩ ـ ١٥٩٧ م) ، في وضع معجم للترجمة معتمداً على مبادئ العربية[١٥] ، وكان مهماً لدرجة أنه أعيد طبعه عدة مرات .

ومن رواد انتشار العربية **سكاليجر Scaliger** (١٥٤٠ ـ ١٦٠٩ م) ، وكان دوره في ذلك كبيراً لا سيما وإنه أستاذ العربية في **جامعة ليدن**[١٦] .

ولانتشار العربية أثر مهم في ترجمة العديد من كتب الجغرافيين العرب إلى اللغات الأوروبية وخاصة إلى اللغتين الألمانية والفرنسية (وهما اللغتان السائدتان في هولندا)[١٧] ، إضافة أن ما يثبت انتشار رواد العربية في هولندا آنذاك أدى إلى اقتناء النسخ العربية المطبوعة بكثرة (وإن ذلك معناه أن الأوروبيين استيقظوا من عميق سباتهم على العلوم العربية)[١٨] . ومما يعرف عن دي غويه أنه (اختار التخصص باللغات السامية وسحرته العربية دون غيرها)* .

(٤) تأسيس مطبعة بريل في ليدن :

لقد أنشأ تلك المطبعة **أوربانيوس (Orbanious)** حيث تم طبع العشرات من أمهات الكتب العربية فيها[١٩] . ونتيجة لوجود هذه المطبعة فقد انصب اهتمام المستشرقين الهولنديين على طبع ونشر التراث العربي مركزين على الجانب الجغرافي منه ، وقد دفعهم إلى ذلك سهولة طبع البحث ونشره إضافة إلى رغبتهم في زيادة المعرفة والاستفادة العلمية ، وقد صحح هؤلاء المستشرقون العديد من المغالطات والصور المشوهة التي كتبت سابقاً عن ثقافة العرب وحضارتهم .

وفيما يلي نورد أهم المطبوعات العربية **لمطبعة بريل في ليدن** التي تبين ضخامة التيار الجغرافي لهذه المدرسة :

١ ـ الموسوعة الإسلامية باللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية .

٢ ـ صورة الأرض لابن حوقل .

٣ ـ الأعلاق النفيسة لابن رسته .

٤ ـ البلدان لابن الفقيه .

٥ ـ المسالك والممالك لابن خرداذبه .
٦ ـ رحلة ابن جبير .
٧ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي .
٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي .
٩ ـ التنبيه والإشراف للمسعودي أيضاً[٢٠] .

(٥) سيادة التيار العلمي المنزه :

إن أبرز ما قدمته المدرسة الهولندية في حركة الاستشراق هو (الأستاذ **كرامرز Kramers**) الذي ركز في كتاباته على الجغرافية العربية والجغرافيين العرب[٢١] .

ويظهر التيار العلمي المنزه عن الأغراض الأخرى في كتابات دي غويه الذي طبع مؤلفه (**المكتبة الجغرافية العربية**) في ثمانية مجلدات تضم معظم مؤلفات الجغرافيين العرب القدماء مع ترجماتهم[٢٢] .

وقد اختص **رينالد Renald** بموضوع الجغرافية العربية طيلة فترة تدريسه في **جامعة أوترخت**[٢٣] ، **وساهم هماكر Hamaker** بنشر قسم من مؤلفات **الواقدي والمقريزي**[٢٤] ، **كما نشر دي يونغ De yong** (١٨٣٢ ـ ١٨٩٠ م) ، كتاب «فتوح البلدان» **للبلاذري**[٢٥] .

وقد انصب اهتمام المستشرق الهولندي جوينبول Joynibole على نشر العديد من الكتب الجغرافية وأهمها :

أ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن عبد الحق .
ب ـ الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري .
ج ـ البلدان لابن واضح اليعقوبي[٢٦] .

ويظهر الاهتمام الأكاديمي بالفكر الجغرافي العربي من خلال تخصص أساتذة الجامعات الهولندية في الموضوع المذكور . وكان أشهر من برز في هذا المجال **الأستاذ ويث P. J. Weth** (١٨١٤ ـ ١٨٩٩ م) ، الذي اختص بتدريس الفكر ذاته بجامعة أمستردام ، واستدعي لتدريس جغرافية الهند في أحد المعاهد الشرقية التابع للجامعة[٢٧] .

وقد اعترف المستشرق الهولندي **كرامرز G. H. Grammers** بفضل العرب في الرحلات الجغرافية والملاحة البحرية وما صاحبها من انتعاش للوصف الجغرافي في كتابات العرب المسلمين ، مبيناً أهمية معرفة العرب بالطرق البحرية فكانوا أدلاء للأوروبيين في هذا المجال كما فعل **فاسكو دي جاما Vasco de Gama** في استصحاب **ابن ماجد** دليلاً له على طريق يمتد بين شرق إفريقيا إلى الهند وسيلان . وبيّن المستشرق المذكور أهمية اعتماد ابن ماجد على خريطة بحرية دقيقة وكثير من عدد البحر والملاحة التي لم يعهدها الأوروبيون لإنجاز تلك المهمة[٢٨] .

(٦) ظهور مشروع طبع المخطوطات العربية ضمن دورية (مكتبة الجغرافيين العرب) بمدينة ليدن :

ثمة بادرة مهمة سبقت البوادر الأوروبية في جمع المخطوطات العربية بغية تحقيقها وتحليل المعلومات الواردة فيها من أجل الاستفادة منها في هولندا قبل غيرها من دول أوروبا . فقد قام **دي غويه** (١٨٣٦ ـ ١٩٠٩ م) ، الذي نال من جامعة ليدن في هولندا لقب الدكتوراه بمشروع طبع المخطوطات الجغرافية العربية ضمن مشروع دورية (مكتبة الجغرافيين العرب) ، منها :

١ ـ باب وصف المغرب من كتاب «البلدان» لليعقوبي ، مطبعة بريل في ليدن ، سنة ١٨٥٠ م .

٢ ـ انتسخ **دي غويه** أيضاً لوحده جغرافية ابن حوقل وقسماً من جغرافية الإدريسي[٢٩] .

ونشر **دي غويه** ضمن الدورية المذكورة كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبه ، ١٨٨٩ م ، و«رحلة ابن جبير» و«المسالك والممالك» لابن حوقل ، ١٨٧٣ م ، و«مسالك وممالك» ابن الكرجي ، ١٨٧٠ م ، و«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي ، و«البلدان» لابن الفقيه ، ١٨٨٥ م ، و«الخراج» لقدامة بن جعفر ، ١٨٩١ م ، و«الأعلاق النفيسة» ١٨٨٥ م ، لابن رسته ، و«جغرافية» الإصطخري[٣٠] .

وتتضح أهمية سلسلة مؤلفات الجغرافيين العرب المذكورة بكونها نشر لأفكار ومآثر العرب العلمية في مضمار الجغرافيا . ويقترن اسم دورية الجغرافيين العرب بظاهرة فريدة أخرى Biblio Thea Gcogra phorum Arabi Corum وهي احتواءها على مجموعة كبيرة من خرائط العرب[٣١] ، مما يزيد القراء شوقاً إلى استخدام وسيلة عملية وعلمية للاستدلال على مواقع الطرق والمدن والبحار والأنهار التي دونها العرب في كتبهم .

وقد ألمَّ **دي غويه** مؤسس هذه الدورية بدراسة حياة العرب وركز في ذلك على الجانب الجغرافي بسبب سعة إطلاعه فيه ، ومما يزيد من أهمية تلك المصنفات أن **دي غويه** (بلغ حد الكمال في تطبيقه لمنهج تحقيق النصوص إضافة إلى وضعه مقدمة لكل جزء يحدد فيها مكانة كل مصنف)[٣٢] .

(٧) وضع مقدمات تتصدر كتب الجغرافيين العرب :

دأب العديد من المستشرقين الهولنديين على وضع مقدمات لكتب الجغرافيين العرب بعد طبعها كانت خلاصة للتعريف بأهمية النتاج العربي وتجسيم مكانته العلمية في نظر الأوروبيين ، فرحلتي **ابن بطوطة وابن جبير** تضمنت كل منهما مقدمة الأولى بقلم **دوزيه**[٣٣] ، أثنى فيها على الرحلة ومعلوماتها ، والثانية مقدمة باسم **رايت** بيَّن أهمية دقة معلوماتها في البحث العلمي .

إضافة إلى ما مر بنا في هذا البحث من أن تحقيق النصوص الجغرافية للمدرسة الهولندية للاستشراق يبدأ بمقدمة لكل مصنف جغرافي عربي يمكن للقارئ من خلاله أن يعرف قيمة المصنف ومكانته العلمية .

(٨) انتشار ظاهرة التعريف بجغرافية بلاد العرب في مقالات ضمن الدوريات الهولندية :

اتسع نشاط النشر لرواد المدرسة الهولندية ليشمل الدوريات الصادرة في ليدن وأمستردام ، فقد تضمنت المقالات المنشورة في تلك الدوريات ، تحقيقات عن جانب جغرافي معيَّن أو لفصل مهم من مخطوطة عربية ، وكانت تلك الأبحاث من الأهمية بمكان ، لدرجة أنها رسخت أسس المعرفة الجغرافية عند الأوروبيين لأجزاء عديدة من بلاد العرب ، فمثلاً اشترك كل من **دي غويه De Geoye** مع **دوزيه Dozy** في تحليل ما كتبه **الإدريسي** عن إسبانيا وإفريقيا الشمالية في طبعة خاصة بمطبعة بريل في ليدن سنة ١٨٦٦ م ، وكانت تلك البادرة أول خطوة جدّية في مضمار التعريف بجغرافية بلاد العرب الواقعة على البحر المتوسط من إفريقيا[٣٥] .

وقد وضع **دوزيه** درساً على مقدمة **ابن خلدون** وقع في ثمانين صفحة[٣٦] ، كما كتب المستشرق **كرامرز Kramers** عن جغرافية **المقدسي** الذي يعتبره من أكثر الجغرافيين أصالة آنذاك[٣٧] .

إن الاهتمام بمثل هذه الدراسات في هولندا يعود إلى ثقة مستشرقيها بأصالة التراث الجغرافي العربي ، فهم واثقون بأن المعلومات الواردة في كتب الجغرافيين العرب دونت بعد قيام مؤلفيها بزيارات أو جولات ميدانية لمختلف الأقاليم مع تميزهم بسبقهم لغيرهم من الأمم في هذا المجال ، فقد صنفهم (**غوستاف لوبون**) بكونهم أقدم سواح العالم[٣٨] .

يتضح مما سبق أن التركيز في دراسة الفكر الجغرافي العربي لرواد المدرسة الهولندية للاستشراق إنما جاء نتيجة تضافر عاملين هما طبع ونشر المخطوطات الجغرافية العربية في مطبعة بريل التي تعد من ضمن أهم مطابع أوروبا القديمة ، بحيث ساهم ذلك في حفظ جزء كبير من التراث الجغرافي العربي من الضياع .

ولهذين العاملين إضافة إلى انتشار رواد العربية بسبب عوامل مساعدة على ذلك دور كبير في ظهور مجموعة مستشرقين قاموا بتحقيق ودراسة وتحليل وطبع ونشر العديد من مؤلفات الجغرافيين العرب المسلمين .

الهوامش

(١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الجزء الأول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٦ ، القاهرة ، عام ١٩٦١ م ، ص ٣ .

(٢) الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، مطابع مكتبة الفكر الجامعي ، بيروت ، عام ١٩٧٠ م ، ص ٨٥٣ .

(٣) الدكتور تقي الدين عارف الدوري ، صقلية ، علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورماندي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، عام ١٩٧٠ م ، ص ٢٦٧ .

(٤) محمد الفرزوسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، مطابع دار الكتب الشرقية ، ط١ ، تونس ، بدون تاريخ ، ص ٢٠ .

(٥) هـ ، ج ، وود ، الارتياد والكشف الجغرافي ، ترجمة الدكتور شاكر خصباك ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ١٥٠ .

(٦) محمد شفيق غربال وآخرون ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطباعة والنشر ، ج٢ ، بيروت ، عام ١٩٨٠ م ، ص ١٩٢٠ .

(٧) عبد الجبار ناجي ، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، الموسوعة الصغيرة ، تسلسل ٨٥ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، عام ١٩٨١ م ، ص ٦٥ .

(٨) راجع ما ورد تفصيلاً في المصدر التالي : الدكتور صبري فارس الهيتي ، الخليج العربي ، دراسة في الجغرافية السياسية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، عام ١٩٧٨ م ، ص ٢٤ ــ ٢٥ .

(٩) يوسف جبرا ، تاريخ دراسة اللغة العربية في أوروبا ، مطبعة الشباب ، القاهرة ، عام ١٩٢٩ ، ص ٤٣ .

(١٠) الدكتور محسن جمال الدين ، المستشرقون والأماكن المقدسة ، سلسلة الثقافة الإسلامية ، دار الثقافة الإسلامية للصحافة والتأليف والترجمة والنشر ، ط٢ ، مطبعة أسعد ، بغداد ، (بدون تاريخ) ، ص ١٧ .

(١١) يوسف جبرا ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(١٢) انظر في هذا المجال : عمر صفحوف ، حركة الاستشراق ، مجلة الثقافة العربية ، العدد ٦ ، مطابع الثورة للطباعة والنشر ، بنغازي ، عام ١٩٧٥ م ، ص ١٦ ــ ١٨ .

(١٣) نجيب العقيقي ، المستشرقون ، مطبعة الاتحاد ، بيروت ، عام ١٩٣٧ م ، ص ١٧١ .

(١٤) المرجع نفسه ، ص ١٧٢ .

(١٥) المرجع نفسه ، ونفس الصفحة .

(١٦) المرجع نفسه ، أيضاً .

(١٧) محمد شفيق غربال وآخرون ، مصدر سابق ، ص ١٩٢٠ .

(١٨) الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص ٨٥٣ .

(★) صلاح الدين عثمان ، المستشرقون والجغرافيا العربية ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مكتب التربية العربية لدول الخليج العربي ، مطبعة مكتب التربية ، عام ١٩٨٥ م .

(١٩) جمال الدين الآلوسي ، المستشرقون والتراث والمستشرقون والإسلام ، مطبعة وزارة الأوقاف ، بغداد ، (بدون تاريخ) ، ص ٨ .

(٢٠) نجيب العقيقي ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ ــ ١٧٤ .

(٢١) عبد الجبار ناجي ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٢٢) جمال الدين الآلوسي ، مرجع سابق ، ص ٩ .

(٢٣) نجيب العقيقي ، مرجع سابق ، ص ٩ .

(٢٤) المرجع نفسه ، ونفس الصفحة .

(٢٥) المرجع نفسه ، ص ١٧٧ .

(٢٦) المرجع نفسه ، ونفس الصفحة .

(٢٧) نفس المرجع ، ص ١٧٨ .

(٢٨) جي . أج . كرامرز **J. H. Krammers** (الجغرافيا والتجارة) ، مقالة وردت في تراث الإسلام ، تأليف لجنة من المستشرقين بإشراف (سير توماس آرنولد) ، ترجمة جرجي فتح الله ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط٢ ، بيروت ، عام ١٩٧٢ م ، ص ١٨١ .

(٢٩) نجيب العقيقي ، مرجع سابق ، ص ١٨١ .

(٣٠) المرجع نفسه ، ص ١٨٢ .

(٣١) أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القسم الأول ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، عام ١٩٦٣ م ، ص ٢٩٤ .

(٣٢) صلاح الدين عثمان ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

(٣٣) راجع مقدمة المصدر التالي :

أبو عبد الله محمد الطنجي ، المعروف بابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، دار صادر وبيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، عام ١٩٦٤ م ، ص ٦ .

(٣٤) راجع أيضاً ما قدم للمصدر التالي :

أبو الحسن محمد بن جبير ، رحلة ابن جبير ، سلسلة أدب الرحلات ، دار التراث ، بيروت ، عام ١٩٦٨ م ، ص ٥ .

(٣٥) كراتشكوفسكي ، مصدر سابق ، ص ٢٩٣ .

(٣٦) نجيب العقيقي ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

(٣٧) الدكتور شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، دراسة في التراث الجغرافي العربي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، عام ١٩٧٥ م ، ص ٣٧٧ .

(٣٨) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة الحلبي ، دمشق ، ١٩٦٩ م ، ص ٤٤٦ .

من المكتبة السعودية

● الكتاب : تسبيح وصلاة . (ديوان شعر) .
● المؤلف : إبراهيم أمين فودة .
● الناشر : المؤلف نفسه ـ مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م .

هذا هو المجلد الخامس من أعمال الشاعر إبراهيم فودة . قسَّمه إلى أربعة أقسام ، خص الأول به فاطر السموات والأرض ، وجاس بالثاني في رحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، في حين جعل الثالث بعنوان «عبرات» والرابع «زفرات» .

ويمكن دمج الأول بالثاني ليكون تسبيحاً لله تعالى وصلاة على رسوله الكريم ، وبخاصة أن التيار واحد واللغة واحدة تشكيلاً ودلالات وهدفاً . كذلك يمكن جمع الثالث بالرابع خاصاً به شؤونه وشجونه ، على أساس أن العلاقة وطيدة بين العبرة والزفرة ـ فالحزن هو السدى واللحمة ـ وإن يكن ميز الأول مراثي رجالات عصره وأصدقائه . منهم الأمير عبد الكريم الخطابي (ص ١٦٧) والعقاد في «بلد العقاد والسد العالي» كلاهما ذروة في الجد والكد و «فلتة عزت نظائرها على الزمان» (ص ١٧٢) ، وفؤاد باشا الخطيب (ص ١٧٥) ، ومحمد سرور الصبان وضياء الدين رجب وعبد القدوس الأنصاري ، وكلهم شكل عنده معاناة صادقة أو حزناً يشي بذلك الحب الكبير الذي كان يكنه لهم .

وأما قصيدته في محمد حسن عواد فقد لخص منها فلسفته بأحسن ما يمكن أن يقال :

كلنا ميت وإن طالت الأيام
لكن يعيش بالذكر مثلك

وقد وصفه بأبولو الحجاز (ص ١٩٧) وربما كانت قصيدته تلك أحدث مراثي الشاعر ، غير أنه جاوز هؤلاء إلى عمه وعديله ، وموتى آخرين كان لهم في قلبه محبة ووفاء ، وذكره إياهم عنده حق شاعر صادق وواجب يشبه هذا الحق !

واعتذر عن الاستطراد ، فإنما كنا نعرض لقسمة الديوان التي كان للشاعر فيها رأي ولنا فيها نظر .

فإذا عدوناها ، فلعل أول ما نلاحظه فيها كأنواع ، أن الشاعر لا يولي عناصر الشكل الشعري عناية تفرط في حق المعاني . بل كان وهو يصدر عن إيمان بالالتحام العضوي بينهما ، شديد العناية بالتوجه نحو أعماقه للكشف عنها بالتمكن نفسه الذي دلت عليه صياغاته على طول مجلدات ديوانه السابقة .

على أننا لاحظنا أنه اشتد تمسكاً بتلخيص مواقفه وانفعالاته في أبيات شعرية تصل إلى مرتبة الحكمة . نعم كان يعرض له ذلك بين الحين والحين من قبل ، إلا أنه هنا يكثر منها ـ أي أبيات الحكمة ـ في مجموعته «تسبيح وصلاة» ومن قبيلها ما ورد في قصيدته «عبير الشكوى» (ص ٨٧) وما بعدها :

● وأرى بارق الرجاء لميعا
ولقد يكسر الرشاء الصخورا
● ومواء السنَّور لا ينفث الرعـ
ـب وإن ردد المواء كثيرا
● وإذا أسرف البداة بخير
أو بشر سال المديُّ غزيرا
● لا تقلوا شأن الضعيف فما ظل
صغير مدى الحياة صغيرا
● وإذا مالت الغصون يميناً
أو شمالا فلن تضرَّ الجذورا
● وإذا صحَّت القلوبُ من العلة
لم تشتك الجسوم نفورا

ويتناثر مثل ذلك ـ بلباقة وبديهة مواتية ـ على طول الكتاب وعرضه ، ونتبين من خلاله أن فودة يصدر عن ثلاثة أمور هي الخبرة والولاء والحقيقة ، ملفعة بحسن بيان :

والنفس ترق بشر النفس ما قصرت
عنه المدارك والأفهام والثقفُ
. . . .
وما ابرئ نفسي من غوايتها
إني إذن لامرؤ بالحق يعترفُ
لكن معرفة الأدواء مدرجة
إلى الشفاء وجرَّا القطرة الوطفُ

(ص ص ١٠٨ ، ١١٢)

والوطف هو انهمار المطر وأصله نقطة الماء ، على أساس أن الصغير لا يظل صغيراً ، ومعظم النار من مستصغر الشرر . . والأمر مهما يكن هو أن يعلِّم الناس ـ أو على الأقل ذوي النوايا الطيبة ـ لكيْ يظلوا شرفاء عدولا متواضعين ، ومؤثرين غيرهم على أنفسهم :

جعلت طلابي في الحياة لأمتي
وأفرغت منها كل معنى ينالني





★ إبراهيم أمين فودة ★

ومن ذاق من مر الحياة وحلوها
كما ذقت لم يطمع ولم يتطامن

(ص ٢٨٤)

دون أن يركبوا الشطط، وإن يكن من الضروري أن «يفعلوا» بعاطفة وتعاطف، وعلى قدر ما يستطيعون:

كل امرئ حسبه أمداد طاقته
لولا التفاوت ما كنا سوى نطف

(ص ٢٩٧)

ودعونا من كل أولئك ـ وانتبهوا أولا إلى تعاظم الذات فيه ـ إلى ما يمكن تسميته بالإنسان العاطفي الباحث في أعماقه وحدها عن الثابت في عالم متقلب. وهذا التحديد هو منطلق الشاعر نحو الحقيقة، مسلحاً بالولاء ومتلئاً خبرة قوامها الفعل ورد الفعل، وكلاهما ـ عنده ـ من قضاء القادر العادل المتفضل بقبول التوبة:

حنانيك ربي ما عصيتك عامدا
ولا اخترت يوماً أن أرى لك عاصيا
فإن جئت خيراً جئته منك منَّة
وإن جئت شراً ما تعمدت جانيا

(ص ٢١)

وفي موضع آخر يتوجه إلى الله بقوله:

يرجو نداك وما نداك بمحسن
عن كفَّ سائله عطاء المحسن
هو من خلقت ومن رزقت ومن عصىَ
قدراً كتبت على الفؤاد الليِّن
فاغفرْ لسيئه فعفوك واسع
بالفضل قلب المخبت المتمسكن

(ص ٣٣)

وعلى هذا النحو يخضع الشاعر لقوة الإيمان ولأبعاده غير المحدودة، ولقد قال إنه في حاجة إليه لكي يهتدي وإلا فالموت به أولى:

وليس مع الإيمان أشهى لمؤمن
من الموت إن أدنى إليك وإن أسرى
. . . .
وحاشاك أن ترضى بذلة مؤمن
يجل قضاء الله من مثلها قدرا
ويا رب إن قدرت لي ذل ساعة
سألتك عوْض الذل أن تقصف العمرا

(ص ص ٦٣، ٦٤)

وأول أقسام المجموعة من هذا وإليه، فضلاً عن أننا نرى ذلك البعد الفني نفسه في إظهار حبه للرسول الكريم. وهو دائماً فيض قلب طاهر ناصع، ويصير في غمرة ولائه ولهاً ووجداً وإثارة دمع مدرار:

كيف يسلو ذكر الحبيب محب
عالج الشوق عشوة وبكورا
مجده في الغرام أنك ترضى
والرضى منك منية لن تبورا
. . . .
إنه الوصل في أدق معاني
ـه اجتذاباً وحظوة وشعورا

(ص ص ٨٨، ٨٩)

ثم به يتوسل إلى الخير كله لأمته:

أنت حي في خاطر المؤمن الحـ
ـق وفي ناظر نفيذ الحدود
فاعط من سرك الجليل وألهم
فتية يعشقون نجوى العميد
اشترى الله منهمو الأنفس الشم
فباعوا ليومه الموعود

(ص ١٢٠)

فهل نختلف حول قصد الشاعر ودعواه؟

لا نظن.. لأن الشاعر بطبيعته ـ أو فلنقل بحدسه ـ يتطلع دائماً إلى المزيد من الإدراك الروحي، وإلى المعرفة الهادية إلى الجادة.

وأما بقية المجموعة فلا نجد منها تلك التجليات، ولقد عرضنا بالتقويم الخاطف لمراثيه، ولا يتبقى سوى الزفرات. والرأي فيها ـ في تصورنا ـ هو الرأي الذي تبينه القارئ من خلال عرضنا لكل شعره.

إنها ـ أي الزفرات على الأقل ـ جني العمر كما يقول (ص ٢١٧) ولكن لا أظن أنها نتيجة خيبة أمل، إلا أن يكون ذلك «ادعاء» شاعر تقتضيه معاناته الفنية. وهو على أية حال لن يكف حتى مع «ادعائه» أن العمر كاد ينفد، وأنه سئم الندامى، ولم يعد ينعم بكرى ومن حوله من ينحي عليه باللائمة:

يا لائمي ـ ووقيت الشر والألما ـ
جهلت ما بي فلم تحفل بما احتكما
لو كنت تعلم ما بي من جوى وبما
في النفس من غصص الأيام لم تلم

(ص ٢٣٥)

وفي موضع آخر وتحت عنوان «لوم الأحبة» ينشد برقة:

يلومني في بعض شأني وليت من
يلوم الذي لم يدر ما بعض شأنيا
. . . .
وأعلم أن اللائمين أحبة
وليس بهم من ردد اللوم قاليا

(ص ٢٥٨)





★ د . منصور إبراهيم الحازمي ★

● الكتاب : فن القصة في الأدب السعودي الحديث .

● المؤلف : الدكتور منصور إبراهيم الحازمي .

● الناشر : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، الرياض .

هذا كتاب ينبغي أن يكون في مكتبة كل قارئ ، لا لأن مؤلفه أديب بارز وباحث جامعي مرموق ــ فما أكثر هؤلاء عندنا والحمد لله ــ وإنما لأنه يؤرخ نقدياً لفن القصة في المملكة ، ويقدم لهذا التاريخ بوصف شامل لإطار الأدب السعودي الحديث في علاقاته الحميمة بالآداب المجاورة .

والأدب الحديث في المملكة يبدأ في الحجاز حول سنة ١٩٢٤م ، أي سنة الختام للعهد الهاشمي وسنة البداية الحقيقية للنهضة العامة تحت راية آل سعود .

ولم تكد تمر ستة أعوام من تلك النهاية البداية حتى نشر الشيخ عبد القدوس الأنصاري « التوأمان » أول رواية تسطع شمسها في الجزيرة . ثم أسس بعد ذلك « المنهل » التي أولت فن القصة عناية كبيرة ، وتقابلها « أم القرى » التي صدرت في نهاية عام ١٩٢٤م ، في اهتمامها بالمقال ، دون أن تغفل القصة بوجه عام .

بمثل هذا التحديد المبشّر بعمليات تأصيل ثقافي قد لا يعتريه الشك أو يتعرض للمشاحة ــ إلا نزراً ــ قدّم الدكتور منصور إبراهيم الحازمي « فن القصة في الأدب السعودي الحديث » . وكأنما كان يدفعه إلى ذلك أن آخرين كتبوا عن القصة مؤصلين ، منهم يحيى حقي والنسّاج ونجم وعبد المحسن بدر ونجحوا ، إلا أنه ــ في تصورنا وقد استوعب تجاربهم وانتفع بها ــ كان أقدرهم على التقويم غير المتحذلق .

وبمجاوزة الفصل الأول الذي قلنا إنه إطار البحث الثقافي ، نواجه في الفصل الثاني بدراسة عن الرواية . وفيها يصرح بأن ما كتب في هذا الفن إلى عام إصداره كتابه الذي نعرضه ، لا يُرْبي على الثلاثين رواية مع التساهل المفرط . وهذا فقر مدقع إذا قيس بالروايات التي كتبها آحاد خارج المملكة (ص ٣٧) ، وليس بين « التوأمان » الصادرة عام ١٩٣٠م ، ورواية « ثمن التضحية » الصادرة في عام ١٩٥٩م ، ما يمكن تقديره نقدياً سوى روايتين اثنتين هما « البعث » لمحمد علي مغربي ، و « فكرة » لأحمد السباعي ، وكل منها نشر سنة ١٩٤٨م .

ويخرج الحازمي من هنا بحكم مسدد ، هو أن الرواية لم تزدهر في المملكة كما ازدهرت في مصر ــ مثلاً ــ الرواية الواقعية في الأربعينات وإن لم يذكر أن للرواية بصفة عامة تاريخاً أقدم من هذا التاريخ .

ولقد ترتب على ذلك عدم وجود مدارس فنية نقدية للرواية في المملكة ، ومن ثم كان عليه ــ أي على الحازمي ــ أن يقسم ما وجد بحسب نوعه أو طبيعته ، فكانت المحصلة أربعة أنواع هي : الرواية التعليمية الإصلاحية ، الرواية التاريخية ، رواية المغامرات ، الرواية الفنية .

ولما لم يُسْعف المؤلف بمادة تفي بحق هذا التقسيم ــ لدرجة أنه لم يجد في المملكة سوى رواية تاريخية واحدة متخلفة فنياً ــ انصرف إلى مناقشة موضوعية من منطلقات نظرية الرواية . وقد طبق قوانينها قسراً على أعمال الروائيين ، فكان نجاحه معادلا لإخفاقه ؛ لأن قواعد الرواية الكاملة لا تلتمس قط عند الروائيين السعوديين ــ وبخاصة أنه يسلّم بتأخر ظهور هذا الفن بينهم ــ وإنما عند الروائيين الذين بلغوا فيه شأواً في البلاد العربية المجاورة .

ومن ناحية أخرى ، إذا كنا نجد آراء لها قيمتها في تحليل عناصر الرواية ــ كالبيئة التي لا تثبت بمجرد الإشارة إليها في الرواية ، بل بمقدار التفاعل العميق بينها وبين الحدث والشخصية (ص ٥٠) ــ نصادر بفكرة تقليدية شائعة عن مفهوم الحبكة Plot .

إنها ليست عنصراً مستقلاً من عناصر الرواية كالبيئة والحوار والحكاية والشخصية ــ أو التشخيص كما يقول المؤلف ــ ولكنها كل أولئك معاً . . أعني أن الحبكة هي بنائية الرواية ، هي ثمرة التفاعل بين كل تلك العناصر التي ذكرناها .

والحبكة هي التي تميز

الرواية من السيرة الأدبية ، وقد يتصور بعضنا أن السيرة مجرد عرض لطرف من حياة المؤلف خلال صورة تُرسم لحياة مجتمع ما (ص ٤٥) إلا أن السيرة هي كل ذلك من غير حبكة .

وبانتقالنا إلى القصة القصيرة في الفصل الثالث وبعيداً عن نظرة المؤلف إلى الحبكة فيها ، نأخذ عليه عزوفه عن تسمية الأشياء بأسمائها .. فمن ناحية يتحدث عن بداية هذا الفن مُسَوِّياً بين حوحو مثلاً والأفغاني ، الذين كان دورهم عظيماً ، والسعوديين الذين يبدو أنهم كانوا تابعين لهؤلاء ، ومن ناحية أخرى يتحدث عن « الشعبية » التي تجافي الواقع من منطلق أنها مصاحبٌ للرومانسية ، والجامع بينهما « الأحداث التاريخية المثيرة في الماضي القومي » (ص ٩٧) .

وبإيجاز ، تتقدم الشعبية على الرومانسية ، وكان الرومانسيون قد وجدوا فيها غايتهم من حيث إنها مستودع الماضي بأساطيره وخرافاته وأمثاله . وفي مرحلة ازدهار الرومانسية بأوروبا أصبحت الشعبية مثار اهتمام الأدباء ، لأن الذات الفردية التي يقدسها الرومانسيون مناطها ، ولأن الذات الجماعية أيضاً (القومية) سداها ولحمتها .

ويعني هذا أن للشعبية حظاً يضرب أوله في أعمق أعماق التاريخ ، في حين تبدأ الرومانسية – تقريباً – في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، وبفلسفة ذاتية تتمرد على الكلاسية .

وبهذا التحديد يكون خطئاً بيّناً إلصاق الرومانسية ببدايات القصة القصيرة العربية في المملكة وفي أي بلد عربي آخر . وتصحيحه إبراز الشعبية فقط بكل خيالاتها وعواطفها وهواجسها ؛ إذ لم تكن ثمة رومانسية وراءها فلسفة وحركة تاريخية معينة عند العرب في يوم ما ، وقد قلدنا أسبابها على غير فهم وبدون قاعدة التأثر التقارنية ، ونبّه إلى مثل ذلك منصور الحازمي نفسه .

ثم تبق نقطة أخرى – وكل النقاط لا تغمط حق الحازمي في الجهد المبذول والسداد – هي رأيه في القصة الشاعرية التي يكتبها الشاعر وغير الشاعر (ص ١٠٣) . وقد نسي أنها من الأنواع الأدبية التي تختلط بأنواع أخرى ولها كتّابها البارزون في العالم ، وعندنا من كتّابها كل الذين تتلمذوا على فن المقامة : شكيب الجابري مثلاً وعبد الحليم عبد الله ، وفي صنيع المنفلوطي تلك الشاعرية أيضاً ، وكذلك طه حسين في أغلب أعماله القصصية !

إن القصة الشاعرية سليلة المقامة ، تماماً مثلما كانت القصة التاريخية عندنا سليلة الملاحم الإسلامية أعني السير الشعبية . وبقدر ما نجح فريد أبو حديد مثلاً في تهذيب فنه ، نجح عبد الحليم عبد الله في « لقيطة » و « أوراق الخريف » – على الأقل – في أن يحوّل لغة المقامة إلى تلك اللغة الرشيقة الأنيقة التي لازمته حتى النهاية ، ولم يسلم مع ذلك ممن أوسعه نقضاً .

وليقبل منا الحازمي تلك المراجعات ، فإنما نحن نريد من القارئ أن يعرف الرأي والرأي الآخر ، والله الموفق .



تأليف : إريك موريس

عرض وتلخيص : حمدي طنطاوي

رحلة في كتاب

الكومنولث

الناس .. السياسة .. والسلطات

يتكون الكومنولث البريطاني Commonwealth من سبع وأربعين جمهورية مستقلة حرة يعيش فيها أكثر من ربع سكان العالم تحت لواء بريطانيا العظمى .. المملكة التي كانت ـ يوماً ما ـ لا تغيب عن ممتلكاتها الشمس . ومؤلف الكتاب إريك موريس Eric Morris ، أستاذ بأكاديمية ميليتاري الملكية Royal Military Academy .. ويدرس هذا الكتاب في المدارس الآن وبعد ثلاث سنوات سيدرس بجامعات ليفربول Liverpool وويلز Wales .

ويحتوي الكتاب على (٧٢) صفحة من القطع المتوسط . وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٨٣ م ، والهدف من الكومنولث كمنظمة اقتصادية هو تنمية العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين الدول الأعضاء فيه .. ومناقشة المشكلات التي تهم الدول الأعضاء عن طريق اجتماعات برلمانية دورية .. كل حوالي سنتين ...

ويقع مقر السكرتارية العامة للكومنولث بلندن . واعتمدت سكرتاريته سنة ١٩٦٥ م ، وبدأ البرلمان الأول للكومنولث عام ١٩٣١ م ، وكانت الدول المؤسسة له إلى جانب بريطانيا .. **كندا ، أستراليا ، نيوزيلندا وجنوب إفريقيا .**

ميلاد الإمبراطورية
Birth of an Empire

وبيدأ الكتاب بالحديث عن الإمبراطوريات الأوروبية الحديثة التي نشأت في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، إثر اكتشاف **كولومبوس** Columbus لأمريكا سنة ١٤٩٢ م ، وفتح الطريق أمام بقية المستكشفين للعالم الجديد .. وبدأ توافد الأوروبيين إلى الأراضي الجديدة بحثاً عن الثراء والحياة الرغدة المفعمة بالرفاهية ...

فجاء المغامرون والجنود والتجار والمبشرون من **إسبانيا ثم فرنسا وهولندا والبرتغال** ثم إنجلترا .. فاستعمر الإسبان والبرتغاليون وسط وجنوب أمريكا .. واستعمر الهولنديون أستراليا وجنوب إفريقيا ... واستعمر الإنجليز شمال أمريكا .. وكانت هذه المستعمرات الشاسعة لا تعود إلا بثروات قليلة للدول التابعة لها .. أما **الهند** فكانت تختلف عن كل تلك المستعمرات ، فقد كانت غنية بالثروات والثقافة والحضارات القديمة .. وموقعها الممتاز .. فتصارعت الدول من أجل الفوز بها واحتكار تجارتها .. فاستعمرها الهولنديون ثم الفرنسيون ثم استطاعت بريطانيا بفضل أسطولها العظيم أن تحتل الهند وتكونت هناك أشهر الشركات التجارية ... **شركة الهند الشرقية** East India Company وهي عبارة عن ثلاث شركات هولندية وفرنسية وبريطانية ...

إمبراطورية بريطانيا العظمى
The Great British Empire

بعد استيلاء بريطانيا على الهند .. استخدم الإنجليز أسطولهم البحري أيضاً في الاستيلاء على أستراليا وجنوب إفريقيا وانتزاعها من الهولنديين سنة ١٨١٤ م ، ومع بداية القرن التاسع عشر للميلاد ، اتجهت دول أوروبا لإفريقيا ، وبدأ تدافعهم عليها نتيجة التنافس السياسي والاقتصادي بينهم .

واشتركت دول أوروبا في إفريقيا .. فاستعمرها **الألمان** والإسبان والبرتغاليون والهولنديون والفرنسيون والإنجليز ، وبعد الحرب العالمية وانهزام ألمانيا .. تعدلت الخريطة لتقسم إفريقيا بالتساوي بين فرنسا وإنجلترا .. وكانت **لإيطاليا** بعض المستعمرات **كالصومال وأريتريا** ... وهكذا تكونت الإمبراطورية البريطانية العظيمة التي تحوي معظم المستعمرات ...

القومية ونهاية الإمبراطوريات
National and End of Empires

كانت الحرب أهم الأسباب التي أدت لسقوط الإمبراطوريات . . . **فالحرب العالمية الأولى** (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) التي نشبت بين **الإمبراطوريات النمساوية والألمانية والروسية** التي تشتتت ونتج عن ذلك ظهور الدول الحرة المستقلة **كالمجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا . . .**

وكذلك بعد **الحرب العالمية الثانية** بدأت الحركات الوطنية المتأججة من الدول المستعمرة لنيل استقلالها واضطرت الدول الأوروبية أن تعيد الأرض لأصحابها وبدأت حركات الاستقلال في إفريقيا والشرق الأوسط والشرق الأقصى وبدأ تكوين قوميات حرة مستقلة .

آسيا والمحيط الهندي
Asia and Indian Ocean

كانت بريطانيا قد وعدت الهند أثناء الحرب العالمية الأولى بالاستقلال . وانتهت الحرب . . ولم تحقق بريطانيا وعدها . . وظلت الهند تناضل وتكافح تحت قيادة غاندي الذي عاش عيشة بسيطة وكان سلاحه الوحيد لتحرير بلاده هو الإضراب عن الطعام ومقاومة العنف بلا عنف . . ووصل العنف ذروته لدرجة أنه في عشر دقائق قتل **٣٧٣** شخصاً وأصيب ١٢٠٠ هندي من نيران الإنجليز .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية قررت إنجلترا منح الهند استقلالها . . . وقتما أمكن ذلك . . وفي ليلة **١٥** أغسطس (آب) عام ١٩٤٧ م ، أعلن **جواهر لال نهرو** . . الاستقلال قائلاً . . عندما ينام العالم فسوف تصحو الهند . . صحوة الحياة والحرية .

وانفصل مسلمو الهند وكونوا دولة **باكستان** الإسلامية الحرة ثم تنازعت الهند وباكستان على إقليم **كشمير** وقامت الحرب بينهما عام ١٩٦٥ م .

وكان شيئاً فظيعاً أن يتصارع عضوان من الكومونولث ولم يستطع الكومونولث إيقافهما ، وانقسمت باكستان إلى جزءين : شرقية وغربية .

وفي عام ١٩٧١ م ، أراد شعب باكستان الشرقية تكوين دولة خاصة فتحرك الجيش الهندي لمساعدة باكستان الشرقية فهزمت باكستان الغربية . . وتكونت دولة **بنجلاديش** واعترفت بها بريطانيا وبقية دول العالم . . فانسحبت باكستان من الكومونولث .

وفي عام ١٩٤٨ م ، استقلت **سري لانكا (سيلان)** عن بريطانيا وتزعمتها **بندرانايكا** Bandaranaike . . وانضمت للكومونولث في نفس العام .

وفي عام ١٩٥٧ م ، أعلن قيام اتحاد **ماليزيا** بين **الملايو وسنغافورة وبنزويلا وبورونيو الشمالية وساراواك** « صباح » وانضمت للكومونولث ثم انفصلت سنغافورة بقيادة **لي كوان يو** Lee Kian Yew عام ١٩٦٥ م ، عن اتحاد ماليزيا . . وانضمت للكومونولث كدولة مستقلة .

غرب إفريقيا
West Africa

لبريطانيا في غرب إفريقيا أربع مستعمرات هي **غانا ونيجيريا وسيراليون والجامبيا غانا . . أو ساحل الذهب** ظلت مستعمرة حوالي ١٠٠ عام حتى منتصف ليلة ٦ مارس (آذار) عام ١٩٥٧ م ، حيث حصلت على استقلالها على يد **كوامي نكروما** Kwame Nkrumah وأصبحت غانا الدولة الحرة السادسة في إفريقيا . . بعد **ليبيريا وجنوب إفريقيا وأثيوبيا ومصر وليبيا** . وفي عام ١٩٦٦ م ، حدث انقلاب ضد نكروما وحوكم عام ١٩٦٨ م ، ونُفي ومات بمنفاه في غينيا عام ١٩٧٢ م .

أما **نيجيريا** . . فتحررت عام ١٩٦٠ م ، على يد **إبو تـرايب** Ibo Tribe وكانت تعاني من الفقر والضعف والقحط . . وفي عام ١٩٦٦ م ، جاء للسلطة الجنرال **ياكوبو جوون** Yakubu Gowon ومنذ ١٩٧٠ م ، أصبحت دولة غنية مسالمة . .

وسيراليون . . تتبع التاج البريطاني منذ ١٧٨٧ م ، ومنحت استقلالها عام ١٩٦١ م ، وأصبحت عضواً في الكومونولث منذ ١٩٧١ م ، بها بعض الماس . . وتعتمد على الزراعة .

والجامبيا لم تُنشأ حتى عام ١٨٩٤ م . . وهي حامية بريطانية استقلت سنة ١٩٦٥ م ، على يد **داود جاوارا** Sir Dawda Jawara وهي دولة فقيرة اقتصادياً .

شرق إفريقيا
East Africa

والمستعمرات البريطانية بشرق إفريقيا ثلاث . . . **تنزانيا وأوغندا**

وكينيا ، وتنزانيا هو اسم الاتحاد الذي قام بين **تنجانيقا وزنزبار** وأصبحت تنجانيقا حرة سنة ١٩٦١ م ، تحت قيادة **جوليوس نيريري** Juluis Nyerere ، وفي عام ١٩٦٣ م ، أعطت بريطانيا لجزر **بمبا وزنزبار** استقلالها فاتحدت مع **تنجانيقا** عام ١٩٦٥ م ، ليكونوا جمهورية تنزانيا المستقلة .

أوغندا أعطيت استقلالها عام ١٩٦٢ م ، بقيادة **الكاباكا بوجندا** Kabaka Buganda ، وفي عام ١٩٦٦ م ، خلعه **ميلتون أوبوت** Milton Obote ونفاه . . وفي عام ١٩٧١ م ، أثناء غياب أوبوت خارج الجمهورية ، انقلب عليه **عيدي أمين** Idi Amin وانفرد بالسلطة ، واستخدم أساليب الرعب وسفك الدم ، وفي عام ١٩٨٠ م ، أرسل **نيريري** قوة من تنزانيا لأوغندا . . فتم عزل عيدي أمين ونفيه . . وعاد أوبوت للحكم ثانية .

كينيا . . أصبحت حامية بريطانية منذ ١٨٩٥ م ، فأقامت بريطانيا بها السكك الحديدية لربط **ممباسا بنيروبي** ، وفي عام ١٩٦٣ م ، أعطت بريطانيا الاستقلال التام لكينيا وتزعمها **جومو كينياتا** Jomo Kenyatta الذي مات عام ١٩٧٨ م .

جنوب إفريقيا والمستعمرات المتمردة
South Africa and Revolt Colonies

في عام ١٩٦١ م ، كان الكومونولث يتكون من خمس دول بيضاء « إنجلترا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب إفريقيا » وست دول سوداء « الهند وباكستان وماليزيا ونيجيريا وسيري لانكا وغانا » وتذمرت الدول السوداء من سياسة جنوب إفريقيا في التفرقة العنصرية التي تتنافى مع أساسيات الكومونولث . . في المساواة رغم اختلاف اللون والبشرة فطالبوا حكومة جنوب إفريقيا بعدم استخدام هذه السياسة . . أو أن تترك الكومونولث . . . وإلا انسحبوا وترددت بريطانيا في بادئ الأمر . . نظراً لغنى جنوب إفريقيا في الموارد المعدنية والطبيعية وأيضاً أهميتها الاستراتيجية . . . ولكن حكومة جنوب إفريقيا فضلت أن تترك الكومونولث . . وأيضاً في عام ١٩٥٣ م ، جمعت بريطانيا أقاليم ثلاثة هي **روديسيا الشمالية والجنوبية ونياسلاند** في اتحاد واحد هو اتحاد « **روديسيا ونياسالاند** » . . ولكن هذا الاتحاد انكسر عام ١٩٦٣ م ، وذلك لتخوّف روديسيا الشمالية ونياسالاند من الجنس الأبيض في روديسيا الجنوبية . . وأصبحت روديسيا الشمالية دولة مستقلة تحت اسم **زامبيا** بقيادة **كينيث كاوندا** Kenneth Kaunda ، وأصبحت نياسالاند تحت اسم **ملاوي** ويرأسها **هاستنج باندا** Hastings Banda .

وفي ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٥ م ، أعلنت حكومة روديسيا الجنوبية استقلالها عن بريطانيا وتوقفت معظم الدول عن التبادل التجاري معها إلا أن هذا لن يؤثر عليها .

ومنذ عام ١٩٧٠ م ، تحولت إلى حرب عصابات وأقام الكومونولث المفاوضات في زامبيا ولندن التي أسفرت عن قيام حكومة **زمبابوي** عام ١٩٨٠ م ، بقيادة **روبرت موجابي** Robert Mugabe .

أما بقية دول إفريقيا الجنوبية التي استقلت عن بريطانيا فهي :

- **سوازيلاند** واستقلت عام ١٩٦٨ م ، وانضمت للكومونولث .
- **باسوتولاند «ليسوتو»** استقلت عام ١٩٦٦ م ، وانضمت للكومونولث .
- **بوتسوانا** واستقلت عام ١٩٦٦ م ، وانضمت أيضاً للكومونولث .

وما زالت **ناميبيا** تصارع من أجل الاستقلال . . وهي الدولة الإفريقية الوحيدة التي لم تحصل على استقلالها إلى تاريخ صدور الكتاب .

الكاريبي وجزر المحيط الهادي
Carribbean and Pacific Islands

كانت **جاميكا** أول دول البحر الكاريبي في الاستقلال عن بريطانيا عام ١٩٦٢ م ، ثم تبعتها **ترينداد وتوباجو ثم بربادوس وسانت لوسيا وسانت فنسنت وجرانادا ودومنيكا وانتيجو وجويانا ثم بليز .**

أما بقية الجزر الشهيرة مثل **مونتسرات وأنجويلا وسانت كيتز** فقد كونوا اتحاداً مع الكومونولث حتى تكون جاهزة للاستقلال .

أما **المحيط الهادي** فيحوي عشرات الآلاف من الجزر ، ٣٠٠٠ فقط منها لها أسماء وقد استقلت **تونجا وجزر سولومون وساموا الغربية ونورو وبابوا «غينيا الجديدة» وكيرابراتي وفانواتو وفيجي . . .**

الكومونولث اليوم
The Commonwealth Today

يعتبر الكومونولث قوة متوسطة بالنسبة للاتحادات والمنظمات الأخرى

وذلك لأن معظم الدول الأعضاء فيه من الدول النامية . . . وأهم المشكلات التي تواجه الكومونولث هي مشكلة **قبرص** والخلافات الدائمة بين الأتراك واليونانيين . . ففي عام ١٩٥٤ م ، اندلعت الحرب وقامت **منظمة إيوكا وتزعمها الأسقف مكاريوس** Archbishop Makarios التي تطالب باستقلالها وضمها لليونان . . وجاءت مفاوضات لندن في ١١ فبراير (شباط) ١٩٥٩ م ، باستقلالها والتوفيق بين الأطراف اليونانية والتركية . . ولكن الخلافات ما زالت للآن .

وأيضاً مشكلة **إقليم كويبك Quebec الكندي** الذي يسكن الفرنسيون الذين يصرون على لغتهم وثقافتهم وقوانينهم ودينهم الخاص « رومان كاثوليك » مما يجعلهم ينازعون من أجل قيام دولة مستقلة خاصة بهم . .

هذا بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية التي تصيب بعض دول الكومونولث مثل بنجلاديش التي تصيبها الأعاصير والفيضانات دائماً وتضطر للاستدانة بمبالغ هائلة من بنوك العالم الغربي . . ويقف الكومونولث مكتوف الأيدي . . إلا من مساعدات بسيطة قدر إمكاناته . . .

هذا وتتمتع دول الكومونولث بروح السلام بينها والأنشطة الاجتماعية والثقافية والرياضية ، وللكومونولث روابط سياسية واقتصادية **بحلف شمال الأطلسي** NATO **ومنظمة الاقتصاد الأوروبية** EEC ولبعض أعضائها ارتباطات بدول أو أحلاف أخرى .

الدولة	تاريخ الانضمام للكومونولث	العاصمة	المساحة كم^2	تعداد السكان	أهم الصادرات	أهم الواردات
بريطانيا العظمى Great Britaine	—	لندن London	٢٤٤,٨١٣	٥٥,٨٨٠,٠٠٠	آلات الصناعة — الملابس	الأقمشة الخام
كنــدا Canada	١٨٦٧	أوتاوا Ottawa	٩,٩٧٦,١٧٧	٢٤,٣٧٥,٠٠٠	الزيت الخام — القمح — الأخشاب	الحديد — السكر أجزاء العربات
أستراليا Australia	١٩٠١	كنبرا Canberra	٧,٦٩٤,٩٥١	١٤,٧٦٠,٠٠٠	القمح — الصوف الماشية والبقر	معدات النقل — البضائع الكهربائية
نيوزيلاند Newzealand	١٩٠٩	ولنجتون Wellington	٢٦٨,٦٧٦	٣,١٥٢,٠٠٠	الصوف — اللحوم — الفواكه	منتجات البترول — المعادن — المطاط
الهــنــد India	١٩٤٧	نيودلهي Newdelhi	٣,٠٤٦,٢٣٢	٦٨٣,٩٠٠,٠٠٠	النسيج — القنب الشــاي	الزيت الخام — القمح — المعدات
سري لانكا Srilanka	١٩٤٨	كولومبو Colombo	٦٥,٦١٠	١٤,٢٠٠,٠٠٠	الشاي — المطاط جوز الهند	الأرز — القمح المعــدات
غـانـا Ghana	١٩٥٧	أكرا Accra	٢٣٧,٨٧٣	١٢,٥٣٠,٠٠٠	كاكاو — الخشب — الماس والذهب — المنجنيز	الآلات — الطعام — البضائع المصنعة

الدولة	تاريخ الانضمام للكومونولث	العاصمة	المساحة كم^2	تعداد السكان	أهم الصادرات	أهم الواردات
ماليزيا Malaysia	١٩٥٧	كوالالامبور Kualalumpur	٣٣٢,٦٣٤	١٣,٠٠٠,٠٠٠	المطاط ـ القصدير ـ الخشب ـ الزيوت	الزيت الخام ـ المعدات الأرز ـ الأنسجة النباتية
قبـرص Cyprus	١٩٦٠	نيقوسيا Nicosia	٩,٢٥١	٦٠٠,٠٠٠	المعادن ـ الفاكهة الخضروات ـ الخمور الأنسجة	المعدات ـ اللحوم ـ السكر ـ الأدوية ـ
نيجيريا Nigeria	١٩٦٠	لاجوس Lagos	٩٢٣,٧٢٢	٧٩,٦٧٥,٠٠٠	البترول ـ كاكاو ـ قصدير ـ المطاط ـ الخشب	المعدات ـ الأنسجة الحديد ـ المعدات الكهربائية
تنزانيا Tanzamia	١٩٦١	دار السلام Dar es salaam	٩٣٩,٧٠٤	١٦,٥٠٠,٠٠٠	القهوة ـ البن ـ القطن القطن ـ الماس	البضائع الصناعية معدات النقل القرنفل
سيراليون Sirraleone	١٩٦١	فري تاون Freetown	٧٢,٣٢٦	٣,٣٠٠,٠٠٠	الماس ـ الحديد ـ البن كاكاو ـ بوكسيت	الزيت الخام البضائع المصنعة
أوغندا UGanda	١٩٦٢	كمبالا Kampala	٢٣٩,٦٤٠	١٢,٧٠٠,٠٠٠	البن ـ القطن الخام النحاس ـ الشاي	معدات النقل البضائع المصنعة
جامايكا Jamaica	١٩٦٢	كنجستون Kingston	١٠,٩٦٢	٢,١٠٠,٠٠٠	بوكسيت ـ الألومنيا السكر ـ الموز	الزيت الخام الموتورات
ساموا الغربية Western Samoa	١٩٦٢	آبيا Apia	١٥,٣٦٢	١٥٠,٠٠٠	كاكاو ـ الموز الكوبرا	البضائع المصنعة معدات النقل
ترنيداد وتوباجو Trinidad & Tobago	١٩٦٢	بورت اف سبين Port of Spain	٥,١٢٨	١,١٠٠,٠٠٠	السكر	الزيت الخام

الدولة	تاريخ الانضمام للكومونولث	العاصمة	المساحة كم²	تعداد السكان	أهم الصادرات	أهم الواردات
كينيا Kenya	١٩٦٣	نيروبي Nairobi	٥٨٢,٦٤٦	١٤,٠٠٠,٠٠٠	البن ــ الشاي ــ منتجات البترول	الوقود ــ المعادن المعدات الصناعية
زامبيا zambia	١٩٦٤	لوساكا Lusak	٧٤٦,٢٥٦	٥,٥٠٠,٠٠٠	النحاس ــ الزنك كوبالت ــ التبغ	معدات النقل البضائع المصنعة
ملاوي Malaoui	١٩٦٤	ليلونجوي Lilongwe	١١٩,٣١١	٥,٤٠٠,٠٠٠	التبغ ــ الشاي ــ القطن	المعدات ومواد البناء
مالطا Malta	١٩٦٤	ڤاليتا Valetta	٠,٣١٦	٣٠٠,٠٠٠	الملابس والأنسجة	مواد الوقود
الجامبيا The Gambia	١٩٦٥	بانجول Banjul	٧٦,١٠٠	٦٠٠,٠٠٠	الدقيق ــ الزيوت الجوز	الأنسجة ــ مواد البترول المعدات ــ طعام الحيوانات
سنغافورة Singapore	١٩٦٥	سنغافورة Singapore	٠,٥٨١	٢,٣٠٠,٠٠٠	لا تصدر	الطعام
بوتسوانا Botswana	١٩٦٦	جابورون Gaboron	٥٧٤,٩٨٠	٧٠٠,٠٠٠	الماس	الحديد ــ الزيوت الخام معدات النقل ــ السكر
بربادوس Barbados	١٩٦٦	بريدج تاون Bridgetown	٠,٤٣٠	٣٠٠,٠٠٠	السكر ــ العسل الأسود	البضائع
جويانا Guyana	١٩٦٦	جورج تاون George Town	٢١٤,٩٤٠	٨٠٠,٠٠٠	البوكسيت ــ السكر ــ الأرز ــ الخشب ــ الماس	البضائع ــ الطعام
ليسوتو Lesotho	١٩٦٦	مازيرو Maseru	٣٠,٣٤٤	١,٣٠٠,٠٠٠	ــ	الطعام ــ التبغ

الدولة	تاريخ الانضمام للكومونولث	العاصمة	المساحة كم^٢	تعداد السكان	أهم الصادرات	أهم الواردات
سوازي لاند Swaziland	١٩٦٨	مبابان Mababan	١٧,٣٦٣	٥٠٠,٠٠٠	الخشب ــ السكر الدقيق ــ الفواكه	المعدات ــ الطعام مواد الوقود
موريشيوس Mauritius	١٩٦٨	بورت لويس Portlouis	ــ	٩٠٠,٠٠٠	السكر ــ الشاي ــ التبــغ	الطعام ــ الأرز
نورو Naura	١٩٦٨	دومانيب Domaneab	ــ	٨٠٠,٠٠٠	الفوسفات	ــ
تونجا Tonga	١٩٧٠	نوكو ألوفا Nuku' Alofo	ــ	٩٧,٠٠٠	جوز الهند ــ الموز	ــ
البهامز The Bahams	١٩٧٣	ناساو Nassaw	١٣,٥٩٠	٢٠٠,٠٠٠	منتجات البترول	الطعام
بنجلاديش Bangladesh	١٩٧٣	دكا Dacca	١٤٢,٧٩٧	٥٨,٠٠٠,٠٠٠	القنب ــ السمك ــ الشاي	الطعام ــ الفحم الأنسجة ــ المعدات
جرينادا Grenada	١٩٧٤	سانت جورجز St-Georges	ــ	١٠٠,٠٠٠	النحاس ــ البن الموز ــ الكاكاو	ــ
بابوا «غينيا الجديدة» Papua	١٩٧٥	بورت مورسبي Port Moresby	ــ	٣,٠٠٠,٠٠٠	البن ــ النحاس	ــ
جزر سيشل Ceychelles	١٩٧٦	ڤيكتوريا Victoria	ــ	٦١,٠٠٠ ★ د. عبد الرحمن بدوي ★	الكوبرا ــ جوز الهند	ــ
دومينيكا Dominica	١٩٧٨	روسيو Roseau	٤٨,٧٣٤	٨٠,٠٠٠	الليمون	ــ
جزر سولومون Solomon Islands	١٩٧٨	هونيارا Honiara	ــ	١٧٨,٩٠٠	الكوبرا ــ الأخشاب	ــ

الدولة	تاريخ الانضمام للكومونولث	العاصمة	المساحة كم²	تعداد السكان	أهم الصادرات	أهم الواردات
توڤالو Tuvalo	١٩٧٨	فونجافيلا Fongafela	—	٧,٠٠٠	الكوبرا جوز الهند المجفف	—
سانت لوسيا St-Lucia	١٩٧٩	كاستريز Castries	—	١٠٠,٠٠٠	السكر ــ الفواكه	—
سانت فنسنت والجرينادينز St Vincent & Grinadins	١٩٧٩	كينجستاون Kingstown	—	١٣١,٠٠٠	الموز	الطعام
زمبابوي Zimbabwe	١٩٨٠	هاراري Harare	٣٨٩,٣٦٢	٨,٢٠٠,٠٠٠	التبغ ــ النحاس ــ اللحوم ــ الملابس	معدات النقل ــ الأنسجة منتجات البترول
ڤانواتو Vanuata	١٩٨٠	ڤيلا Vila	—	١١٨,٠٠٠	السمك ـ جوز الهند المجفف	الطعام ــ الغلال
أنتيجوا وبربودا Antigua & Barbuda	١٩٨١	سانت جونز St John's	٣,١٨٢	٧٨,٠٠٠	منتجات البترول	—
بليز Belize	١٩٨١	بلموبان Belmopan	٠,٥٧٣	١٨٠,٠٠٠	السكر	—
جزر مالديف	١٩٨٢ Maldives	ماليه	٢,٢٩٨ Male	١٦٥,٠٠٠	السمك	الأطعمة
ڤيجي Fiji		سوڤا Suva	١٨,٢٧٢	٦٠٠,٠٠٠	السكر ــ زيوت جوز الهند	—

☆ ☆ ☆ ☆

★ نماذج لأدوات مختلفة مصنوعة من البلاتين ★



البلاتين.. حجر الفلاسفة

بقلم: عدنان عضيمة



★ خزن قطع البلاتين في أقبية البنوك السويسرية ★

إذا كان الذهب قد استأثر ، منذ قديم الزمان ، بلقب (سيد الفلزات) ، فإن البلاتين Platinum قد بدأ ، منذ مطلع القرن الحالي ، يختطف الكثير من الشهرة ، ويجتذب اهتمام الصناعيين وخبراء المعادن وعشاق المجوهرات ، حتى وصف بأنه الفلز الذي يصنع المعجزات . وأطلق عليه في القرون الوسطى اسم (حجر الفلاسفة) إشارة للمفاهيم الأسطورية التي كانت تجول في خواطر الكيميائيين من أنه الفلز المنشود الذي يستطيع أن يحول الرصاص إلى ذهب . . !

وفي وقتنا الراهن أصبح البلاتين يحتل موقعه كأثمن الفلزات النفيسة Precious metal بسبب قلة إنتاجه العالمي ، وجمال بريقه وثباته الكيميائي أمام أفعال عوامل الأكسدة والتآكل ، هذا إلى جانب استعمالاته الكثيرة والهامة التي لا تكاد تحصى .

قصة اكتشافه

بالرغم من العثور على بعض بقايا البلاتين في النقوش التي رسمها المصريون القدماء ، فإن الاعتقاد السائد الآن هو أنهم لم يتمكنوا من فصله بشكله الحر حتى يتعرفوا عليه ، بل ظنوا أنه ليس إلا واحداً من ضروب الفضة . وتبدأ القصة الحقيقية لاكتشافه مع بداية احتلال **الإسبان** لبعض دول أميريكا الجنوبية ، إذ يروي التاريخ أنه في خلال القرن السادس عشر الميلادي ، كان الفاتحون الإسبان يسلبون ثروات **الأزتيكيين والإينكيين** من قبائل الهنود الحمر ، وكانوا يملأون مراكبهم بأطنان الذهب والفضة والزمرد وينقلونها إلى إسبانيا . وفي أحد الأيام تمكن رهط من هؤلاء الفاتحين من فصل حبيبات البلاتين ذات اللون الفضي عن حبيبات الذهب الذي كانوا يستخرجونه من نهر (**بلاتينو ـ ديل ـ بينتو**) في **كولومبيا** . وأطلقوا على الفلز الجديد اسم (**بلاتينا Platina**) الذي يعني في اللغة الإسبانية (الفضة الرديئة) لأنهم تبينوا أنه لا يصلح لشيء ، وأنه يعرقل عملية تنقية الذهب . وذهب بعضهم إلى حد الاعتقاد أن هذا الفلز ليس في الحقيقة إلا ذهباً لم يُطْمَر في الأرض لفترة كافية حتى يكتسب لونه الأصفر ، وكانوا يعيدونه إلى النهر حتى ينضج . . !

وتشير المصادر التاريخية المتوفرة حالياً إلى أن أوروبا لم تعرف البلاتين إلا في أواسط القرن السادس عشر الميلادي ، فقد وردت في مخطوطات العالم الإيطالي **يوليوس قيصر سكاليجر Julius Caeser Scaliger** العبارة التالية : (هناك مادة جديدة اكتشفها الإسبان ، ولكنهم لم يتمكنوا



★ في هذا الأنبوب يوجد سلك دقيق من البلاتين المتوهج في التفاعلات الكيمائية ★



★ تظهر الخريطة أهم مناجم إنتاج البلاتين في العالم ، الدوائر الحمراء المغلقة تمثل المناجم المنتجة ، والحمراء الفارغة تمثل المناجم التي يجرى إعدادها للإنتاج ★

من صهرها بالنار ، أو بأيّ من الوسائل الأخرى التي برعوا فيها) . ونقلت كميات كبيرة من البلاتين إلى اسبانيا ، وكان يباع بسعر يقل قليلاً عن سعر الفضة ، وما لبث الصاغة الإسبان أن اكتشفوا أن البلاتين ينصاع لعملية الانصهار إذا كان مخلوطاً مع الذهب ، فاستغلوا اكتشافهم هذا في التزوير عندما عمدوا إلى غش القطع والمجوهرات الذهبية بخلطها بالبلاتين . وعندما شاع خبر هذا الغش ، أصدرت الحكومة الإسبانية قراراً بحظر دخول الفلزات إلى البلاد ، وشرعت بعد ذلك باتلاف المخزون منه وإلقائه في البحر ، وبهذه الإجراءات التعسفية طويت الصفحة الأولى من قصة اكتشاف البلاتين .

ومرت فترة تزيد عن قرنين كاملين قبل أن يبدأ البحث الحقيقي في خصائص البلاتين ، وكانت عملية فصله بشكله الحر تمثل إحدى أهم الصعوبات التي واجهها الباحثون ، ذلك لأنه لا يوجد في الطبيعة حراً على الإطلاق ، بل يكون مختلطاً بمجموعة من الفلزات الأخرى التي تدعى (**الفلزات البلاتينية**) ، كما أن البلاتين ذو درجة انصهار عالية جداً ، فأكثر الأفران سخونة لا تستطيع أن تصهر منه إلا كميات قليلة لا تذكر .

وبعد ذلك اكتشف الحرفيون المهتمون بمعالجة البلاتين أن إضافة **الزرنيخ Arsenic** إليه تؤدي إلى تخفيض درجة انصهاره بشكل محسوس ، ويعود



★ المعالجات الوساطية التي تضاف إلى نظام طرد عادم السيارات، وتحتوي على خلايا مغلفة بالبلاتين ★

فصل اكتشاف هذه الطريقة إلى الفرنسي **مارك إيتيان جانيتي** Marc Etienne Janety الذي كان يحترف مهنة الصياغة في عهد الملك لويس السادس عشر. وقام جانيتي بصهر البلاتين، وصنع منه قدراً لحفظ السكّر يشع بالروعة والجمال، إلا أنه كاد يدفع حياته ثمناً لهذه التحفة الفنية بسبب طريقة الصهر التي ملأت أرجاء ورشته بأبخرة الزرنيخ. وأصبح قدر جانيتي، فيما بعد، من مقتنيات متحف نيويورك الوطني للفنون الذي يهتم بتطوير الابتكارات المتعلقة بمعالجة وتشكيل الفلزات النفيسة.

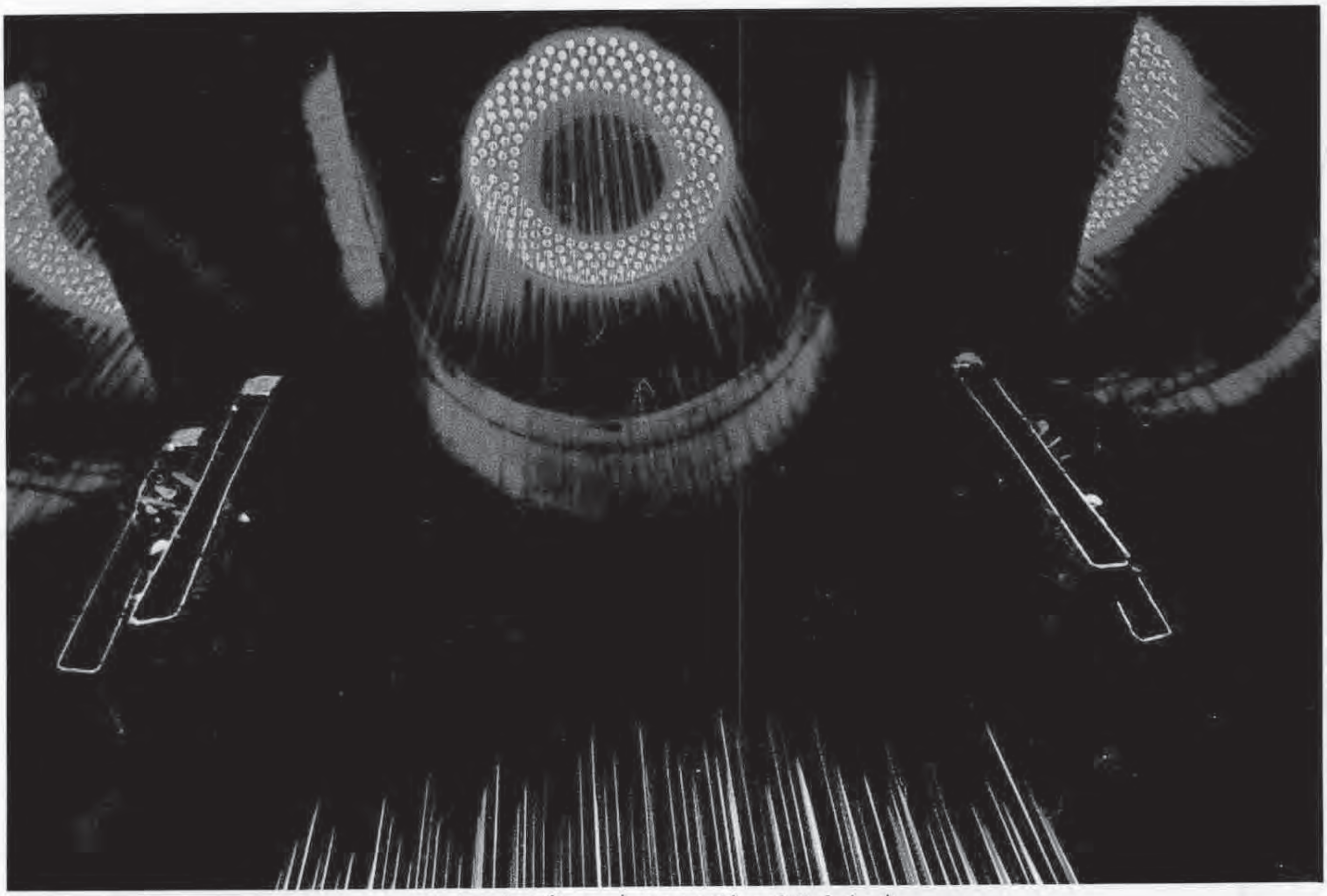
الفلزات البلاتينية

لم يعرف الكيميائيون الأوروبيون أن (البلاتينا) لم تكن فلزاً واحداً إلا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وكان الكيميائي الإنجليزي **وليام هايد وولاستون** William Hyde Wollaston أول من استطاع فصل البلاتين عن باقي الفلزات التي تختلط به، ففي عام ١٨٠٢م، اكتشف **البالاديوم** Palladium، وفي عام ١٨٠٤م، فصل **الروديوم** Rhodium، وفي نفس الفترة تمكن **سيمثون تينانت** Smithson Tennant، رفيق وولاستون، من اكتشاف **الإيريديوم** Iridium **والأوزميوم** Osmium. وفي عام ١٨٤٤م، تمكن أستاذ الكيمياء الروسي **كارل كارلوفيتش كلاوس** Karl Karlovich Klous من فصل المعدن الأخير في مجموعة فلزات البلاتين وهو **الروتينيوم** Ruthenium.

وفي خليطة طبيعية من الفلزات البلاتينية، يكون البلاتين والبالاديوم المعدنين السائدين، أما الفلزات الأخرى فتكون مختلطة بنسب أقل. ولفلزات العائلة البلاتينية بعض الخصائص المتشابهة، كدرجات الانصهار العالية، ومقاومة أفعال الحموض، أما الفروقات في خصائصها الأخرى فتعد ذات أهمية كبيرة في نظر التقنيين. فإضافة نسبة قليلة من الإيريديوم إلى البلاتين تؤدي إلى تشكيل سبيكة Alloy تتميز بارتفاع درجة انصهارها، ومقاومتها الكهربائية، وصمودها أمام أفعال الحموض والمواد المؤكسدة الأخرى. واختلاط البلاتين مع الفلزات التي لا تنتمي إلى العائلة البلاتينية، يؤدي إلى تشكيل سبائك ذات خصائص هامة، فسبيكة من البلاتين والكوبالت Cobalt تتميز بخصائصها المغناطيسية الواضحة والغريبة.

الإنتاج العالمي

يكاد يكون البلاتين العنصر الأقل إنتاجاً على مستوى العالم، ففي عام ١٩٦٠م، مثلاً، لم يتعد مجموع إنتاجه في الدول الرأسمالية ستة عشر طناً. وفي عام ١٩٨١م، بلغ إنتاجه العالمي حوالي ثلاثة ملايين أوقية



★ صفيحة مثقوبة من البلاتين تستخدم في صنع الألياف الزجاجية ★

ounce (حوالي **٩٣** طناً)، ويعود السبب في ذلك إلى ضآلة نسبة البلاتين في خاماته، وعدم وجود توضعات ضخمة منه على سطح الأرض، وكذلك للصعوبات البالغة التي تصاحب عملية تعدينه، أو استخراجه صافياً من المادة الخام. فالبلاتين فلز ينطبق عليه قول الشاعر السوفييتي **مايكوفسكي**: «إنتاج الغرام بجهد عام..؟».

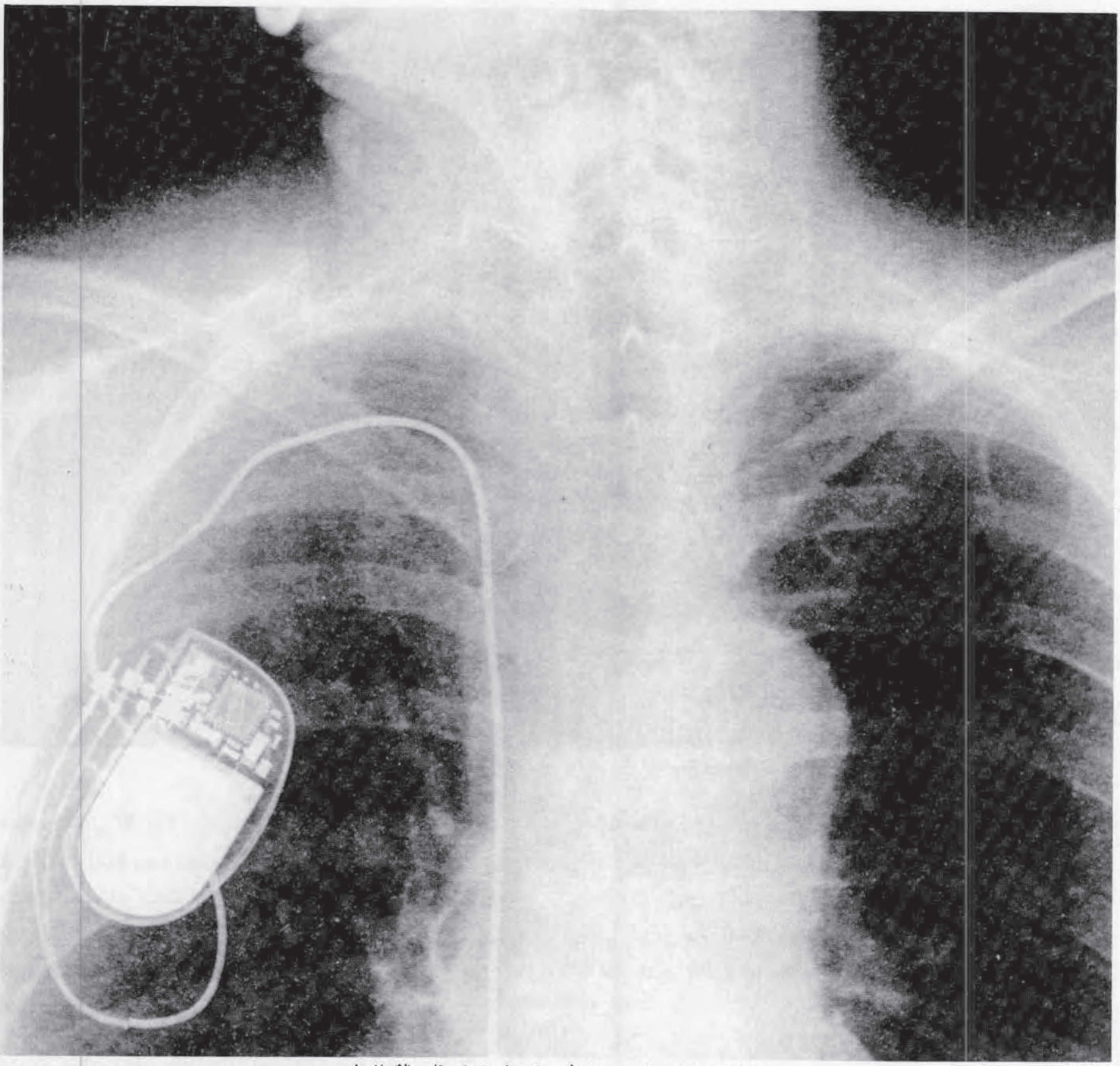
والمتتبع للمراحل المتتابعة لمعالجة خاماته يمكنه أن يلمس بسهولة مدى هذه الصعوبات، ففي إقليم **أونتاريو** بكندا تتجمع توضعات البلاتين في تكوين جيولوجي يدعى **حوض سوديبري** **Sudbury Basin** الذي يعتقد الجيولوجيون أنه تشكل منذ مليوني عام بفعل اصطدام مذنّب ضخم بالأرض أدى إلى تكسير قشرتها وسمح للماغما، الغنية بالمعادن، بالانبثاق نحو السطح. وتستخرج من هذا الحوض يومياً كمية من المادة الخام تقدر بأربعة وثلاثين طناً، وتمر هذه المادة بعمليات المعالجة المعقدة، حيث تفصل منها فلزات النيكل والنحاس والكوبالت والفضة والذهب لتتبقى بعد ذلك كتلة من الطين تدعى **المادة الغروية** **Slime**، توضع في عبوات زجاجية تتسع الواحدة منها لربع جالون (الجالون = **٣,٧٨** لترات) وتشحن إلى **إنجلترا** لتخضع هناك إلى المزيد من خطوات المعالجة حتى يتم فصل الفلزات البلاتينية منها.

وتعد **جنوب إفريقيا** الدولة الأولى في إنتاج البلاتين، حيث يبلغ إنتاجها منه (١,٨٣٠,٠٠٠) أوقية عام **١٩٨١** م، ومعظم هذه الكمية تأتي من إقليم **ترانسفال** **Transvaal Province** الذي يشتهر أيضاً بإنتاج الذهب. ويأتي **الاتحاد السوفييتي** بالدرجة الثانية، حيث بلغ إنتاجه من البلاتين عام **١٩٨١** م، حوالي (٨٤٠,٠٠٠) أوقية. ونذكر من بين أهم الدول الأخرى المنتجة للبلاتين كل من **كندا** **وكولومبيا**.

استعمالات البلاتين

وقد لا تفوق مكانة البلاتين، كفلز نبيل ذي بريق رائع، إلا خواصه الغامضة واستعمالاته المدهشة. فحجر الفلاسفة يحفز التفاعلات الكيميائية من خلال دوره المعروف كوسيط Catalyst، ويعرّف الدكتور **اليكس ميلز** **Allex Mills**، مدير مركز الحفز الكيميائي في **جامعة ديلاوير** **Delaware**، دور الوسيط الكيميائي بقوله:

«يمكن أن نعد الوسيط الكيميائي كمرشد في جبل وعر يقود المتسلقين عبر ممر غير مناسب حتى بلوغ الوادي المجاور، ثم يعود ليرشد مجموعة أخرى. وفي الحقيقة، نحن لا نعلم تماماً كيف يقوم المرشد بهذه المهمة، ولكننا نعرف أن ذلك يتم بسرعة. فالوسيط يوجّه التحولات الكيميائية لتشكيل ناتج جديد. ويتم ذلك بسرعة تفوق بملايين المرات تلك التي يحدث بها التحول دون وسيط. والبلاتين يؤدي هذه المهمة



★ أقطاب البلاتين التي تستعمل في جهاز تنظيم ضربات قلب الإنسان ★

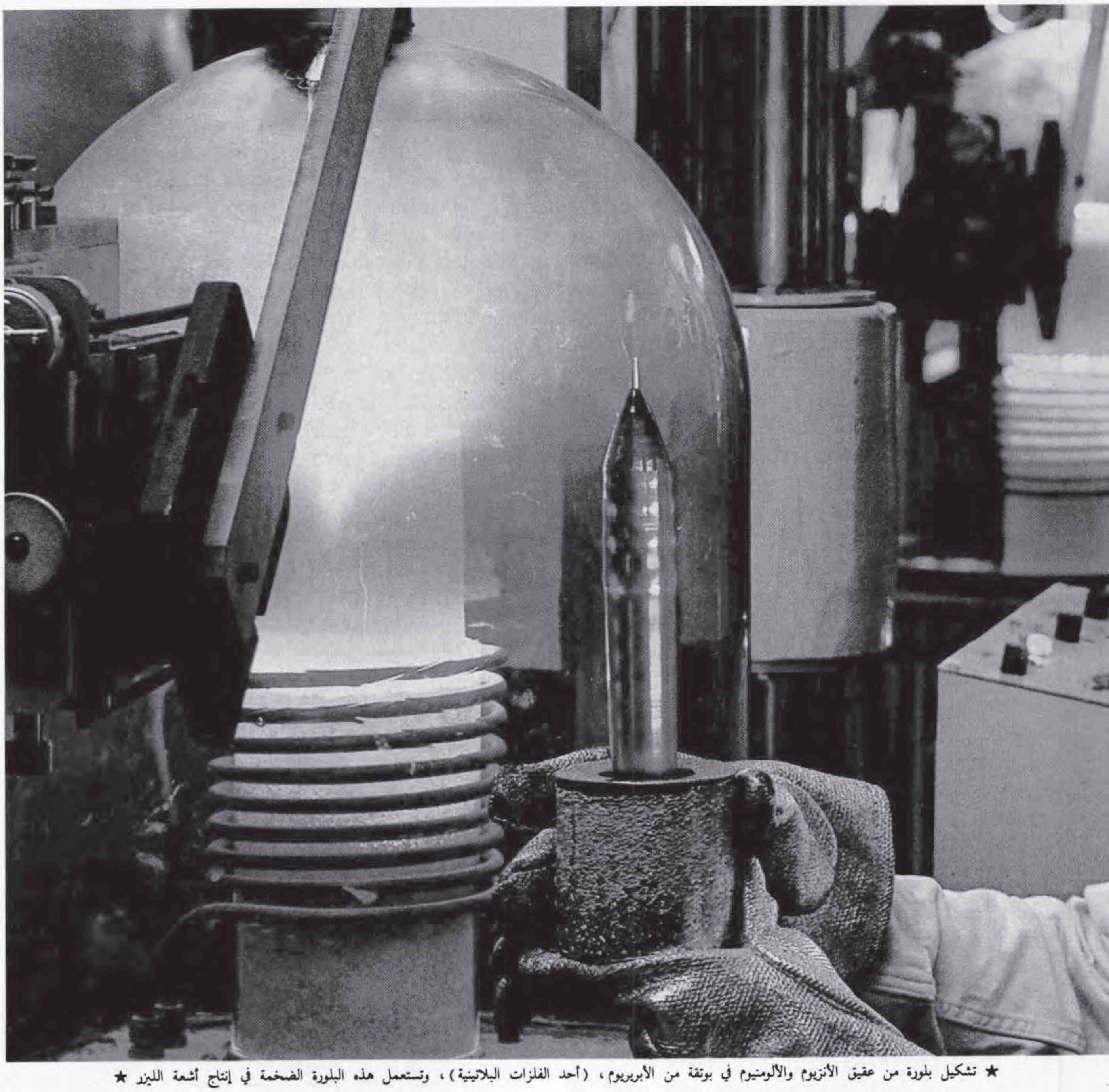
بأفضل مما تؤديها باقي المعادن الأخرى ، ومع ذلك فنحن لا نعرف تماماً لماذا يقوم بهذا العمل » .

والشيء الذي يجعل من هذه الخاصة أكثر غرابة ، هو أن البلاتين نفسه يعد عنصراً ضعيف النشاط الكيميائي ، فهو خامل للدرجة التي جعلته المعدن المفضل لتوصيل العظام المكسورة في جسم الإنسان ، كما تصنع منه الأقطاب الكهربائية التي تستعمل لتنظيم النبض القلبي للإنسان .

وتستخدم الخاصة الوساطية للبلاتين في صناعة الطيران ، حيث يقوم مصنع متخصص في مدينة **أونيون** **Union** بولاية نيوجرسي بصنع جهاز يدعى **المعالج البلاتيني** **Platinum Converter** ، يركب في الطائرات النفاثة التي تطير على ارتفاعات كبيرة . فعند هذه الارتفاعات تتزايد نسبة غاز الأوزون Ozone ، الذي من شأنه إصابة المسافرين بالتسمم والمرض . وغاز الأوزون ما هو إلا أوكسيجين عادي يتميز بالترابط الغريب لذراته ، إذ يتألف جزيؤه من ثلاث ذرات من الأوكسيجين على الشكل (O_3) وعندما يمرر الأوزون في المعالج البلاتيني يقوم البلاتين بانتزاع واحدة من الذرات الثلاث فيتحول الأوزون إلى أوكسيجين ثنائي الذرة (O_2) . ويمكن أن نلخص هذه العملية بالتفاعل التالي :

$$2O_3 \text{ —— } 3O_2$$

وبطريقة مشابهة ، يستعمل البلاتين في تحويل غازات عادم السيارات ، كأول أوكسيد الكربون C O وأكاسيد الأزوت المختلطة

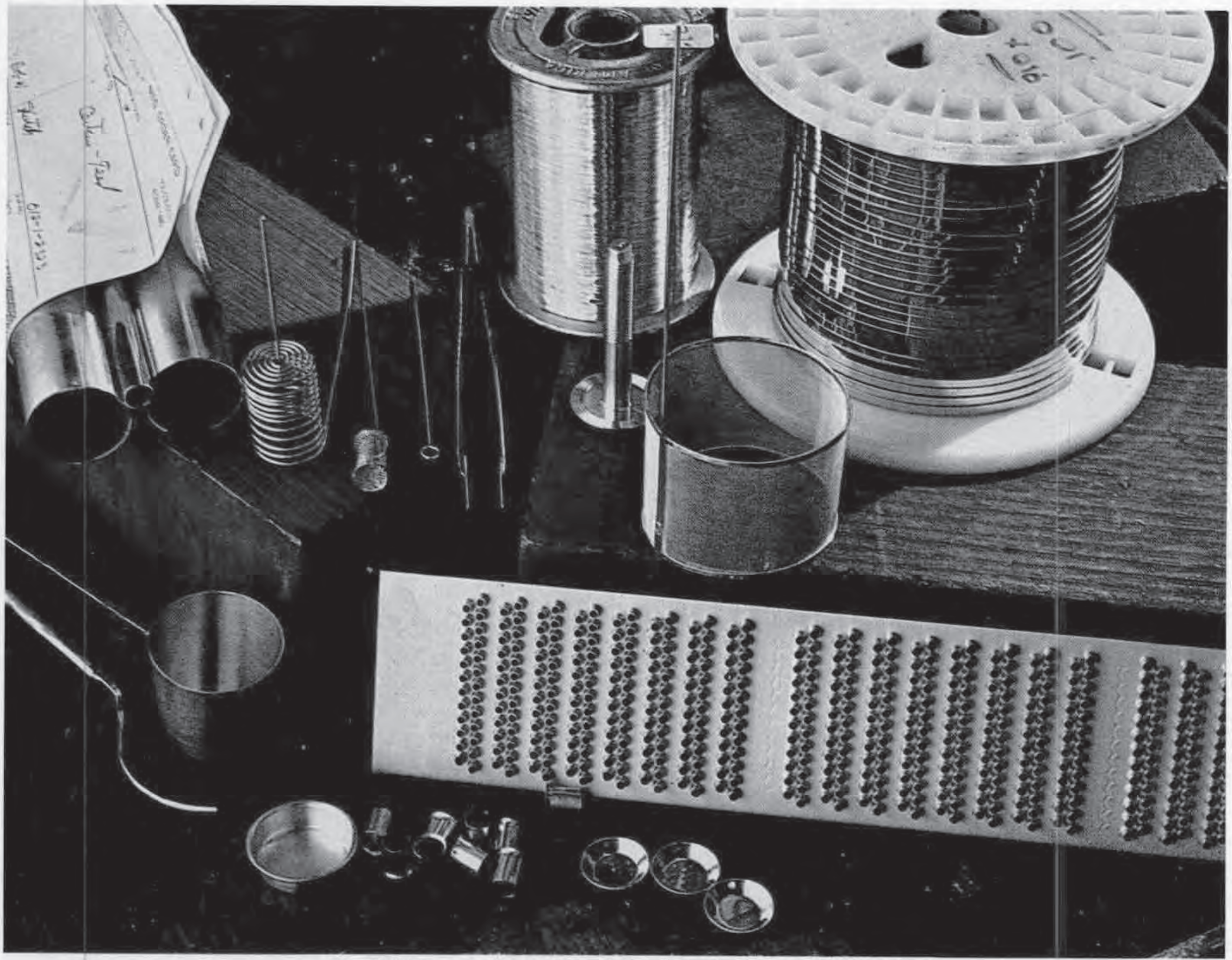


★ تشكيل بلورة من عقيق الأنزيوم والألومنيوم في بوتقة من الأبريريوم ، (أحد الفلزات البلاتينية) ، وتستعمل هذه البلورة الضخمة في إنتاج أشعة الليزر ★

ومزيج الهيدروكربونات ، إلى غازات غير سامة بواسطة جهاز يضاف إلى نظام طرد العادم يدعى **المعالج الوساطي** Catalytic, Converter ، ويتألف هذا الجهاز من مجموعة قطع من الخزف (السيراميك) ، مرتبة على شكل خلية النحل ، ومطلية بطبقة رقيقة من البلاتين الوساطي . ويقوم البلاتين بدوره كوسيط لحفز تفاعل إتمام احتراق الغازات السامة بأوكسيجين الهواء ضمن المعالج الوساطي . ويُلزم القانون ، في **الولايات المتحدة الأميريكية** ، جميع شركات صناعة السيارات بإضافة المعالج الوساطي إلى نظام طرد العادم ، وهذا ما جعل الولايات المتحدة المستهلك الأول للبلاتين ، إذ تستهلك نصف الإنتاج العالمي منه .

وللبلاتين استخدام مهم في صناعة **حمض الآزوت** (النيتريك) الذي يعد المادة الأولية لصناعة الأسمدة . حيث تصنع حزمة من الأسلاك الدقيقة ، من سبيكة من البلاتين والروديوم ، لا يتعدى قطر السلك الواحد منها ثلاثة أجزاء من الألف من البوصة ، وهو بذلك أدق من شعرة الرأس ، وتستعمل هذه الحزمة كوسيط ، حيث يمرر مزيج من النشادر والهواء عبرها فيتأكسد الآزوت إلى ثاني أوكسيده الذي يذوب في الماء ليشكل حمض الآزوت .

وتتميز حبيبات البلاتين الدقيقة بشدة التصاقها مع الزجاج ، وتستغل هذه الخاصة **في صنع المرايا** ذات الخصائص المدهشة ، حيث تبدو شفافة ، تسمح بالرؤيا من الجهة المعاكسة لجهة مصدر الضوء ، أما من الجانب الآخر فتشبه المرايا العادية من حيث عكسها الكلي للضوء الساقط



★ صناعة الأجهزة والأدوات الدقيقة المستعملة في التكنولوجيات الحديثة من مادة البلاتين ★

عليها . وقد انتشر استخدام هذه المرايا على نطاق واسع في الولايات المتحدة في الماضي عندما صنعت منها واجهات الأبنية ونوافذ الطوابق الأرضية والسيارات .

وتستخدم شركات **صنع شفرات الحلاقة** ، البلاتين لتلبيس حافتي الشفرة بطبقة رقيقة منه ، بهدف تقسيتها وجعلها مقاومة للصدأ ، وعادة ما يكون سمك طبقة البلاتين على حواف الشفرة متناهياً في الصغر ، لا يتعدى سمك مائة من ذرات البلاتين المتراكبة فوق بعضها .

التكنولوجيا الحديثة

أدى التفهم المتزايد لخصائص البلاتين ، من قبل المتخصصين ، إلى تطوير استعمالاته في الكثير من التكنولوجيات الحديثة ، فالمصانع المتخصصة بمعالجة البلاتين في الولايات المتحدة أصبحت تقوم بإنتاج العديد من الأجهزة والمعدات التي تستعمل لأغراض مختلفة ، كالصناعات العسكرية ، وصناعة الطيران ، والفضاء ، وصناعة الزجاج . **ومن أهم الاستعمالات الحديثة للبلاتين هي استخدامه في صناعة الألياف الزجاجية Fiberglass** ، حيث تصنع منه صفيحة سميكة تحتوي على العديد من الثقوب الضيقة ، ويتم ضغط الزجاج السائل فوق الصفيحة فيتسرب عبر الثقوب ويتبرد بعد خروجه منها مشكلاً جداثل من الألياف الزجاجية ، ولا يمكن لغير البلاتين أن يتحمل ارتفاعاً في درجات الحرارة كالتي ينصهر عندها الزجاج .

وفي الآونة الأخيرة أصبح للبلاتين دور فعّال في حماية أجسام السفن الحديدية من التآكل في مياه البحر المالحة .

ففي الماء المالح ، يعمل جدار السفينة عمل بطارية تفريغ عندما يمر التيار الكهربائي من الفلز الأكثر كهرجابية ، كحديد جسم السفينة الذي يكون مصعداً anode ، إلى الفلزات الأقل كهرجابية ، كشوائب النحاس والقصدير التي تكون موجودة مع الحديد والتي تشكل المهابط Cathodes . أما ماء البحر فيلعب في هذه العملية دور المتحلل الكهربائي (الإلكتروليت) الذي ينقل التيار . وتؤدي هذه العملية إلى تآكل الحديد ، وذوبان شوارده المتشكلة في الماء . والطريقة القديمة التي كانت تتبع لحل هذه المشكلة تتلخص بتلحيم قطع كبيرة من فلز التوتياء ، الأكثر



★ بوتقة البلاتين أفضل أوعية صهر الزجاج لمقاومتها العالية للحرارة ★

كهرجابية من الحديد ، إلى جسم السفينة ، حيث يلعب التوتياء دور المصعد بدل الحديد .

وفي نظام جديد لحماية حديد السفن ، ابتكرته إحدى الشركات الأميركية ، تثبت على أجسام السفن مصاعد ضخمة مطلية بالبلاتين ، يمرر فيها تيار يتم التحكم فيه بدقة من النظام الكهربائي للسفينة ، وهذا التيار يجعل جميع الفلزات الأخرى ، بما فيها الحديد ، تلعب دور المهابط ، ويؤدي ذلك إلى حماية الحديد من التآكل والذوبان .

ويلعب البلاتين دوراً هاماً في مجال قياس درجات الحرارة المرتفعة ، ففي الصناعة تستخدم على نطاق واسع موازين حرارة من البلاتين ، يعتمد مبدأ عملها على أن المقاومة الكهربائية للبلاتين تزداد أثناء التسخين بنسبة دقيقة وثابتة ، ويستعمل من أجل ذلك سلك من البلاتين يتصل بجهاز يحسب تغير المقاومة الكهربائية ويعطي مدلولها الحراري بالدرجات المئوية . وتنتشر في الصناعة أجهزة بسيطة لقياس درجات الحرارة تدعى **المزدوجات الحرارية** ، التي تتشكل من لحم سلكين من فلزين مختلفين ، فإذا سخنت نقاط الالتحام نشأ تيار كهربائي



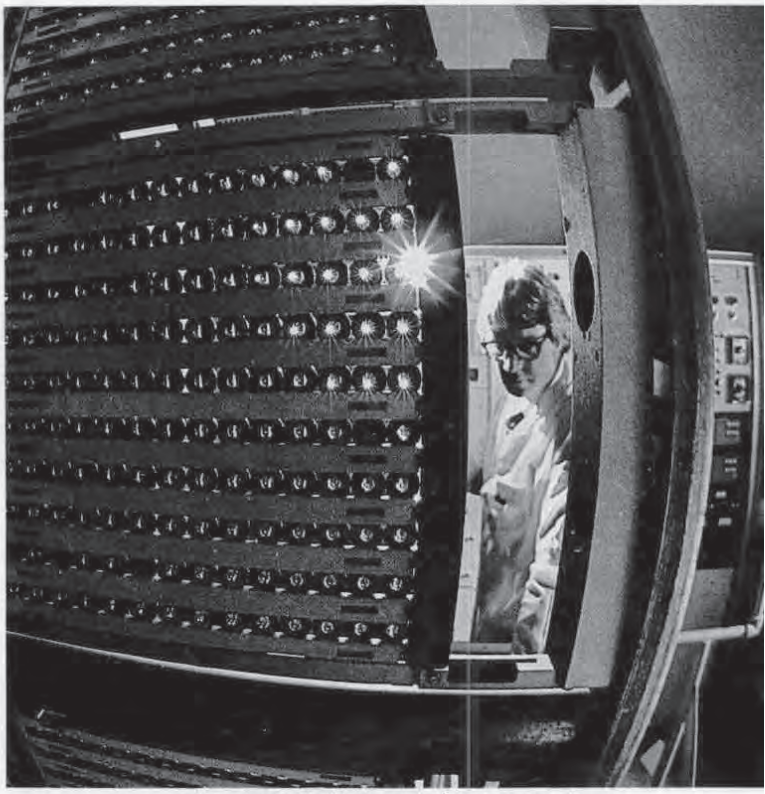
★ البلاتين يُستخدم في صناعة الأدوات الموسيقية ★



★ عملات مسكوكة من البلاتين ★

في السلسلة تتناسب شدته طرداً مع درجة الحرارة ، وغالباً ما يستعمل البلاتين ، أو سبائكه مع الروديوم أو الإيريديوم ، في صنع مثل هذه الأجهزة .

ولا يزال البلاتين يتمتع بقيمة خاصة لدى الفيزيائيين والمهتمين **بالمكاييل والأوزان** ، فالكيلوغرام ، الذي يعد حتى الآن أوسع وحدات الكتل انتشاراً عبر العالم ، ما هو إلا كتلة أسطوانة من سبيكة البلاتين والإيريديوم (بنسبة ٩٠٪ بلاتين و١٠٪ إيريديوم) يبلغ كل من قطرها وارتفاعها (٣٩) مليمتراً ، وهي محفوظة حتى الآن في أحد متاحف باريس . ويحتفظ نفس المتحف بعصا من إحدى سبائك البلاتين والإيريديوم طولها هو وحدة قياس الأطوال الذي يساوي متراً واحداً بالضبط ، وقد كتبت عليها العبارة التالية : (لكل الأزمان ، ولجميع الشعوب) . وفي الواقع ، لم تعد لهذه المكاييل إلا قيمة تاريخية بعد ابتكار الطرق الإلكترونية الحديثة ذات الدقة الكبيرة في مجال تحديد المعايير والأوزان .



★ صفيحة مثقوبة في إحدى سبائك البلاتين تستعمل حافزاً لصناعة حمض الأوزون من تفاعل النشادر والهواء ★

في الطب

وللبلاتين استعمالات متنوعة في مجال إنقاذ حياة البشر ، ففي عام ١٩٦٢ م ، أجرى الدكتور **بارنيت روزنبرغ Barnett Rosenberg** ، من جامعة ولاية ميشيجان ، تجربة أثبت من خلالها أن إمرار التيار الكهربائي في أجزاء جسم الإنسان المصابة بالالتهابات يمكن أن يوقف تكاثر البكتيريا . واستطاع روزنبرغ أن يؤكد ، هو وفريقه ، أن تكاثر البكتيريا يبقى متوقفاً حتى بعد قطع التيار الكهربائي ، وفي مثل هذا النوع من العلاج الكهربائي يستعمل فلز البلاتين كأقطاب كهربائية ، لأنه يجمع بين خاصتي النقل الجيد للكهرباء والخمول الكيميائي .

وكانت استنتاجات روزنبرغ دافعاً لإجراء المزيد من التجارب على البلاتين ، أملاً في التوصل إلى طريقة لعلاج السرطان ، وتم مؤخراً تركيب مادة (**السيزبلاتين Cisplatin**) ، التي تتألف من ذرتين من عنصر الكلور وجزيئين من النشادر ترتبط جميعاً بذرة بلاتين مركزية . وجرب **السيزبلاتين** في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة ، وفي معهد أبحاث السرطان في لندن ، وكانت النتائج مشجعة في مجال علاج المرض الخبيث ، إلا أن السيزبلاتين أبدى بعض المضاعفات الجانبية لدى المرضى الذين عولجوا به ، ومن هذه الأعراض تسمم الكلى والإصابة بالغثيان الشديد ، وتم التوصل مؤخراً إلى عدة طرق لإنقاص حجم هذه الأعراض الجانبية .

وبالرغم من أن آلية علاج السرطان بالسيزبلاتين ما زالت مبهمة حتى الآن ، فإن الدكتور روزنبرغ يعتقد أن هذه المادة تهاجم سلاسل (D. N. A) في الخلية السرطانية وتمنعها من النمو بطريقة شاذة ، ولقد ثبت فعالية هذا العلاج في مكافحة سرطانات الخصى والنبيض بشكل خاص .

أسعار البلاتين

أصبح البلاتين أغلى الفلزات النفيسة ثمناً ، بعد أن فاق بسعره الذهب بعدة مرات ، ففي عام ١٩٨٠ م ، سجل سعراً قياسياً على المستوى العالمي بلغ ١٠٤٧ دولاراً أميركياً للأوقية ، ولكنه انخفض عام ١٩٨٣ ، إلى ٤٢٥ دولاراً للأوقية . وأسعار الفلزات البلاتينية ، وخاصة منها البلاتين والبالاديوم تتبع في تغيرها أسعار الذهب . .

ويعود ارتفاع أسعار البلاتين لعدة أسباب ، منها : قلة إنتاجه ، وزيادة مجالات استعماله ، وكنزه في البنوك من قبل الأفراد بغية المضاربة والربح .

وبعد . . فإن كل ما ذكرناه في هذا المقال عن البلاتين ليس إلا بعضاً من فوائده واستعمالاته التي لا يتسع المجال لذكرها جميعاً ، ولو دققنا النظر في التطور الهائل الذي تشهده استعمالات البلاتين لتأكدنا من أنه مع نهاية هذا القرن سيثبت البلاتين صحة قول بعضهم فيه : إنه الفلز الذي يصنع المعجزات . . !

* * *

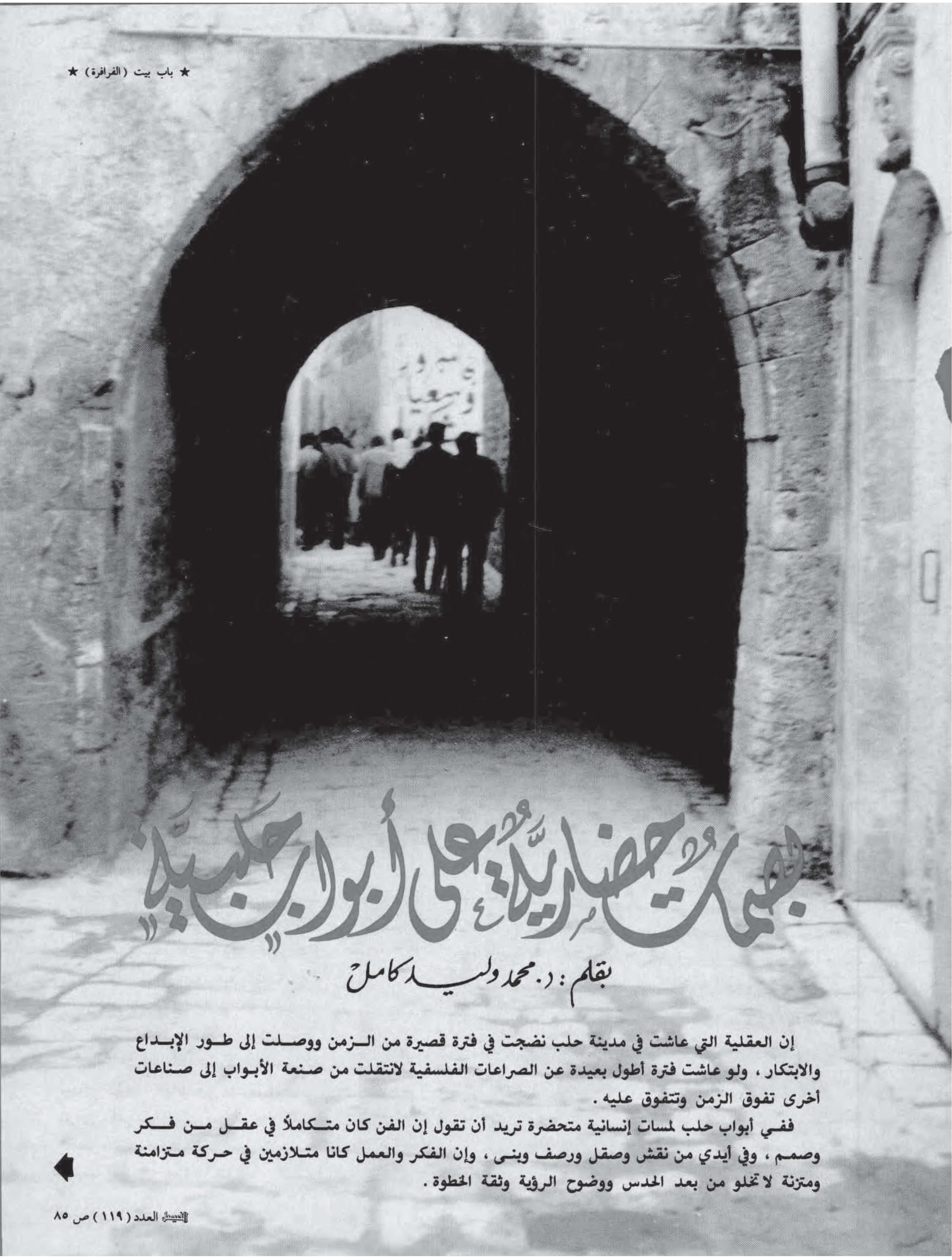
المراجع

١ ـ « The Miracle Metal, Platinum » by Gordon young, « National Geographic ». NO. 5, Vol. 164, November 1983.

٢ ـ « قصص وطرائف عن الفلزات » تأليف فينيتسي سبيرغي يوسفوفيتش ، ترجمة الدكتور عيسى مسّوح ، إصدار دار مير للطباعة والنشر في الاتحاد السوفييتي .

الهوامش

ـ تجنبنا في هذا المقال اللبس الشائع بين مفهوم (الفلز Metal) و (المعدن Mineral) . فالفلز عنصر صافي ، والمعدن هو مركب من مركبات الفلز الكيميائية .



★ باب بيت (الفرافرة) ★

لمسات حضارية على أبواب حلبية

بقلم : د. محمد وليد كامل

إن العقلية التي عاشت في مدينة حلب نضجت في فترة قصيرة من الزمن ووصلت إلى طور الإبداع والابتكار ، ولو عاشت فترة أطول بعيدة عن الصراعات الفلسفية لانتقلت من صنعة الأبواب إلى صناعات أخرى تفوق الزمن وتتفوق عليه .

ففي أبواب حلب لمسات إنسانية متحضرة تريد أن تقول إن الفن كان متكاملاً في عقل من فكر وصمم ، وفي أيدي من نقش وصقل ورصف وبنى ، وإن الفكر والعمل كانا متلازمين في حركة متزامنة ومتزنة لا تخلو من بعد الحدس ووضوح الرؤية وثقة الخطوة .

بصمات حضارية على أبواب حلبية

أقدم الأبواب

إن فكرة الباب ولدت مع الإنسان ، أو فطر عليها الإنسان ، أو هُدي إليها كما هُدي إلى أشياء كثيرة ، فللسماء أبواب وللمدينة أبواب وللبيوت أبواب ، ولعل أقدم باب معروف في مدينة حلب هو **باب جامع الصالحين** ذلك المعبد الذي أقيم حيث استراح سيدنا **إبراهيم الخليل عليه السلام** بعد أن نزل من **أكربول** القلعة يقصد **الشام** ، وكان قد حلب الشهباء .

أما الباب فهو في الأصل باب معبد وثني من البازلت ضيق وقصير بطول ١,٢م ، وبعرض ٠,٨٥م ، تقريباً ، الباب بصرعة واحدة من البازلت أيضاً يدور به ناتئان في جرنين فيتحرك ليفتح أو يغلق ، الباب قطعة حجرية بازلتية واحدة بلا نقوش مماثل تماماً لباب معبد قديم في القلعة .

أبواب متفرقة

وفي القرآن الكريم قول سيدنا يعقوب عليه السلام لأولاده **﴿ يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾** (سورة يوسف ، الآية ٦٧) .

فإذا تركت باب الصالحين لتقوم بجولة في مدينة حلب تستطلع الأبواب فيها راقك تنوع رائع للأبواب ، فللمدينة باب وللقلعة باب ولكل جامع باب ولكل حمام أو تكية أوخان أو قصر باب ، كما أن هذه الأبواب متنوعة في أشكالها وزخارفها وكتاباتها وألوان حجارتها وشكل عمارتها ، كذلك هي متنوعة في عمق تاريخها . فمنها ما هو مبني من الرخام الحلبي الأصفر ، ومنها ما هو مبني من الأحجار الكلسية البيضاء ، ومنها ما هو بعمر السيد المسيح عليه السلام أو يتوغل في التاريخ ، ومنها ما هو روماني العمارة أو أيوبي أو مملوكي أو عثماني ، ومنها ما هو حديث كما هي أبواب أغلب القصور الحلبية والبيوت القديمة كما أن الأبواب تتناسب مع البناء بكبر الفتحة وبتنوع الكتابة والزخارف وتساير عصر بنائها فلكل عصر طُرُزه وتأثراته العمرانية .



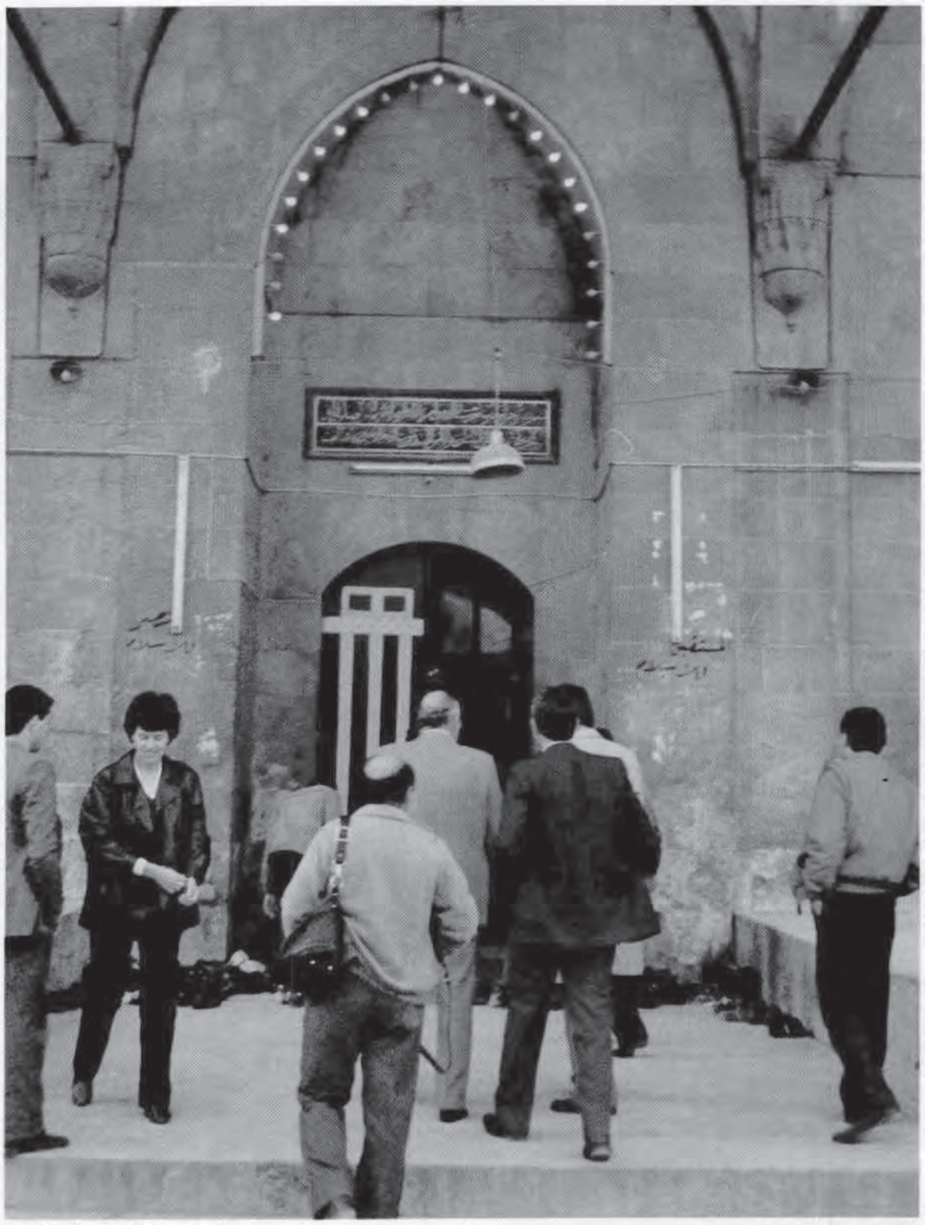
★ باب قلعة حلب ★



▼★ باب كتّاب ★

بنيـة الأبواب

إن الحديث عن البنية يحتاج إلى رجل بناء ، أما الحديث الوصفي فيتطلب جملة من المشاعر المتحضرة التي تستطيع أن تنقل التاريخ



★ باب قبلية جامع العثمانية ★

▼ ★ باب خان الحرير ★



وحالة البنية بأمانة إلى واقع يسهل للجيل المعاصر استيعابه وفهمه وتطويره .

باب قلعة حلب

أمر بعمارته الملك الظاهر **غازي بن يوسف** ، وتصعد إليه بدرج ، ويتميز بتقوس الضلع العلوي بشكل لا يحدث قنطرة كذلك لا يستقيم تماماً ، فوق الباب مزرزرات تتداخل بشكل رائع ، تتعشق فيها حجار سود بأخرى بيض ، كما أن فوق المزرزرات لوحة كتابة تذكر باني القلعة ، وفوق اللوحة الكتابية إفريز حجري بثلاثة حزوز يعطي الباب اكتمال الإطار ، أما الباب فهو من الحديد بصرعتين الواحدة بأربع دعامات ، ما عدا العارضتين القائمتين ، الدعامات والعارضات مدقوقات بمسامير ذات ترس كبير في شكله يشبه قرص الشمس . بين كل دعامتين في الباب قواطع حديدية تحدث مستطيلات فيها حدوة الحصان ورأس النبلة إشارة الفروسية ، القاطعة مستطيلة الشكل بسماكة ٧ سم ، وطول ١٤ سم ، محزوز عليها ستة حزوز ، تحدث شكل مسدس على اليمين ومثل ذلك على اليسار ، داخل كل مسدس مسمار ترسه كبير ، والقاطعة مزينة بخواتم متعارف عليها في ذلك الحين ، وهي على شكل قرص الشمس تنبعث منه الأشعة ، ويوجد على الباب سقاطة في كل صرعة تستعمل مقرعة لنقل الصوت إلى الداخل ، وهي بنفس الوقت تستعمل اليوم رابطاً لجنزير الباب .

باب حمام السلطان

أنشأه الأمير **يلبغا الناصري** ، وهو باب داخل قنطرة كمظلة ، مستقيم الجوانب ، فوق الساكف مزرزرات ، حجارة سود تتعشق بحجارة صفراء ، على جانبي الباب داخل القنطرة مصطبتان أي كرسيان حجريان ينسجمان مع ألوان الحجارة في الواجهة ، أما سقف القنطرة المتقدمة على الباب يأخذ شكل شعاع الشمس ، الباب صرعة واحدة من الحديد ، وهو نموذج لطراز الأبواب المملوكية .

باب الخانقاه (التكية)

بَنَته **ضيفة خاتون بنت الملك العادل** ، الباب بقنطرة تنزل إليه بدرجة واحدة ، يمكن الجلوس على جانبيه ، فالجانبان ليسا مرتفعين ، وهو صرعة واحدة فوق ساكفه لوحة كتابية تشير إلى باني التكية (مكان خاص بالعجزة) ، القنطرة المتقدمة ذات مقرنصات تعطي الباب أبهة .

بصمات حضارية على أبواب حلبية



★ باب حمام السلطان ★

باب جامع العثمانية

بناء عثماني قام بـه **عثمان باشا بن عبد الرحمن** ، وهو متأثر بالنموذج المملوكي ، ويقع داخل قنطرة على جانبيه كرسيان من الحجر (مصطبتان) ، والباب مقنطر في ضلعه العلوي ، فوق قنطرة الباب لوحة كتابية ، تنزل منه بدرج إلى صحن الجامع يقابل الباب الغربي ، فالجامع ليس له سوى البابين الغربي والشرقي ، أما الغربي فهو لا تصعد منه بدرج ولا تنزل خلاف الشرقي ، ولقبلية الجامع باب داخل قنطرة مستقيم الأضلاع ، ما عدا العلوي فهو مقوس أكثر من تقويسة باب القلعة ، القنطرة والباب وجوانب الباب من الرخام الأصفر ، فوق الباب لوحة كتابية تشير إلى باني الجامع ، والباب من الخشب بلونين أخضر وأبيض ، قبالة الباب فسحة على جانبي الفسحة علوتان تعلو الواحدة قدر نصف متر يقوم على كل جنب الصلاة صيفاً .

باب زقاق في حي الفرافرة

الزقاق مبلط بالحجارة ، والباب مقنطر ، قنطرته نصف دائرة مدببة قليلاً ، والتوازن ليس تاماً ، في واجهة هذه البوابة باب الزقاق ، ومن هذه البوابة يدخل الأهالي إلى وسط الفرافرة ، وإلى جوارها باب دار عربية من الطراز الشائع في حواري حلب بالعهد العثماني .

باب كتاب (مدرسة عثمانية)

الباب من خشب صرعة واحدة في أعلاه سقاطة ، السقاطة يد من الحديد وتحتها الساقط ، فلما تدق اليد على الساقط يعلم من في الدار أن طارقاً أتى فيفتح الباب ، ولكل طارق نغمة يسمعها أهل البيت فيتآلفون عليها ، في أعلى واجهة الباب كتابة في مربع بخط الثلث تشير إلى باني الكتاب ، الخط عربي واللغة عربية والبناء عثماني .

باب دار حلبية في حي الفرافرة

الباب بارز عن الجدار قليلاً ، هو مستطيل الشكل في قسمه العلوي القنطرة ، أعلى القنطرة إفريز حجري بثلاثة حزوز حتى ليخيل أن الجانب وفوقه النتوء التاجي المحزز كأنه عمود التاج ، وعند طرفي القنطرة تاجان بأربعة أفاريز متدرجة بالتباعد حتى الثالث ، أما الحز الرابع العلوي يأخذ بالتراجع ، كما أن تحت الحزوز الأربعة قرص حجري ، أما في وسط القنطرة فانوس للإضاءة ليلاً ، الباب من الطراز المنتشر في العهد العثماني .

باب خان الحرير

الباب بقنطرة متقدمة كمظلة ، في مقدمة



★ باب دار حلبية ★▼



★ باب خانقاه ★▼



★ باب جامع العثمانية ★

الباب وعلى الجانبين كرسيان حجر ، فوق الباب كنار زخارف حجرية على شكل أشعة الشمس ، الباب من حديد بصرعتين في الردفة اليسرى خوخة وهي فتحة في الباب تسمح بدخول شخص حين يكون الخان مغلقاً ، أما قنطرة الباب فهي أكثر تدبباً من القنطرة المتقدمة ، وتستمر البوابة بعد الباب على جانبيها درجان حجريان ، درج على اليمين يصعد إلى رواق علوي ودرج على اليسار مثله يصعد إلى رواق علوي ، وتنتهي البوابة بقنطرة تنفتح على صحن الخان .

ولنا بعد هذه الإطلالة السريعة على بنية بعض الأبواب الحلبية كلمة نقر فيها أن هذه الأبواب تمثل شواهد حضارية تسمح بالتعرف على مقدار التقدم التقني الذي تفرد به أهالي مدينة حلب في هندسة الأبواب ، وأن تتابع الطرز المختلفة للأبواب كان تطوراً هندسياً هادفاً لإحلال بعض العناصر الفنية ذات القيمة المنخفضة بعناصر أخرى ذات قيمة جمالية وهندسية عالية .

★ ★ ★



إيقاع الحياة

مجتمع طيور الوروار المدهش

طير الوروار (الخضّار) bee - eater الإفريقي، واحد من (٢٤) نوعاً من الطيور آكلات النحل، تتميز بطول المنقار، وبحياة اجتماعية متماسكة معقدة التفاصيل.

وغذاء هذه الطيور الأوفر هو النحل، حيث يلتقط الطير منها النحلة من وسط الهواء، ثم يطير بها إلى حيث يجد غصن شجرة فيضرب عليه رأسها بعنف، عدة مرات حتى تموت.. ثم يلتهمها أو ينقلها غذاء لصغاره.

ومهارة الإمساك التي تتقنها هذه الطيور هي في أن لا يعرض الطير منها نفسه للسعة النحل المميتة، خاصة وأن هذه الطيور لم تكتسب بعد أي مناعة ضد سموم لسعات النحل.

ولكن النظرة المحكمة المدروسة لمجتمعات هذه الطيور قدمها لنا عالم الطيور في جامعة كورنل الأمريكية (ستيفن إملن S. Emlen)، بعد أن توجّه إلى كينيا لدراسة الحياة الاجتماعية لبعض أنواع هذه الطيور المسمّاة بذات الجبين الأبيض، وقد اكتشف أموراً اجتماعية ضمنية مدهشة، منها أن هذا المجتمع الطيري المتماسك مجتمع تنافسي ذكري قاس لا يرحم، يتميز بعنف جسمي مثير، وبنضال فردي دائب، يحقق التوازن لبعض الاهتمامات الاجتماعية ذات الأهداف المتضاربة لنيل بعض الغايات، فرغم أن مجتمع هذه الطيور أحادي الزواج monoganous، إلا أن الذكور فيه تنفذ ما يدعوه العالم (إملن) باستراتيجية التزاوج المختلط.

وتعني هذه الاستراتيجية أن الذكور متى سنحت لهم الفرصة تحاول أداء عمليات التزاوج المشترك بعيداً عن رباط الزوجية المثنوي الذي لا يعرفه عالم الحيوان عموماً، ذلك أن إناث كل مستعمرة طيرية تخصب جميعها في موسم واحد، وأي أنثى تغادر عشها خلال هذه الفترة ودون مرافقة عشيرها تكون عرضة للاغتصاب لمجموعة طيور ذكرية لا يقل عدد أفرادها عن (١٢) طيراً، إذ ترغم على معاشرتهم قسراً بعد أن يوقعوها أرضاً. وعموماً فإن الذكر الزوج العشير يقوم خلال هذه الفترة من دورة التناسل بحراسة أنثاه بقوة، ويدافع عنها ويحميها من التعرض لأية عملية اغتصاب مثل هذه. كما إنه يقوم بجلب الطعام لأنثاه، وإلا فإن الأنثى ستجد نفسها مرغمة على مغادرة العش والمجازفة بتعرضها للذكور الآخرين!

ويقول العالم (إملن) إنه اكتشف في مجتمع الطيور المدهش هذا، وجود أزواج من الطيور طفيلية مخادعة تقوم بإلقاء بيضها في أعشاش أزواج آخرين ليخصبوها بدلا منهم، وقد ينخدع الأزواج الآخرون - فعلاً - فيقومون بحضن البيض عوضاً عنهم، وإنه توجد مستعمرات كثيرة لبعض أنواع من طيور آكلي النحل هذه، تعيش في مجتمعات ذات نظم معقدة جداً، وبإمكانات متطورة جداً غير متوقعة في عالم الطيور لم تكتشف بعد.

العبير والمطر

شعر: د. محمد العيد الخطراوي

وحين تضحكين يا حبيبتي ينهمر المطرْ
تهبّ في الأغصان فتنةُ الثمرْ
فيورقُ الشجر
ويونق الزَّهر
وترقص الأنغامُ في الوتر
تُذيع من شفاه الفجر روعة السَّحر
كأنها تقول للبشر:
مطرْ.. مطرْ.. مطرْ

★★★

وتنتشي الحقولُ والمراعي
حبيبتي.. وينشط الرعاةُ للغناءْ
وتقفز الشياهُ في الهواء
تسابق الفراشْ
وتلثم الصباحْ
لتنشر المراح
.. وتخطر التلالُ في الأضواءْ
كزُمرةٍ من الحسان تعرض الأزياء
.. وتعبق الأنداءُ بالأشذاء
وتُزهر الأشياء
وشفتي تغني للمطر:
مطرْ.. مطرْ.. مطرْ

★★★

ضحكتُكِ العبيرْ..
في نغمٍ مثير
يحيا الفصولَ الأربعهْ
تضمُّه مشاعري
ترتاح في أحضانهِ
ويستقر في مكانه (الأمير)
وحوله ينطلق العبيرْ
فأينما مضى عبير:
عبيرْ.. عبيرْ.. عبيرْ

★★★

ضحكتُكِ الحريرْ
ويْلي أنا من عالمِ الحرير
أسمعُه.. أُبصِره ينثال في الأثير
كالمطر الغزير
أغيب في الخيوط.. في نسيجها الوثير
ويستبدّ الحلْمُ بي..
يشدني إليكِ يا حبيبتي كأنني أسير
لا.. لم أضق بالأسر.. بل أحبه إذا ما تضحكينْ
فحين تضحكين يا حبيبتي ينهمرُ المطر
يغرقنا العبير
يلفُّنا الحرير
مطرْ.. عبيرْ، حريرْ.. مطرْ
مطرْ.. عبيرْ.. حريرْ

★★★



اكتشافات علمية

اكتشافات علمية

اكتشافات علمية

حضارات
Civilization

حضارات الشرق الأوسط أرق في معاملة النساء

وجدت مجموعة من علماء علم الأمراض Pathologists البرهان المادي الأول على أن النساء كن يُضربن ويؤذين جسدياً في العالم القديم، فقد استمرت العالمة (**مونيك فوانت** Monique Fouant) وزملاؤها في كلية طب فرجينيا (**أمريكا**) لأكثر من سبع سنوات وهم يفحصون أكثر من (١٠٠٠) هيكل جثة مومياء أخرجت من المقابر الأرضية على طول الحدود الشمالية لدولة (**شيلي**).

وكانت قد عاشت في هذه المنطقة التي تدعى (**وادي أزابا** Valley Azapa) خمس حضارات لفترة أكثر من (٢٠٠٠) عام، وقد فحصت العالمة (فوانت) حوالي ثلث تلك الهياكل العظمية في دراسات لاكتشاف بقايا آثار لأمراض قد تكون منتشرة في تلك الأزمان الغابرة، مثل أمراض العظام والسرطان، وحالات هيكلية عظمية أخرى، ولكنها عوضاً عن أن تجد بعض الآثار لتلك الأمراض، فوجئت بوجود نموذج لحالة إيذاء جسدي واحدة مميزة ظهرت في جميع الهياكل العظمية للحضارات الخمس.

وتقول العالمة (فوانت): إنه قد ظهر في هياكل النساء عموماً، كسور مميزة وشديدة ومتواترة، وإن **(٧٨٪) من النساء، كن يعانين من كسور في الجمجمة**، كما أظهرت هياكل عظمية أخذت من حضارة أخرى، أن كسور العظام في أجسام النساء كانت أكثر بـ (٤) مرات من كسور العظام في أجسام الرجال، وهذه النسبة كانت أكثر بـ (٥) مرات عنها في حضارة أخرى.

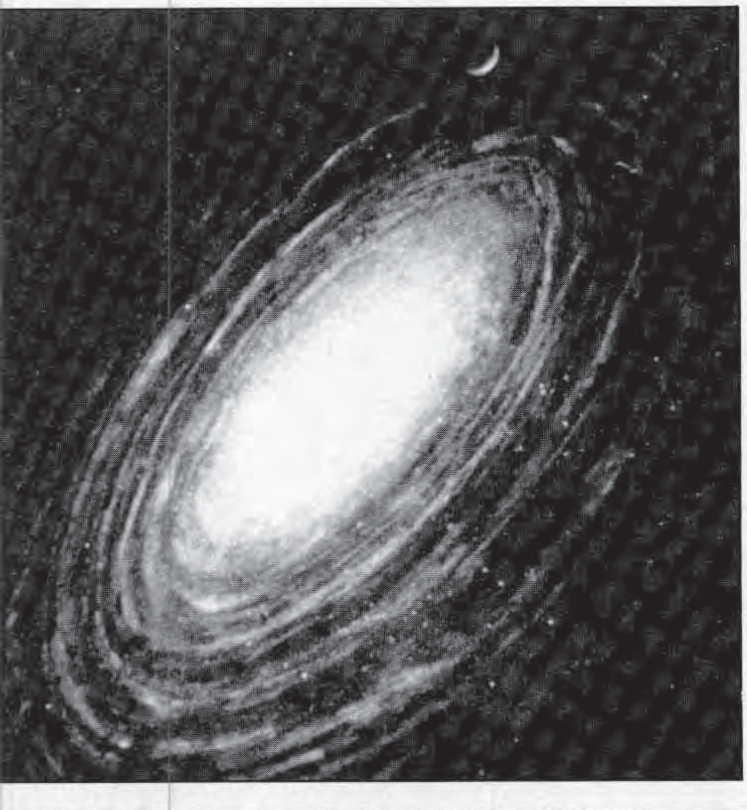
وقد استدلت مجموعة العلماء من هذه النتائج، على أن النساء في حضارات (وادي أزابا) القديمة كن ضحايا **للتعسف والإساءة**، وأنهن كن يتعرضن للإيذاء الجسدي المبرح من قبل الرجال، وتنفي العالمة (فوانت) أن تكون أسباب كسور العظام عند النساء أمراض عظمية، لأن هذا لم يظهر أبداً عند تشريح هياكل الجثث المومياء.

كون
Cosmos

اكتشاف كوني كبير

كثيراً ماكشف العلماء عن تراكيب مرعبة مروّعة لأجرام سماوية في الكون المرئي، ولكن الحقيقة التي اكتشفها العلماء أخيراً والتي تقول إن (٩٠٪) **من مادة الكون كله غير مرئية ولم يكتشف ماهية تركيبها بعد، وإن ما رأيناه حتى الآن من مادة الكون لا يشكل أكثر من ١٠٪ منه.**

ولكن.. هل يساعد



وتبقى هذه الاكتشافات الحديثة ، على كل حال ، شيئاً فريداً خاصاً بحضارات شمالي تشيلي فقط ، ذلك أن عالم علم الأمراض (**فرانك ساول** Frank Saul) كان قد فحص الكثير من الهياكل العظمية لحضارة الـ (مايا Mayan) في وسط أميركا الشهيرة ، ولم يجد إلا القليل من هذه الإيذاءات الجسدية في الهياكل العظمية للنساء ، كما أن الدكتورة (**لورانس آنجل** Laurence Angle) أمينة متحف علم الإنسان الجسدي في معهد **سميثسونيان** ، تقول : إنها لم تجد في الهياكل العظمية التي فحصتها لحضارات الشرق الأوسط ، أي إيذاءات جسدية في الهياكل العظمية للنساء ، بل



على العكس من ذلك ، فقد وجدت أن هياكل عظمية كثيرة كانت قد عولجت في الرجال أكثر من النساء ، وأن هذا يعتبر في رأيها رمزاً على رقي وتقدم تلك الحضارات .

وتضيف العالمة آنجل قائلة : إننا لو نظرنا إلى زمننا الحالي (المتقدم) ، لوجدنا المزيد من الإيذاء الجسدي ، ليس للنساء فقط ، ولكن للنساء والأطفال . . ونشاهد في الصورة إحدى المومياءات Mummy موضوع الدراسة التي فحصها العلماء .

* * *

المغناطيس Magnet البارد جداً علماء الفيزياء Physicists في جامعة فلوريدا على إيجاد المادة الضائعة أو المفقودة missing matter من الكون ، التي أطلق عليها العلماء اسم (المادة الظل أو الشبح ghost) غير المرئيّة ؟ .

أما من حيث ماهيّة تلك المادة المخفيّة من الكون ، فإنها ـ حسب قول بعض العلماء ـ يمكن أن تتكوّن من جسيمات Particlesغير مرئيّة تدعى (**آكسيون Axion**) ، وإن هذه الجسيات هي المطلوب الكشف عنها الآن والتعرّف على ماهيّة تركيبها ، ويقدر أنه يوجد منها حوالي (**١٠,٠٠٠**) **بليون جسيم (آكسيون)** في كلّ إنش مكعب من الفضاء (**الإنش = ٢,٥٤ سم**) فهم سيحسبونها إلى أن يصلوا إلى النجوم التي تقع عند حافّة الكون المرئيّ ، وهم يقدرون أن هذه الجسيمات تتحرّك وكأنها مشدودة بجاذبيّة gravity أقوى بعشر مرات من الجاذبية المقدرة في مادة الكون المرئيّ .

وحتى في ظلّ هذه الأرقام فإن تكثّف الطاقة من جسيمات الآكسيون ستكون منخفضة جدًا ، ويقول العالم (**سيكيفيي**) : **إذا جمعنا كلّ الطاقة المتوفّرة من جسيمات الآكسيون الموجودة بمساحة أرض بحجم ملعب كرة قدم فإننا سنضيء مصباح كهربائيّ بقوّة (وات watt) واحد لمدّة ثانية واحدة فقط**، وهذه الطاقة المجمعة تكون بدون فائدة على الأرض نسبياً ، ولكن هذه الطاقة الضعيفة لها وجود في الفضاء ، ويمكن أن تكون ذات نفع لعبور سفن الفضاء لمسافات ما بين النجوم .

والنظرية الرائجة جداً الآن والمثيرة تلك التي ترشّح تكوّن هذه المادة من جسم (**النيوترينو Neutrino**) غير المرئيّ الذي هو بلا شحنة ولا كتلة والذي تكهّن العلماء بوجوده في كوننا منذ زمن طويل ، وهناك نظريّات أخرى تفترض وجود **ثقوب سوداء black hole** في الكون صغيرة في حجومها ، ومادتها مكثّفة جداً ، وهي التي تمد الكون بهذه المادة السوداء المخفية .

* * *

وأنتَ تقرأُ:

بقلم: د. علي جـواد الطاهر

دليل لدليل القارئ إلى الأدب العالمي

أحسب ـ وأرجو أن أكون على خطأ ـ أننا غير قادرين على التعاون في الأعمال الأدبية التي تستلزم تضافر الجهود والتقاء التخصصات. وخصصت الأعمال الأدبية لأنها الميدان الذي أعرفه أكثر من غيره، وقصدت بالأعمال الأدبية أعمال التأليف الضخم الموسوعي الذي يشمل عالماً واسعاً في التاريخ والرقعة الجغرافية وتعدد اللغات. قد يتهيأ فنياً ـ مثلاً ـ الذي يعرف **الأدب الإنجليزي**، أو الذي يعرف **الأدب الفرنسي، أو الألماني، أو الروسي، أو الإسباني**... يتهيأ ولم لا وقد قطعنا هذا الزمن من العلم الحديث وصار لنا هؤلاء العلماء المتخصصون الذين درسوا في أقطار العالم كله. يتهيأ.

ولكن الذي لا يتهيأ أن يجتمع المتهيئون للتعاون على عمل يستلزم الاجتماع وتوزيع العمل. لا يتهيأ ذلك لأنه يتطلب أفقاً أوسع ومفهوماً أرق وخلقاً أسمح ومعرفة بالذي لي وبالذي لغيري، وألا أقطف جهود الآخر أو أستغله وأنا أدّعي التعاون وأعلن المشاركة. لا يتهيأ بدليل أنه لم يتهيأ. فكم وكم سمعنا بالاستعدادات الهائلة لموسوعة عربية على غرار **الموسوعة البريطانية** ـ مثلاً ـ ولكننا نسمع فقط ولم تلبث الآمال أن تتقلص والمطامح أن تتطامن والآذان أن تصم.

قلت الموسوعة البريطانية لأنها الأشهر لدى ضرب المثل، وإلا فانظر إلى معجمات مختلفة في اللغة وفي التاريخ وفي الأعلام.. وفي كل باب؛ انظر تجدها ناضجة جليلة عميقة ميسرة ولا تسأل لماذا، لأن المقدمة واضحة في بيان نمط العمل، ولأن جدولاً معداً بعشرات، بل مئات المختصين الذين أسهموا في تشييد هذه العمارة.

ولم يعد الأمر سراً، وعاد الكلام فيه إطالة.

وبين يدي كتاب ضخم يقع في (٦٣٧ صفحة) عنوانه «**دليل القارئ إلى الأدب العالمي ـ دليل للروائع الأدبية الخالدة منذ فجر الحضارة حتى العصر الحاضر**».

قلت: كتاب ضخم وهو ليس ضخماً لدى الحقيقة، فإن له أمثالاً في أوروبا وأميريكا ثم إنه ليس الأول بمعنى أن الذي يتصدى لمثله يجد مادة تكاد تكون جاهزة في المعجمات ودوائر المعارف وكتب تاريخ الأدب والأعلام... وما عليه إلا أن يختار وهو مطمئن كثيراً إلى صحة ما يقرأ وصحة ما يختار.

وإني مهما هوّنت من هذا العمل، وهوّنت، فإني لا أبلغ أن أقنع أحداً بأنه مما يمكن أن يقوم به شخص واحد بالغاً ما بلغ ذلك الشخص من العلم بالأدب، مالكاً ما ملك من لغات العالم.

وهذا هو الذي حصل... وما كان له إلا أن يحصل، وها نحن أولاء نقرأ تحت العنوان (دليل القارئ...): المؤلفون: **ليليان هيرلاندز، ج. د. بيرسي، ستيرلنج أ. براون**.

لقد ألّف هذا الكتاب ـ غير الضخم ـ إذن ثلاثة مؤلفين، فلم يجازف أيٌّ منهم بالانفراد بالعمل ولم يستهن أي منهم بالعمل على ما يمكن أن يكون لأي منهم من العلم واللغات والأدب والمراجع المهيأة المخدومة.

ثم، مهلاً... فلم يبلغ الغرور بهؤلاء الثلاثة أن «يحتكروا» الجهد لأنفسهم، فذلك غير معقول وغير ممكن ولا يؤدي الثمرة المطلوبة من الصحة والإتقان، ولا يدل على التعاون والخلق العملي وسلامة المنهج. وها أنتذا تقرأ في المقدمة: «الأسماء المذكورة على الغلاف بالإضافة إلى الأساتذة (**وليم م. جبسون** من جامعة نيويورك، **وولسن. ف. جونسون** من جامعة كولومبيا، **ونابليون ج. تريمبلي** من جامعة أريزونا) قد ساهمت في تقديم المداخلات. وقعت مهمة جعل هذه المساهمة كلًّا موحداً على الأساتذة: **هورنشتاين، وبيرسي، وبراون** (...) إننا نعبر عن امتناننا للأساتذة التالية أسماؤهم لاقتراحاتهم ونقدهم: الأساتذة **والاس ك. فيرغسون** من جامعة ويسترن أونتاريو. **وجورج د. هورنشتاين** من جامعة نيويورك، **وولتر ماكلر** من جامعة نيويورك، **وماري غايتر** من جامعة أنديانا. إننا مدينون للسيدة **هيلين بيردز** لمساعدتها في خبرتها السكرتارية. يرغب رئيس التحرير بالتعبير عن شكره لزملائه في **جامعة جورجيا** لقراءة وتدقيق بعض من أصعب المداخلات...».

وهكذا نرى كيف تلتقي الجهود وتتعاون



★ ستيفان زفايج ★

الكفايات في عمل أدبي ، أكرر أنه ليس ضخماً ، وأن مراجعه ميسرة جداً عند قومه . أقول ليس ضخماً قياساً على ما لدى القوم من أعمال ضخمة وإلا فهو ضخم إذا رجعنا بالحساب إلى ما هو حاصل لدينا ، أي غير حاصل . ونأمل أن يحصل .

ونترك هذا لأهله . . . ونمسك بطرف الخيط الذي بين أيدينا .

أقصد هذا الكتاب نفسه وقد شئنا أن ننقله إلى القارئ العربي ، فما الواجب واللازم في مثل هذه الحال منهجياً وعلمياً وحضارياً ؟ لنتذكر أن مادة الكتاب هي « الأدب العالمي » ونتذكر أن الأدب العالمي يعني آداباً عالمية فيها : « الإنجليزي والفرنسي والألماني والإيطالي والإسباني والإسكندنافي . . والروسي . . . » ، وأقل ما يعني هذا وجوب تضافر الجهود وتعاون الاختصاصات لدى التصدي لمثل هذا المشروع ، حتى لو بدا مشروعاً صغيراً . وإذا استحال علينا جمع خمسة متخصصين للإنجليزي والفرنسي والألماني والإسباني والروسي . . فإن الذي لا شك فيه ولا ريب ولا نقاش أن مترجماً واحداً ـ من كان ـ لا يستطيع أن ينهض بالعبء ، وإن جازف هذا « الواحد » فأقل ما يجب عليه أن يعرض عمله على متخصصين يستنير برأيهم ، ويلتزم بما يصححونه له من خطأ .

وهكذا ترانا بلغنا أقصى التسهيل : مترجم واحد (وهذا غير معقول) واستئناس بعارفين (وهذا ممكن) .

أجل ، ولكن الذي حصل أن التسهيل نزل كثيراً تحت الصفر ، ومعنى ذلك أن مترجماً واحداً فقط ولا غير تصدى للعمل الضخم فصدر عن **دار الحقائق ببيروت** سنة ١٩٨٦ م ، بـ (٦٣٧ صفحة) .

وكتب عليَّ أن أمر على مواده الفرنسية فرأيت العجب العجاب من الخطأ ـ والأخطاء ـ من كل نوع في أسماء الأدباء ، وفي أسماء المؤلفات وفي الأنواع الأدبية ، وفي . . وفي . . وحتى فيمن ـ وما ـ هو مشهور في الأمر أو سبق نقله إلى العربية .

ترى ما ضر « دار الحقائق » لو جمعت أكثر من اختصاص ؟ وما ضر المترجم الواحد لو استعان بمختصين ؟ أما قرأ مقدمة الكتاب الذي يترجمه ورأى « الأعلام » التي تكاملت حتى شيدته عمارة إن لم تكن ضخمة جداً ، فخمة جداً ، فهي صالحة للسكن ، صحية للساكنين .

وبعد :

فإن أجمل وأبدع وأحسن ما رأيت في النسخة العربية ما ثبتته دار الحقائق من إعلان بأنها « الطبعة الأولى » اطمئناناً إلى طبعة ثانية ، وفي هذا ما يزرع الأمل بعرض النسخة العربية على مختصين قبل المجازفة الثانية بالطبع . والأمل ضئيل لأننا سبق أن أعدنا طبع الخطأ على خطئه ثانية وثالثة . وقد تخرق دار الحقائق القاعدة . قد !

السيرة . . قصة

مؤلفون معدودون جداً في العالم يكتبون في « **السيرة** » كتابة إبداعية ، تحيل المواد الخام المتوفرة عجينة بأيديهم ، وإذا تناولوا سيرة أديب كبير خرجوا من تلك المواد ، وفيها مؤلفات الأديب الكبير كلها بقصة حياة ، وكأنها أية قصة (رواية) يجري قلمهم فيها سيالاً ، ويعمل خيالهم فيملأ الثغرات ، ويقرب البعيد ، وينفذ خلال هذا وذاك شعاع من العاطفة ، هي الإعجاب عادة ، فيكتسب الحاصل تأثيراً في القارئ ينسجم به ـ كما انسجم كاتب السيرة من قبل ـ مع الأديب في سيرته التي بين يديه . وفي السيرة المهم من كل شيء في حياة الأديب وأدبه ولكنها تختار البارز أو ما تراه بارزاً أثر في الحياة وأثر في الأدب ولا بأس في تضحية بمادة هنا وهنا لا تعكر صفو المسيرة ، كما لا بأس من زيادة هنا وهنا ترفع من شأن السيرة نفسها في مصاف الإبداع الأدبي . . وقل العمل الخيالي فإذا هي رواية كأية رواية ، ولا تختلف إلا بمادتها الخام . وقد يتشبث كاتب السيرة المبدع بمسائل صغيرة يراها الباحثون الآخرون تافهة فيشيحون عنها . أما هو فيجد فيها دلالات نفسية تزيد من فعالية عمله متابعة لمعطيات مدرسة التحليل النفسي .

العمل صعب ، ونادر ، ولا يتهيأ لأي لامة ، ولم يعرف به إلا قلة في العالم ، ولئلا نطيل نذكر **ستيفان زفايج** (١٨٨١ ـ ١٩٤٢ م) الكاتب النمساوي المتعدد الاهتمامات ، الكثير التجارب ، الطارق لأنواع أدبية مختلفة منها الترجمة ومنها الشعر ومنها المسرحية ، ومنها النقد الأدبي . . واسمه عالمي ، ولم يعد زفايج غريباً على المثقف ـ أو القارئ ـ العربي بسبب من ورود اسمه لدى حديث عن الآداب الغربية ، وبسبب مما نقل من آثاره إلى العربية ، ونسينا أن نذكر له مكانه من الرواية والقصة القصيرة .

وبلغ زفايج Zweig في السيرة المبدعة مبلغاً عظيماً عد فيها من القلائل الذين يذكرون إذ

وأنتَ تقرأ :

تذكر : **إميل لودفيج** من الألمان **وأندره موروا** من الفرنسيين . ويقوم فنهم بتحويل السيرة ، رواية أو بمعنى أدق ضرباً من الرواية ، تأخذ من الرواية كثيراً ، وعلى رأس ما تأخذه طريقة السرد . ولم تحظ العربية بترجمة كاملة لعمل من أعمال موروا الكثيرة التي أقامها على الأدباء : **بايرون ، شلي ، فكتور هيكو ، جورج صاند ، بالزاك** . . . ومن هذه الأعمال ما نقل بتصرف أو باختصار ، ومما ترجم له من الشخصيات التاريخية : **دزرائيلي ، إدوارد السابع** .

أما عن إميل لودفيج فلدينا : **نابليون** .

ومما يرد مقترناً بذكر زفايج (زفايگ) من السير التي دبجها إبداعاً روائياً : **ماري أنطوانيت ، وماري ستيوارت ، وماجلان ، فوشه** .

دعانا إلى هذا الكلام قراءة ممتعة ، كما تقرأ قصة جميلة تستهويك وتستغرقك ، فيها الجو الطبيعي والجو الاجتماعي وفيها المواقف النفسية والدلالات الفكرية والشخوص يروحون ويغدون ، والأحداث تتشابك ، ويبرز خلال ذلك « البطل » محوراً وأساساً . . . فكأنك معه تراه عن قرب في أفراحه وأحزانه وثقافته وفلسفته وربما رأيت أمراً كبيراً كنت تحسبه صغيراً . . ناهيك عن الإشارات إلى الجوانب الفنية ، والإيماءات إلى عملية الخلق الأدبي .

القراءة الممتعة هذه ، كانت لكتاب ـ كتيب ـ من تأليف ستيفان زفايج ، عنوانه : **تولستوي** ، ترجمة **فؤاد أيوب** ، سلسلة عيون الأدب العالمي (٣) ، **دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر . دمشق** (٢٠٨ صفحات) ، الترجمة غير مؤرخة ، ويمكن وضعها في خمسينات القرن الميلادي . ولم يعد في متناول اليد ، فهل من تفكير بطبعة جديدة !

غرف نصف مظلمة .. وموسى كريدي

القصاصون في **العراق** كثيرون ، بمعنى أنهم كثروا ، وتبيّن منهم رواد على وجه العموم منذ بدء العشرينات على قلة ، وفي الأربعينات على مكان مذكور من الكيان الأدبي ؛ وتبين منهم رواد على وجه الخصوص من الأداء الفني في الخمسينات . وجرت في القطر أحداث وامتدت إليها تأثيرات ومفهومات في الستينات فكان ما عرف بالستينيين الذين حاولوا أصالة وتقليداً ، طبيعة وافتعالا أن يتبينوا ، حتى راودت بعضهم ألقاب ضخمة . ومستند هؤلاء الذين أرادوا أن يتبينوا الضياع و« القرف » والهلامية ، والتهويم وغياب التجربة ومجازية اللغة سعياً إلى شاعريتها . . . وقد هاموا بالوجودية فيما هاموا فيه ، كما فهموها ، وكما وردت أخبارها وقصصها مترجمة إلى العربية بدار الآداب وغيرها ، ثم مسهم شبح ـ يرونه طيفاً ـ من الرواية الجديدة وقل : اللاقصة ، ولو تدري كيف ؟ على السماع أولا ، وما ورد عن مصر مثلاً وشيء من شيء من ترجمة !! وظل في الستينات عدد محدود يكتب على صلة بالخمسينات مع تأثر مقصود أو غير مقصود بالموجة . . . وأهم وسيلة إعلامية للموجة مجلة « **الكلمة** » تصدر في **النجف** ويكتب فيها العراق كله وتعقد صلات مع العرب كلهم .

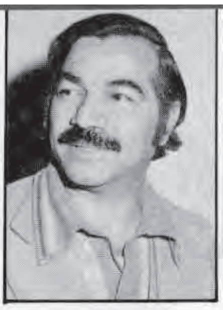
ولم يكن **موسى كريدي** (المولود في النجف سنة ١٩٤٠ م) ، من الخمسينيين وإن كان قريباً منهم تقديراً ؛ وإنما هو من الستينيين مع فارق مهم ، فهو وإن كان من هؤلاء في غلبة الشاعرية والثقة بالوجودية ، فإنه لم يقع فيما وقعوا فيه من غلو مصطنع ، ومبالغة بقصد الظهور حتى لم تعد قصصهم قصصاً فهي ضرب من الانسياح والانسياب والحذلقة اللفظية القائمة على حذلقة نفسية ، إنك لا تعدم التجربة في قصص كريدي ، وإنك واقع حتماً على بناء متماسك لا يغرق في الغثيان ، وصاحبه معمار يتأمل طويلاً أو ينتظر طويلاً قبل أن يهجم ، فلا بد من اختمار في النفس ، فإذا اكتمل ما في النفس متساوق الشكل والمضمون صبّه على الورق .

وإذا كان الغالب على غيره التقليد أو التباهي بجديد ليس لهم ، فإن موسى كريدي يتأثر بالمجتمع الضيق الذي يعانيه وهو مجتمع عنيف يصعب على شاب من أبنائه تخرج في كلية الآداب ببغداد ، وقرأ الفلسفات ، وعرف مدى الحرية ، واحترم نفسه ورأيه . . . يصعب أن يحلل كل ما حللوا ويحرم كل ما حرَّموا ، ويصعب عليه أن يبقى مكتوف الفكر فلا يذم ما يجدر أن يذم ، ولا يبشر بما يمكن أن يبشر به . فلا مجال لضيق الأفق ، ولا جدوى للتعصب ، ولا فخر بمفخر واه مجتلب خير ما فيه لأهله وشره على ضعاف الشخصية ، من طلاب الشهرة بكل سبب ، ومن الذين يهمهم جداً أن يبقوا كتّاباً في الميدان .

إن الموقف الذي اتخذه موسى كريدي وحده يدل على أصالة فيه وشخصية له ، وإلا فكان من الممكن جداً لديه ، وأمكن من أي سواه أن يرفع علم الغثيان ويرفع صوت الضياع ويقعد على ظهر الموجة ، ويكفيه وسيلة أنه أحد مؤسسي مجلة « الكلمة » وأحد المشرفين الفعليين عليها . ولكنه رغم ذلك بقي على حظ نادر من التماسك ، وهذا الحظ وحده يكفيه لأن يبقيه فناناً لا يبعد كثيراً عن فناني الخمسينات ، ولا يغرق عميقاً تحت موجة الستينات . فلا بد للقصة من تجربة ، ولا بد للتجربة من هيكل ولا بأس بشاعرية تنساب طواعية في عروق اللفظ . . . ومع ذلك ومنه وإليه نبرة انتقادية ومسحة ساخرة فهو يكتب عن ضيق بأسر ،



★ تولستوي ★



★ موسى كريدي ★

ويُعرب ليسرِّب خيوطاً من التفاؤل خلال نسيج التشاؤم . ولا يكتب لأنه يريد أن يكتب ليثبت وجوداً ويشغل فراغاً ويشبع نهماً ويسند ضعفاً ، إنه يكتب وقد عانى حدثاً وآده وضع . وطالت المعاناة واكتمل الخلق في الذات ولم يبق إلا أن يجري القلم على الورق . . والدافع محلي ، « بلدي » ، ولكنه لا يريد أن يقف عند البقعة المحدودة ، ففي نفسه أفق فسيح ولنفسه امتداد طويل ؛ ويجمع في ذاته القاص والناقد ، ومن كان كذلك لم يرتض لقصصه أن تخرج عن يده دون ممارسة الناقد ، ودون أن ينظر إليها كما ينظر إلى قصص غيره . ولو لم يكن موسى كريدي قاصاً لكان ناقداً ، ولكنه احتفظ بالنقد لنفسه أولا ؛ ولو لم يكن قاصاً ناقداً لكان شاعراً ، ولم تأته الشاعرية عن كلالة كما جاءت آخرين أو كما جاءها آخرون ليسوا منها وليست منهم ، فهو ابن النجف المدينة التي ورثت نقاء الشعر العربي ، وهو شاعر إلى جوار كونه ناقداً قاصاً ، أو قبل القصة والنقد ، ولكنه تخلى عن الشعر للقصة كما تخلى للقصة عن النقد . . .
ومن مجموع الثلاثة جاءت هذه الطراوة على قلمه مجازاً وحقيقة وسخطاً وسخرية .

وحين رضي عما كتب . . . أصدره في مجموعة أولى باسم « **أصوات المدينة** » عام (١٩٨٦ م) ، لقيت الرضا والترحاب على غير ضجيج وعجيج ، وعلى غير سعي من صاحبها في طلب الثناء .

وكان بإمكانه وهو الذي يمسك بزمام « الكلمة » وتتناوله « المطبعة » قبل أن يتناولها . . . أن يصدر المجموعة الثانية بعد شهور أو بعد سنة واحدة ، ولكنه لم يفعل ، لأنه ليس من هذا النفر من الناس . إنه يتأنى ، ويبلغ طبعه في ذلك درجة يصفه بها الذين لا يعرفونه بالبرود ، وما دروا أن البرود في الظاهر ، أما في الباطن فهو دائب الفكر ، دائم النظر ، عارف بنفسه ، لا يتزاحم مع فلان وفلان ، ولا يطلب ما لا يليق به ، كيف وهو الذي عرف الأدب الحقيقي في كبار شعراء العربية أولا وفي عمالقة القصة في العالم ثانياً ، ويمتزج الأول بالثاني بالثالث . إنه لا يطلب مجداً عاجلاً زائلاً حتى بدا كأنه غير آبه بالمجد . وكلما ازداد « مجايلوه » طمعاً بالمجد وجنوناً بالشهرة ورخصاً في الوسيلة ازداد هو زهداً ، و « عقلاً » وابتسامة ساخرة على البعد ، ونبرة حادة تخرج مخرج اللين والعفوية .

ويجمع ما تهيأ له وارتضاه من نتاج جديد وُلد مُنَجَّماً . . في مجموعة ثانية سماها « **خطوات المسافر نحو الموت** » عام (١٩٧٠ م) ، وقد سجل فيها خطوة إلى الأمام في كل شيء يؤكد شخصيته وفي التعامل مع المحلي تعاملين : النجفي والعالمي ؛ والتفريج عن الكرب بتفريجين : الهدم للبناء ، والتفاؤل خلال التشاؤم ، والحب ضمن الكره ، والسلم في الحرب .

من قرأ المجموعة الأولى لمس هذا ، ومن لم يقرأها طلبها فصح عنده الذي صح عند غيره ووضع المجموعتين في مكان مرموق بين المجاميع المعاصرة ، ووضع في صاحبها من الأمل بمقدار ما وضع بمعاصريه من خيبة .

ومع هذا ، فلا أخفي عنك عجباً — أو تعجباً — من « سرعة » استفزت صاحبي ليصدر مجموعته الثانية خلال سنتين فقط! وأقول لك منذ الآن إنه لن يصدر مجموعته الثالثة في سنتين . . لا لأن السبعين (١٩٧٠ م) منعطف في تاريخ العراق ، وفي تاريخ الكيان الذي يرتبط به موسى كريدي ، ولا لأنه سيشغل نفسه بما شغل به غيره نفوسهم من انتقاض على ماضيهم الأدبي ، ومن تنكر لضياع افتعلوه أمس وعليهم أن يفتعلوا اليوم غيره . . . فما هو من هؤلاء ، ولم يقل ما قاله أمس افتعالا واصطناعاً ، ولن يقول بعده ما سيقوله خوفاً وطمعاً .

في السبعين جدّ ما يدعو إلى انحسار « الموجة » ، وجد ما يدعو إلى مهاجمة أدب الهدم ، ويدعو إلى الجد والبناء واليقظة والعقل . . . فماذا فعل كريدي؟ وماذا فعل الآخرون؟ لقد ارتد الآخرون وتكسرت « موجتهم » عند شاطئ السبعين وكأنهم لم يكونوا أولئك ، وشرعوا يعلنون غير ما كانوا يعلنون ويكتبون بأفكار لم تكن أفكارهم ، وفي هؤلاء الذين يكذبون على أنفسهم بعد السبعين كما كانوا يكذبون عليها قبل السبعين ، ومن كذب على نفسه كذب على غيره ، ومن كان كذلك تناقض ولم يدل على نظرة متسقة وشخصية وطيدة وموقف مدروس نابع من مكونات الذات ناظرة إلى مكونات خير الإنسان في كل مكان ؛ وفيهم من سكت ، وفيهم من استأنف بعد سكوت ، وبرز في الجو بعد اختفاء .

— وماذا فعل موسى كريدي؟

— بقي هو هو ، لأنه لم يكن مفتعلاً أو خائفاً يوم كتب مجموعتيه ، ولأنه لم يكن مفتعلاً أو طامعاً بعد أن كتب مجموعتيه ، إنه يسير على خط من جوهر نفسه ، ونفسه واحدة في أعماقه ، ويتوطد ما فيها على الزمن ويتسع بفعل القراءة والتأمل والتجربة والحياة العامة ، والأناة التي هي سمة من سمات تلك النفس ، والحس الإنساني الذي هو نبض من نبضاتها .

ومضى ينظر ويعمل ويعاني ويتأمل . . يقبل ويرفض ، ويرفض ويقبل خلال خط واحد وإذا زادته الأحداث إرهافاً ، وزاده التأمل عمقاً ، ورأى ما لا يراه غيره . . . مضى إلى ما وراء المادة ، وسعى فيما هو القاسم المشترك وانحاز إلى مسحة في الغموض وإنساب نحو

وأنت تقرأ :

الروح . . . ومال إلى اللمح والإيحاء . قلت : مضى ، وسعى ، وانحاز ، وانساب ومال . . . وأقصد ازداد مضيًّا ، وانحيازاً وميــلاً ، لأن الصفات كانت فيه ، والذي جد بحكم الظروف نسبة جديدة اجتمعت إلى نسب قديمة .

فنه ـ إذن ـ تجربة ، ولـكنه لا يقـدم التجربة مباشرة أو واضحة الحدود كما هي في الخمسينات ، وإنما هو يذيبها في البناء أو في اللفظ فتغدو شعراً موضوعياً ـ إن صح التعبير ـ على حين كان أهل « الموجة » على غير تجربة حقيقية ، وكان كلامهم انسياح سكارى . وحين تكسرت الموجة اختلت على أهلها المقاييس واضطربت الدروب فمنهم من أوغل في المباشرة ، ومنهم من ناقض قوله فعله ، ومنهم من اعتدل على غير قياس . أما هو فقد سار في دربه ، وإذا جرى له تغير ما ـ وقد جرى ـ فهو ضمن السياق ومن إملاء ظروف زادت أماليها السابقة عمقاً فاستدعت من صاحبها خفاء أكثر ولباقة أدق .

فنه على هذه الصفة متميز ، ويزداد تميزاً لأنه خاص به ، طبيعي في مزاجه وتكوينه لدى الاستجابة للخارج ، وتأتي الاستجابة للخارج ـ حينئذ ـ داخلية . ومنتظر ـ بعد ذلك ـ شيء من الغموض ، وشيء تحت الأرض ، ولكنه شيء فقط يزين الكيان العام للقصة ولا يفككها أو يلقي بها في الهلامية ويحيل الروحي خرافياً ويؤدي بالبناء إلى الهدم .

فنه على هذه الصفة منذ القصة الأولى في المجموعة الأولى . وهو فن راق . وإذا كان لم يغيره فإن الفن نفسه قد نما فيه وتطور وتوطد من قصة إلى قصة ومن مجموعة إلى مجموعة في هدوء وأناة . . ولم التعجل بمجموعة ثالثة . لتمض سنتان أو خمس أو ثمان ، فليس المهم أن تنشر ولكن المهم أن تنشر ، وقد آن أوان ذلك وهذه هي « **غرف نصف مضاءة** » عام (١٩٧٩ م) ، وفي كلمتي « نصف مضاءة » تلخيص لفن الرجل . فهو لا يلقي كلامه مكشوفاً جداً رخيصاً أو سهلاً ، كما أنه لا يوغل في الظلام ويضيع في الدروب . وعلى القارئ أن يصل بنصف الإضاءة إلى النصف المظلم لأن الكاتب يضعه موضع الذكي اللبق . وقد منح الفن القصصي بهذه المجموعة أثراً يعتز به ويحله محلاً خاصاً من كيانه . ولا أقصد بهذا الأدب العراقي وحده . وصعب أن تجد بيننا كاتباً يصدر ثلاث مجموعات خلال إحدى عشرة سنة ، ويبقى هو هو إلا ما يكون من طبيعة الحقيقة في الإبانة عن نفسها وفي سلوكها المتسق مع مكوناتها إزاء الأحداث إذ تذيبها في بوتقتها لتخرجها كلاً مع أحداث سبقت ولكن حدة في الأحداث وحدة في الخيبات ، وحدة في النظر لمصلحة الإنسان . . . مع توسع في الرقعة الجغرافية ومعاناة جديدة في بغداد لم تكن في النجف . . . كل أولئك يسير بظاهر الأشياء إلى باطنها ، وإذا سار بها كذلك بدت نصف مضاءة حتى لو تمنى أن تبدو مضاءة وأنى له ذلك والضوء الذي يريده لا يشترى بالدينار ولا يفرض على القلم فرضاً .

ـ ترى كيف ستكون الحال بعد عام ١٩٧٩ م ؟

ـ مضى العام ، وأعقبه عام وعامان ولا حس لموسى كريدي ولا نفس ، فما نشر قصة ، وادّعى القصص ، ولا ساوق آخرين في الثرثرة أو المتاجرة . . . وقال قائل : إنه انتهى ، ويئس آخرون ، فالرجل محدود ، وقد استنزف البئر الذي أطال الحفر فيها . ولا تعدم من يسر بذلك ويروج له وكأن موسى كريدي العف الزاهد شحاً في بعض الحلوق .

يئس كثيرون ، وما يئست لعلم بجوهر الرجل ، ولمح المفهوم ذلك الرجل في الفن والحياة يحسبه الناظرون إليه من الخارج غير ذي طموح ، وغير ذي طمع بالتغيير نحو الأحسن وغير ذي احتفال بالمجد الأدبي ، وما شيء من ذلك الحسبان بصحيح ، ولكن المسألة مسألة اختلاف في أنماط السلوك ، ومسألة اختيار النمط الأرق الذي يمزج الثقة بالتواضع . ولا يقول إلا عندما يجد ما يقال .

إنه لا يكتب على الورق ، ولكنه يكتب في النفس ، إنه غير قصاص في الخارج ولكنه قصاص في الداخل . النفس تغلي وإن خفي الغليان على كثيرين حين لم يروا في صاحبهم سوى البرود .

ونبقى بانتظار المنبه الذي يستثير الرجع في القاص الذي بعد عهده بعام ١٩٧٩ م .

ويقع المنبه على أبواب النصف الثاني من عام ١٩٨٤ م ، أي بعد نحو من خمسة أعوام على الانتهاء من « غرف نصف مضاءة » جد خلالها ما جد ، وغاص في أعماق النفس ما غاص من ضباب وظلال وأشباح . . . وامتزج ما جاء في خمس السنوات الأخيرة بعالم الطفولة لقرابة في سلامة الفطرة وسلامة النظرة .

وتتابعت القصص وكأنها كتبت خلال الصمت . . . ثم تجمعت فصدرت في مجموعة رابعة اسمها : « **فضاءات الروح** » عام (١٩٨٦ م) ، وصاحبنا هو هو في جوهره وفنه الإيمائي وإخلاصه الإنساني . . . مع قلة في نسبة الإضاءة ، فكأن اسمها الحقيقي « غرف نصف مظلمة » ومع أن المناصفة حاصلة ، إلا أن موحيات الظلام هنا بقدر موحيات النور هناك . . . وتبقى المجموعة الجديدة كالمجموعة السابقة ، وكالمجموعات كلها معلماً . . ومفخراً .

★ ★ ★



القره كوز
عنصر من عناصر التراث المشترك

بقلم: د. الصفصافي أحمد المرسي

إن «القره كوز»[1] يمثل عنصراً مهماً من عناصر المسرح التركي المتوارث، وقد عرفه الترك منذ القدم تحت مسميات مختلفة، وعرفوا مسرحياته وكانوا يقومون بألعابه.

والدراسات الفولكلورية الحديثة تبين أن ألعاب الظل الصينية المعروفة بـ«ظلال الصين» قد اقتبست عن القره كَوز التركي. وكان الترك في القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، يُسَمُّون هذه اللعبة «قوغورجاق» و«قابوجاق». وقد انتشر هذا الفن الشعبي التركي مع التيارات التركية المتجهة نحو الغرب. واشتهر وانتشر انتشاراً كبيراً بين الترك في العصر العثماني.

وقد أخذ هذا الفن الشعبي شكله النهائي واستقر عليه واستمد تسميته الحالية **«قره كوز»** بعد فترات زمنية طويلة مَكّنت من انتشاره بين الناس بنفس القدر الذي جعله يأخذ مكانته بين التراث المكتوب.

وعُرف هذا الفن الشعبي في الآثار المكتوبة بالأسماء التالية: لعب خيال **«لعب الظل»** وشب بازي **«لعب الليل»** وصورت بازي **«لعبة الصورة»** وظل خيال **«خيال الظل»**.

والشخصيات الرئيسية في هذا الفن الذي عبّر عنه الناس بـ«قره كوز» هما:

أ ـ القره كوز نفسه.

ب ـ حاجي واد.

وكلاهما شخصيات قد عاشت وظهرت على مسرح الحياة اليومية، وإنهما من الشخصيات المحببة جداً إلى نفوس الناس لدرجة أن كل الطبقات الشعبية تعتبرهما شخصيات واقعية عاشت بين ظهرانيهم.

ظهور خيال الظل

خيال الظل أو «القره كوز» مسرح ظلي ضارب في أعماق التاريخ. يُمثل بأشكال منعكسة على ستارة بيضاء مشدودة أمام ضوء مثبت خلف هذه الستارة. ومعظم هذه الشخوص البشرية أو الحيوانية مصنوعة من جلد الحيوان، وخاصة الجمال، وتنعكس على الستارة تلك الأشكال البديعة بألوانها الساحرة.

ولاعب القره كوز أو الخيالي، هو الذي يحرك هذه الشخوص، ويجعلها تتحادث، وتتصارع، وتقوم بحركات متمايلة، وملتوية معكوسة فوق الستارة، لأنها قد صُنعت بأشكال مفصلية. وهذه الحركات توقظ في نفس المشاهد أحاسيس ورغبات دقيقة وخيالات جذابة.

وأثبتت الدراسة أن مسرح خيال الظل قد تطرق إلى جميع التراجيديات والكوميديات في حياتنا. وبنظرة أكثر عمقاً؛ نجد أن مسرح العرائس أو القره كوز يرمز كل منهما إلى «عنصر الخيال الذي تتسم به حياة الإنسان، وأن خيال الظل يؤكد هذا التشابه الواهم بينه وبين جوانب حياتنا المترعة بأطياف الخيال»[٢].

وخلاصة الآراء حول منشأ خيال الظل: أن هناك وجهتي نظر:

* **الأولى:** أن هذا الفن ظهر في آسيا وانتقل منها إلى الغرب.

* **والأخرى:** أنه ظهر في الغرب ومنه انتقل إلى الشرق وآسيا.

ولوجهة النظر الأولى ثلاثة آراء؛

الأول أن هذا الفن ظهر في **جاوه**، وأن خيال الظل الجاوي ومصطلحاته موجودة في اللغة الجاوية القديمة. وكما أن مسرحيات هذا النوع ممتدة إلى ألف سنة قبل الميلاد، فإنها تُعد نوعاً مستقلاً بذاته.[٣] **والرأي الثاني** يحدد مكان ظهور خيال الظل «القره كوز» في **الهند** بدلا من جاوه، وأن اسمه في اللغة السنسكريتية هو **«جاينا طاقه»** ومدلولها هو نفس مدلول خيال الظل، ولكن هذا ليس بالأمر المقطوع به[٤].



أما **الرأي الثالث** فيرجع خيال الظل إلى **الصين**. ويستند هذا الرأي على أسطورة صينية تعود إلى سنة ١٢١ق. م، حيث تحكي «أن الإمبراطور «**ويو**» قد سيطر عليه حزن عميق إثر وفاة زوجته التي كان يحبها حباً ملك عليه كل جنانه، ولم تفلح كل المساعي التي بُذلت لتسليته والترفيه عنه. وقد حاول فنان صيني أن يرفه عن الإمبراطور باختياره لسيدة شديدة الشبه بالإمبراطورة المتوفاة، وجعلها تمر أمام ستارة بيضاء على بُعد مناسب من الإمبراطور وادعى له أن هذا هو طيف الإمبراطورة الحبيبة. وقد نجح بذلك في الترفيه عن الإمبراطور بهذا الشكل»[٥].

أما وجهة النظر الأخرى فهي تعارض خروج فن القره كوز من «جاوه» أو «الهند» أو «الصين» أو آسيا عامة، مدعية أن هذا الفن قد ظهر أولا في الغرب وانتشر منه إلى الشرق، وتَزعم هذا الرأي الباحثون الألمان[٦]. وإن كنت أوضح أن هذا الرأي قد خلط بين خيال الظل وبين فن العرائس الذي ظهر عند اليونان، وتكلم عنه **أفلاطون وأرسطو** ومعظم فلاسفة اليونان. وذلك لأن كل النماذج التي يضربها أصحاب هذا الرأي تنتمي إلى مسرح العرائس المحرك بالخيوط، وليس إلى مسرح خيال الظل المعكوس على الستارة. ولم يشر أصحاب هذا الرأي إلى أي دليل قاطع أو نص متوارث يدل على ظهور هذا الفن عند الغرب.

ولما كان التراث الشعبي لكل من الهند والصين وجاوه يحتوي على العديد المتنوع من المسرحيات الظلية التي وصلت إلى أيدي الباحثين، فإن الرأي القائل بأحقية آسيا والشرق بهذا الفن، يكون أكثر قوة وإقناعاً.

إن **جزر الملايا وأندونيسيا** قد عرفت الإسلام فيما بين [٧٠٠ ـ ١١٦٠ هـ = ١٣٠٠ ـ

١٧٥٠ م] والمراجع التاريخية تثبت أن التُجّار والرحالة العرب قد وصلوا إلى حدود الصين وشواطئها وأنهم استوطنوا جنوب شرقي آسيا في جماعات صغيرة ، وأن الإسلام وصل إلى هذه البلاد اقتناعاً من المواطنين أنفسهم ، ثم عن طريق الهند . وعلى هذا الأساس فإن العرب قد عرفوا هذه الشعوب قبل تأثير الإسلام ، ومن المحتمل أن يكونوا قد تعلموا هذا الفن من الجاويين ، **فابن بطوطة** الذي وصل إلى جاوه سنة (٧٤٦ هـ ــ ١٣٤٥ م) يذكر فناً فيه تشابه كبير في تكنيكه وتكنيك خيال الظل العربي والقره كَوز التركي ، ففي كل منهم ستارة بيضاء ، وسراج بين اللاعب والستارة وشخوص من الجلد المقوى وتجسيد لعناصر الطبيعة على الشاشة ، والمقدمة متشابهة أيضاً في طريقة العرض والتناول [٧] .

وهناك رأي آخر لا يمكن إغفاله ؛ مفاده أن مسرحيات خيال الظل قد اتخذت طريقها من الصين إلى البلدان الإسلامية في الشرق عن طريق **المغول** والقبائل التركية المجاورة ، وذلك فيما يبدو إبان القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، السادس والسابع الهجريين ، وأن غالبية العروض التي ظهرت في مجتمعات الشرق الأدنى قد شاهدتها جماهير المتفرجين في تركيا والبلاد العربية ، وكذلك فإن معظم نصوص مسرحيات خيال الظل في بلاد الشرق جميعاً وجدت مكتوبة بلغات تلك البلاد [٨] .

الأسطورة تركية

أما عن القره كَوز في تركيا ؛ فهناك أسطورة تحاول أن تثبت أن هذا الفن تركي خالص . إذ تشير إلى أن **السلطان أوخان** العثماني الذي تولى العرش سنة ٧٢٦ هـ = ١٣٢٦ م ، أمر ببناء جامع في مدينة **بورصة** بعد فتحها ، وكان بين العمال الذين يعملون في البناء عاملان يُدعى أحدهما « **قره كَوز** » والثاني « **حاجي واد** » وكلاهما يملك من خفة الدم والمرح والفكاهة ما يجعلهما يقومان بحركات طريفة وفكاهات هزلية جعلت العمال يلتفون حولهما لمشاهدة ما يقومان به من ألعاب مُسَلِّية تاركين العمل ، مما جعل حركة البناء في المسجد تسير بخطى بطيئة ، ولما سأل السلطان عن سر هذا الإبطاء والتأخير ، أخبروه بوضع كل من « قره كَوز » و « حاجي واد » فأمر أن يقوما بما يقومان به أمامه ، فسعد بما رأى ، حيث إنهما مثّلا أمامه « محاورة الحمَّام » ولكنه أمرهما أن يقلعا عن هذا حتى لا يتعطل البناء .

وخلال زيارة تفقدية أخرى رأى العمل في الجامع لا يزال يسير في بطء ملحوظ ، فاستدعى رئيس المعماريين ، وسأله عن السر ، وما إن علم السبب حتى أمر على الفور بقتل كل من « قره كَوز » و « حاجي واد » ؛ لكنه ندم وحزن على إعدامهما كما تشير بقية الحكاية .

وكان هناك في مدينة « بورصة » بتركيا رَجُل يُدعى **الكشتري** أراد أن يُسري عن السلطان ويذهب عنه حزنه ؛ فعكس خيال كل من القره كَوز وحاجي واد على ستارة بيضاء ، ونجح في تسلية السلطان ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان أول رائد لفن القره كوز في تركيا [٩] .



ومَدْفَن القره كَوز موجود في مدينة بورصة على طريق « **چسكيرجه** » ولكن لم يستدل أي باحث على مدفن « حاجي واد » في المدينة حتى الآن .

وعلى شاهد قبر القره كَوز وُجدت قطعة شعرية ما زالت محفوظة تخلص كاتبها بـ « كَمْتَرِي » وحمَّلها بعض المواعظ والمعاني العرفانية .

وهناك رواية أخرى بطلها الرحّالة التركي **أوليا چلبي** (١٦١١ ــ ١٦٨٢ م = ١٠٢٠ ــ ١٠٩٤ هـ) حيث يحكي أن :

« **حاجي أيواد أفلي أوغلي** هو تاجر يسمى « **يورقچة خليل** » وكان يتردد بين **مكة** وبورصة بشكل مستمر للتجارة في العهد السلجوقي . أما « قره كَوز » فهو **باكي چلبي** أحد قساوسة القبط في إحدى كنائس **أدرنه** وكان يعمل سائساً **لتكفور قسطنطين** في استانبول . ولما كان تكفور يوفده كل سنة إلى **علاء الدين السجوقي** التقى حينذاك مع حاجي واد وتم بينهما العديد من المباحثات والمحاورات » .

وهكذا قام أرباب هذا الفن بتشخيص هاتين الشخصيتين بمحاوراتهم الشيقة بهذه اللعبة الظلِّية . ولكن أوليا چلبي لم يوثق لنا هذه الرواية التي وقعت أحداثها قبله بزمن طويل .

وعلى كل حال فإن التعبيرات المستخدمة في تركيا ــ كغيرها من دول العالم الإسلامي ــ للتعبير عن هذا الفن ، فهي « **القره كَوز** » و « **خيال الظل** » و « **ظل الخيال** » و « **طيف الخيال** » وما شابه ذلك .

رأي الغربيين

أما وجهة النظر الغربية فتذهب إلى أن فن القره كوز أو خيال الظل قد وفد إلى تركيا على أيدي اليهود من **الأندلس والبرتغال** . وهذا الرأي يجعلنا نسأل : هل كان خيال الظل

القره گوز
عنصر من عناصر التراث المشترك

معروفاً في الأندلس والبرتغال عندما وفد إليها اليهود ؟

فإن كانت هناك إشارات قليلة تُشير إلى أن فن خيال الظل قد مُثِّل في الأندلس[١٠] ، فإن هناك أيضاً من الغربيين أنفسهم من يثبت أن **فن خيال الظل ومسرح العرائس قد وفد إلى الأندلس على أيدي العرب**[١١] . وعلى كل حال فإن المراجع التي تُشير إلى كلتا الفكرتين محدودة جداً .

وهناك دليل قاطع على أن مسرح خيال الظل كان معروفاً ومزدهراً في **مصر** في العصر المملوكي ، وأنه وفد من مصر إلى تركيا بعد الفتح العثماني لمصر والشام .

فمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي يذكر في كتابه «**بدائع الزهور في وقائع الدهور**» أن السلطان المملوكي «**جقماق**» قد منع تمثيل مسرحيات خيال الظل سنة ٨٥٣هـ = ١٤٥١م ، وحرق كل شخوصها . وفي حوادث سنة أخرى يذكر أن السلطان **ملك ناصر الدين** قد أعجب وسعد جداً بعرض الخيال «أبو السُّرع» ، كما يعلن في موضع آخر أن خيال الظل قد منع تماماً ليس في شهر رمضان فقط بل طوال السنة ، وكان هذا المنع بتاريخ ٩ ذو الحجة سنة ٩٢٤هـ ، وكانت الأسباب التي استدعت ذلك هو ما أُشيع عن أن العسكر العثمانيين يقومون بسلب العائدين ليلاً من مسارح خيال الظل ، بل ويسرقون ويخطفون النساء والأطفال .

وفي موضع آخر ، عندما يحكي عن حوادث شهر جمادى الآخرة سنة ٩٢٣هـ ، وهو ما يهمنا في هذا الصدد ، أن **سليم الأول** الذي فتح مصر سنة ٩٢٣هـ = ١٥١٧م ، بعد أن شنق **طومان باي** على **باب زويلة** واستتبت له الأمور فيها بدأ يعد العدة للعودة إلى بلاده ، فيذكر **ابن إياس** بالنص : « . . . وفيه أُشيع أن السلطان سليم شاه لما كان **بالمقياس** أحضر في بعض الليالي خيال الظل ، فلما جلس للفرجة قيل إن المخايل صنع صفة باب زويلة ، وصفَة السلطان طومان باي لما شنق عليه . ولما انقطع به الحبل مرتين ، فانشرح ابن عثمان لذلك وأنعم على المخايل في تلك الليلة بمائتي دينار وألبسه قفطان مخمل مذهباً ، وقال له : إذا سافرنا إلى استانبول فامض معنا حتى يتفرج ابني على ذلك[١٢] . وكان ولده **سليمان القانوني** في الواحدة والعشرين من عمره آنذاك . وفي ٢٠ حزيران (يونيو) سنة ١٦١٢م = ١٠٢١هـ ، استجلب **أوكوز محمد باشا** الصدر الأعظم بعض لعبة القره گوز من مصر عند زواجه من **جوهر خان** شقيقة السلطان ، كما أن السلطان **أحمد الأول** الذي اعتلى العرش سنة ١٠١٢هـ = ١٦٠٣م ، قد شاهد في **أدرنة** عروض **داوود العطار** أحد الخياليين الوافدين من مصر[١٣] .

من هذا السرد يتضح أن خيال الظل كان



معروفاً في مصر منذ القرن الحادي عشر والثاني عشر للميلاد ، بينما نجد أن أول ظهور لعروضه المسرحية قبل **جنكيزخان المغولي** يرجع تاريخه إلى ما بعد نهاية القرن الثالث عشر أو بداية القرن الرابع عشر للميلاد . فمسرحيات **ابن دانيال** (١٢٤٨ ـ ١٣١١م) بلا شك قد سارت على درب سابق لعروض ظليَّة قبلها ، وهو ما يتضح من مستواها الفني والأدبي الناضج نسبياً .

مسرح ابن دانيال

بين أيدينا ثلاث مسرحيات **لمحمد بن دانيال بن يوسف** ما بين شعرية ونثرية وزجلية ؛ وهي «**طيف الخيال**» و«**عجيب وغريب**» و«**المُتَيَّم**» .

وتبدأ «طيف الخيال» بحمد الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء للسلطان ، ثم يقدم الراوي بمقدمة تُشير إلى حملة السلطان على الفساد وتخريبه أماكن الفسق والفساد .

أما **أبطال المسرحية** الخيالية فهم : **الأمير وصال** ، أحد أمراء الجند ، ومجموعة من الشخصيات المعروفة في المجتمع المصري المملوكي . ويدور الموضوع حول رغبة وصال في الزواج من امرأة ذات حسب وجمال . ولكن الخاطبة «أم رشيد» توقعه في عروس شديدة القبح ، فيغضب ويتوعد ، ولكنه يقتنع في النهاية بأن الله أوقعه في شرك ما قدم من أفعال الشر . فأعلن التوبة وغسل معاصيه بالحج إلى بيت الله الحرام وزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام .

والمسرحية الثانية «عجيب وغريب» فهي استعراض لأنماط ونماذج معينة من واقع الحياة الشعبية ، في الشارع والسوق حيث مصدر المعرفة والتكسب ، والتحايل على الرزق بشتى الحيل ؛ ففيها النصب والاحتيال والسلب والمراوغة والمساومة . فهي بهذا معرض لكثير من مظاهر الحياة اليومية للمجتمع وعيوبه .

أما **المُتَيَّم**» فتدور قصتها حول الحب

والهيام وحيل المحبين في عصر الكاتب ، حيث يتعقب فيها واحداً منهم هو « المُتيّم » ويعرض محاولاته وصنوف حيله لبلوغ مأربه من محبوبته . وتكاد تكون هذه البابية مبنية على حلقات المصارعة بين القطاط والكلاب والديكة والخرفان والثيران الخاصة برقباء « المُتيّم » حيث يتغلب عليهم جميعاً .

والتراث العربي يسجل لنا أن الشاعر العربي **عمر بن الفارض** تكلم بشكل مسهب عن خيال الظل ، وله بابية شعرية نطالع فيها مرور الجمّال وعبور السفن للبحار ، وجيوشاً تخوض المعارك ؛ في البر والبحر ، ومرور الجُند ، سواء أكانوا مشاة أو خيالة . وكذا الصياد وهو يلقي شباكه ، والوحوش وهي تُغرق السفن في البحار ، والسِبَاع وهي تفترس صيدها من الحيوانات الأخرى[١٤] .

ففي المسرحية الأولى تمثل شخصية « وصال » الخاطئ التقليدي في العمل الدرامي الكلاسيكي الذي لا بد أن تنتهي القصة بأن يلق جزاء ما اقترف[١٥] ، ويرسم المؤلف صورة الفساد الذي يعيشه وصال بمجرد ظهوره ، ويمدحه بما يشبه الذم ، وتدور مشاهد البابة وأحداثها بين كلام الراوية « طيف الخيال » وتسلسل المشاهد وتتابعها مع البطل ومن يلقاهم ويحادثهم حتى خاتمتها[١٦] . أما عجيب وغريب ، فكلاهما نقيض للآخر ؛ فغريب ماكر وفقير بينما عجيب ممن يشكرون الله على خلقه ويدعو كل الشحاذين والمتسولين إلى الجد والنشاط ليحصلوا على المال عداً ونقداً .

وبقية الشخوص في هذه البابة والبابة الثالثة كلها أنماط مستقاة من البيئة الشعبية المصرية ، حيث نرى بينهم الحاوي والجراح المتطبب وقارئ الطالع والساحر والداعر ، ونرى مدربي الحيوانات كالقردة والقطاط والسِبَاع والكِلاب .

ومن أسماء أبطال المسرحية أبو القطاط وزعبر الكلبي ، وشبل السبّاع ، وناتو العبد الأسود ، وبالع الزجاج ، ويلي ذلك صراع الحيوانات . ومن الجدير بالذكر أن الرحّالة التركي آوليا چلبي الذي زار مصر سنة ١٠٨٢ هـ = ١٦٧١ م ، حيث قضى بها فترة طويلة ، كان قد ذكر في كتابه « **سياحتنامه** » أنه قد رأى نوعاً من الفنون في مصر من بينها مصارعة القطاط والكلاب والديكة والكِباش[١٧] .

المضامين الاجتماعية

وكل هذه الأنماط البشرية والحيوانية نصادفها في مسرحيات « القره كوز » التي عرضت في مدينة استانبول خلال القرن السادس عشر الميلادي ، شخصيتا : « قــره كَوز » و « حاجي واد » . الأول شخصية بسيطة طاهرة الروح تستخرج الحِكم من الأحداث بشكل مضحك ، ذكي بالرغم من أميته البادية . ليس عالماً ولكنه صاحب معرفة ونفاذ بصيرة ، يسعد بالخير والجَمَال ، وبكل ما هو حسن وطيب وجميل ، سواء أكان ذلك في اللغة أو الأخلاق أو السلوك ، ويسخر دائماً من كل تزييف أو تقليد ممسوخ لهذا الخير والجَمَال ، كما يسخر من كل دخيل على مجتمعه[١٨] .

أما « حاجي واد » فهو على النقيض تماماً ، شخصية مصطنعة في المجتمع ، تلق قسطاً من التعليم ، يتشدق بمصطلحات علمية وفقهية دون أن يعي مدلولها ، يسعد بكل ما هو عجيب أو غريب أو أجنبي ، سواء في اللغة أو الفكر أو الموسيق ، شخصية مادية نفعية صرفة . ومن هنا كان يتولد الصراع الساخن بينه وبين القره كوز .



كما أُديت بمهارة فائقة على ستارة خيال الظل التركي شخصيات الأقوام التي امتزجت ببعضها البعض وكوّنت المجتمع العثماني كالترك والفرس والعرب والروم والأرمن والأرناؤوط واللاظ والأكراد والچركس واليهود بكل السمات المميزة لكل قَوم من هذه الأقوام . فلم يفلت الأرناؤوطي بتعصبه وانطوائه واليهودي ببخله وخسته واللاظي بثورته وفورته وتقطيب جبينه عند التحدث .

كما أن شخصيات ؛ الترياقي والحشاش والمتطفل والمتسكع ، والمتلهفة على الزواج ، والخاطبة ، والراقصة ، والأخنف والأطرش والمتلعثم والأبله والسكير والمجذوب كلها من الأنماط الشعبية التي عرفت طريقها إلى ستارة المسرحيات الظلية والتي تُعد مع ما يحيط بها من مناظر ومظاهر متعددة وثيقة تاريخية لدراسة الناحية الاجتماعية للمجتمع التركي في تلك الحقبة .

وقد استمد خيال الظل أيضاً موضوعات من الأدب الكلاسيكي سواء العربي أو الفارسي أو التركي كليلى والمجنون « **قيس وليلى** » **وخسرو وشيرين ، وفرهاد**

وشيرين ، ويوسف وزليخا ، ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى أنها قد غيّرت بما يتلاءم مع روح هذا الفن الفكاهي الساخر .

اللغة

وكانت تركية « القره كوز » كعربية « طيف الخيال » و« عجيب » المصري **لغة صافية شعبية أصيلة خالية من أي دخيل ، منغمة بعيدة عن كل تعقيد . هي** تركية أهالي استانبول ، كما كانت لهجة القاهرة هي السائدة في بابات خيال الظل المصري ، تتكرر فيها من حين لآخر الأمثلة الشعبية والحكم والأقوال المأثورة والمناظرات اللفظية والتورية المحببة إلى نفوس الشعب بكل طبقاته .

والموضوعات التي تناولها مسرح « القره كوز » التركي عن طريق كتاب « القره كوز » التي جمعها **« محيي الدين سَويلان خَيَالي كُوچُوك علي »** من الواضح أنها تناقلت من الأجداد إلى الآباء فالأبناء . وعلى الرغم من أنه من الصعوبة بمكان أن نعثر على انطباع صادق ومحدد لمحتويات بذاتها لأي مسرحية قره كوزية ، إلا أننا استناداً إلى الكتاب السابق وكتاب **« دراسات في المسرح والسينما عند العرب »** للمستشرق **لنداو** نستطيع أن نقرر أن أحب الموضوعات التي تطرق إليها هذا الفن الشعبي كانت كما يلي :

١ ـ الـ« قره كوز » جاهل و« حاجي واد » يحاول أن يعلمه كيفية التصرف في المواقف الصعبة .

٢ ـ « قره كوز » يبحث عن عمل وفي صحبته صديقه حاجي واد الذي يغمره بنصائحه وإرشاداته وهو يظهر افتقاده القدرة على العمل .

٣ ـ « قره كوز » يحاول أن يأتي بالممنوع من الأشياء بدافع حب الاستطلاع أو شوقاً لرغبات معينة أو بسبب طمعه في شيء ما ، وفي تلك المواقف لا ينقذه غير رفيقه « حاجي واد » وذلك بعد أن يحصل منه على وعد بأن يكف

القره كوز
عنصر من عناصر التراث المشترك

عن صفعه ، وأن يقدم في الليلة القادمة عرضاً أكثر بهجة .

٤ ـ « حاجي واد » يدرب « قره كوز » على بعض الحِرَف والألعاب التي يسيء فهمها .

٥ ـ « قره كوز » يأتي من الأفعال التي تعرضه إلى بعض المتاعب ، ثم يجد نفسه في موقف حرج .

هذا بالإضافة إلى الموضوعات الكلاسيكية المستمدة من الأدب العربي والفارسي والمترجمات عن الآداب الأخرى ، كقصص **ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، والبخلاء** وما شابه ذلك من الطرائف .

فصول المسرحية

وبدراسة التراث الذي وصل إلى أيدينا ، نجد أن المسرحية الظلية في شتى منابعها قد انقسمت إلى أربعة فصول :

١ ـ المقدمة : وكانت عبارة عن افتتاح ثم الغناء ثم ابتهال إلى الله ودعاء للحاكم وشكر للمتفرجين وتمنيات لهم بالمتعة والعبرة . وكل هذا عن طريق الراوي الذي يقوم بدوره « حاجي واد » .

٢ ـ المحاورة : وهي في الغالب الأعم تدور بين الـ« قره كوز » و« حاجي واد » وتعتمد على اللفظ اعتماداً كلياً ، وهدفها تسليط الأضواء على الفوارق الواضحة بين شخصيتي القره كوز وحاجي واد التي تمثل كل منها نمطاً معيناً من البشر .

٣ ـ الفاصلة : وهي المسرحية نفسها ، وتشتمل على كل الأحداث التي تتكون منها البابة وتشترك فيها بقية الشخصيات والشخوص الموجودة .

٤ ـ الخاتمة : وفيها إذا كان حاجي واد هو الذي قدم المقدمة فإن القره كوز هو الذي يقدم الخاتمة ؛ وفيها يتمنى للمشاهد أن يصيبه



ما أصاب البطل من خير، ويجنبه ما وقع فيه من مآزق، ويعتذر عن أي قصور بدر منهم في هذا العرض متمنياً تلافيه في العرض القادم الذي يعلن عنه.

التأثير.. والتأثر

هكذا يتضح مدى التأثر والتأثير المتبادل بين منابع هذا الفن الشعبي الشرقي الأصيل، الذي كان للموسيقى الشرقية الأصيلة دور بارز أيضاً فيه.

وكان البطل الرئيسي في بابات هذا الفن يطرب للموسيقى الشرقية الأصيلة مفضلاً إياها على موسيقى اللاظ المتأثرة بالموسيقى البيزنطية أو موسيقى الروم المتأثرة بالموسيقى اليونانية القديمة. وكما هو معروف فإن الترك منذ أن كانوا في أواسط آسيا قد واءموا بين حركاتهم والموسيقى ودمجوها في كل أعمالهم، وأنهم منذ القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين قد وحّدوا بين الموسيقى والعادات الشعبية. كما أن شعراء التكايا والمعسكرات في الأناضول وأواسط آسيا هم أول من أنشد شعراً دينياً بمصاحبة الدف والناي. ومن هنا كان توظيف الموسيقى في مسرحيات خيال الظل عملاً مهماً وتقليداً متوارثاً (١٩).

وفي بداية هذا القرن قامت تجربة مثيرة في مدينة استانبول، تمثلت في تقديم مسرحيات ظلية حيَّة. ففي عام ١٩١٠م، وقُدمت على «**مسرح الشرق**» الواقع في حي «**شهزاده باشي**» ومسرح «**أوديون**» في حي «**بك أوغلي**» أوبريتات ظلية حيَّة بممثلين حقيقيين. كما أن الممثل الكوميدي المشهور «**ناشد اوزجان**» قد لعب أدواراً ظلية في مسرحيات من مسرحيات القره كوز.

☆ ☆ ☆



الهوامش

(١) تنطق الكلمة «قراجوز» و«قراقوش» وتعني العين السوداء أو «الطائر الأسود». والبعض يعتبرها «قره قاش» أي الحاجب الأسود.

(٢) دراسات في المسرح والسينما عند العرب. تأليف: يعقوب. م. لنداو، ترجمة أحمد المغازي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ص ٤.

(٣) G . A . J . Hazeu, Bijdrage tot de Kennis von het Javanische Toneel, Leiden 1897. P.3

(٤) H. H. Wilson, Select Specimens of the theatre of hindus. London 1871. 77. P. 390.

(٥) محيي الدين سَويلان، قره كوز، استانبول ١٩٦٩م. ص ٢.

(٦) Hermann Reich, Der Mimus, Ein Litterar - entwicke - Iunge Scichticher Versuch, 112 Berlin 1903. P 616 -

(٧) Metin And. Geleneksel Turk Tiyatrosu, Ankara 1969. S. 777 .

(٨) لنداو، دراسات في المسرح والسينما عند العرب، ص ٥١.

(٩) محيي الدين سويلان، قره كوز، ص ٢٠.

(١٠) J. R. Varey, Histori de los titeres en espana, Medrid 1957. P. 10.

(١١) J. R. Varey, Minor Dramatic. P. 14.

(١٢) محمد بن أحمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبع بولاق، سنة ١٣١١هـ، جـ٢، ص ٣٣، وص ٣٤٧، وجـ٣، ص ١٨٣، وجـ٥، (طبع القاهرة ١٣٨٠هـ = ١٩٦٩م) ص ١٩٢.

(١٣) Metin and Geleneksel Turk Tiyatrosu, S. 113

(١٤) R. A. Nicholson, Studies in islamic Mysticism, Camlaridge, 1921, P. 189.

(١٥) د. محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي. جـ١، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠م، ص ٢٩٤.

(١٦) إبراهيم حماده، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال. المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ١٩٦٣م.

(١٧) آوليا چلبي، آوليا چلبي سياحتنامه سي. استانبول ١٩٣٨م، ص ٦٥٨.

(١٨) Nihad Sami Binarli, Karagoze Dair. S, 6.

(١٩) د. الصفصافي أحمد المرسي، تأثير خيال الظل العربي في القره كوز التركي، حوليات كلية الآداب ــ جامعة عين شمس، ١٩٨٣م.

هذا يَراع الحبّ

شعر: عبدالرحمن صالح العشماوي

هذا يَراع الحبِّ يرقص في يدي ... من ثغره انطلقتْ حكاية مولدي
سيَّرته فوق السطور فما وَنَى ... وسقيته من شوقي المتجدِّدِ
فإذا الحروف تكاد من إعجابها ... تسعى إليه بلهفةٍ وتودُّدِ
هذا يَراعي ، ما مزجتُ بحبره ... فُحْشاً ، ولا اضطربتْ بريشته يدي
يا مَنْ عرفتُ الحبَّ حين عرفتهُ ... ورأيت في عينيه أصفى موردِ
فوردْتُ ، في قلبي تلهُّفُ عاشقٍ ... زالتْ به عني غيوم تردُّدي
حتى إذا أرخيتُ راية همَّتي ... وركضتُ في درب الحنينِ الأبعدِ
وسعيتُ ، والدربُ الطويل ، كأنه ... يمتد بي عمداً ، لينأى موعدي
وعبرتُ بحر الحبِّ أركبُ موجه ... في لهفةٍ وأحسُّ أنك مُنجدي
فإذا بزورقك الحبيب ينام في ... مرساهُ ، والأمواج تُبْعِدُ مقصدي
سُلَّتْ سيوف المعتدين وأغمدتْ ... وأرى سيوفك حولنا لم تُغْمَدِ
أرمي إليكَ بوردةٍ فواحةٍ ... فعلام ترميني بكسرة جلمدِ
أرنو إليكَ بمقلة فيَّاضةٍ ... حُبًّا ، فكيف تُدير عين الأسودِ
ليلي وليلُك ملَّ من طوليهما ... صَبْرُ الصَّبور ؛ وهمَّة المتجلِّدِ
أخلفْتَ ظنِّي فيكَ ثم تركتني ... أسعى على درب الجراح بمفردي
يا مَنْ جعلْتَ الليل مسرح لوعتي ... وزرعتَ في قلبي نباتَ الغرقَدِ
نفسي عليك وإنْ قسوتَ عطوفةٌ ... فانزل ـ كما تبغي ـ إليها واصعدِ
هذا الذي أشعلْتَ نار جراحه ... ما زال أكبر من عداءِ المعتدي
بدرٌ تحيط به الغيوم ، ولم يزلْ ... يرنو إلى الدنيا بطرف الأرمدِ
إني لأعلن ـ رغم كلِّ متاعبي ... ومواجعي ـ أنَّ السعادة في يدي



قصة قصيرة

بقلم : ميسلون هادي



انطلق باص المدرسة الصغير ذو المقاعد الثمانية .. فارتددنا جميعاً إلى الوراء وسقطت حقيبة «مينة» على أرض السيارة فقالت وكانت تجلس في المقعد الأمامي بقرب السائق :

ـ ما هذا يا مارك؟ سق على مهلك.

فقهقه «مارك» وراح يكرر ما قالته «مينة» قاصداً تقليد صوتها الطفولي وأخطاءها اللغوية! ما هذا يا مارك .. سق على مهلك.

ثم التفت إليَّ وقال :

ـ مسز روبنسون. طلابك لا يزالون بحاجة إلى كورس إضافي في مختبر اللغة.

فضربته على ظهره وقلت له :

ـ اهتم بسياقتك أنت .. إنهم بالتأكيد أفضل من مجموعتك اليابانية.

عدل رأسه باتجاه الطريق .. وما هي إلا دقائق حتى أماله ثانية باتجاه «مينة» وراح يغني لها :

ـ ياه .. ما أسرع أن تصبح البنات نساءً.

أليس ذلك مُحزناً !؟

فلعلع صوت «عبد الرحيم» من خلفي بكلمات عن الحب لم أفهم منها شيئاً إذ ضاعت بين لكنته العربية وصوته الأجش وسرعته في التحدث. ويبدو أن

«عبد الرحيم» قد أراد إسكات «مارك» عن الغناء فراح يتحدث إلى «أحمد» باللغة العربية ثم سرعان ما ارتفع صوتها بغناء شرقي حزين .

كان «عبد الرحيم» هو أكثر من ألح عليّ لاصطحابه ومجموعة الطلبة الآخرين إلى سيرك متجول سمع «عبد الرحيم» من صاحبة البيت الذي يسكن فيه أنه حل في المدينة . وعبثاً حاولت إقناعه بالعدول عن الفكرة والاستعاضة عنها بزيارة متحف بريستول أو جسرها المعلّق . فهذه ـ كما قال بطريقته الكوميدية الخاصة ـ معالم ثابتة يمكن لها الانتظار ، أما «السيرك» فإنه عجول ولن ينتظر . وأنا في الواقع كنت أحاول صرف انتباهه عن السيرك لأني لا أحبه ولا أميل إلى ارتياد تلك الأماكن التي يكون على المرء أن يضحي فيها براحته بسبب الصخب والضجيج والازدحام وفتح حافظة النقود بعدد من المرات أكثر بكثير من عدد الخطوات التي يخطوها المرء في مسافة أمتار معدودة . وقد كنت أفضل أن أصطحبهم إلى أطراف المدينة المؤدية إلى مزارعها .. خصوصاً تلك التي تكثر فيها شجيرات التين الشوكي في هذا الوقت من السنة .. والتي كانت ستجعلهم يستمتعون بجمال المناظر على طول الطريق .. في جو راق أشمس بعد ثلاثة أيام من المطر المتواصل .

«أحمد» و«پام» فقط رحبا باقتراحي .. أما الباقون فقد أبدوا حماسة لاقتراح «عبد الرحيم» بالشكل الذي لم يجعل أمامي أي مجال للرفض أو الاعتذار .

انعطفت السيارة حول «فكتوريا هول» ثم دخلت شارع «الوايت لبديز» الذي يصعد باتجاه حديقة حيوانات المدينة والساحة المحازية للجسر المعلّق الذي ينصب السيرك فيه خيامه وألعابه وأقفاصه ومكائنه .

وكعادته راح مارك يمارس دور الدليل ويشير إلى معالم الطريق المهمة وكان من ضمنها ، من وجهة نظره طبعاً ماكدونالد للهمبرگر .. ومدرسة آيفون للغة حيث نعمل أنا وهو .. والزقاق المؤدي إلى شقته .

قال له عبد الرحيم :

ـ أمدرس وسائق ودليل أيضاً ؟

فقال «مارك» وهو يرمي رأسه إلى الوراء :

ـ ومغن أيضاً .

ثم عاود غناءه من جديد ، ورفع يديه عن المقود وزاد من سرعة السيارة .

قالت له «پام» :

ـ مارك . أرجوك .

فصاح بحركة مسرحية مضحكة وهو يخفف من سرعة السيارة :

ـ من أجل جمالك التايلندي فقط.

ثم أضاف :

ـ على أية حال ، لقد أوشكنا على الوصول .

تباطأت السيارة شيئاً فشيئاً حتى إذا ما بلغت قمة شارع «الوايت لبديز» انعطفت يساراً فبانت على الفور خيمة جبارة مصبوغة بخطوط حمراء وصفراء .. تنتشر من حولها مكائن لألعاب مختلفة .. وما كاد «مارك» يوقف السيارة حتى تقافز منها طلابي الثمانية وجروا باتجاه الخيمة يتبعهم «مارك» ونظراتي التي سرعان ما عجزت عن اللحاق بهم وضيعت أثرهم بين الأشجار .

وسمعت صوت «أحمد» يأتي من بعيد يستحثني للإسراع .

ـ هيا يا مستر روبنسون . أسرعي .

فقلت له :

ـ أنا قادمة .

ثم سمعت «مارك» يقول :

ـ إذا كنت ستستمرين في السير ببطء هكذا .. فسنلتقي بك أثناء خروجنا وأنت داخلة .

ومر سنجاب صغير بالقرب مني فتابعته حتى تسلق شجرة واختفى بين أغصانها .. وحاول طفل استبقاءه لكنه لم يفلح فعاد إلى أمه وهو يشير لها بيده إلى أعلى الشجرة ويتمتم بكلمات غير مفهومة .. ورأيت مجموعة من هواة الرسم وهم يفترشون كتفاً ترابياً معشوشباً ويرسمون المنظر الطبيعي للضفة الثانية من النهر ، التي كانت قمم بيوتها ومداخنها تبدو من بين الأشجار البعيدة وكأنها ألعاب الزينة الصغيرة التي تعلق في شجرة عيد الميلاد . وأتاني صوت الموسيقى من بعيد خافتاً ومختلطاً مع أصوات السيرك الأخرى . وكانت أرض الساحة تعلو وتختفي تحت أقدامي فتزيد في صعوبة التعجيل من سيري الثقيل .

رفعت يدي لطلابي الذين كانوا قد أصبحوا قريبين من مدخل السيرك في انتظاري . ورأيت «مينة» وهي تنحني على الأرض لتجمع بعض الزهور الصفراء التي تنتشر بكثرة بين الحشائش في هذا الوقت من السنة . وانضم

«مارك» لمساعدتها و«عبد الرحيم» و«عمر» و«پام» ثم سرعان ما انحنى الجميع على الأرض وانهمكوا ، يشاركهم بعض الأطفال القريبين منهم ، بجمع الزهور الصفراء وهم يضحكون ..

قفز «مارك» وجرى خلف كرة الأطفال التي تدحرجت بعيداً .. وكاد أن يخطو فوق فتاة مستلقية على ظهرها للتحمم بالشمس .. فتوقف وقال لها بضع كلمات أضحكتها واستمر هو في ركضه بينما اعتدلت هي في جلستها وراحت تتابعه بنظرها .

وداهمت أنفي رائحة الذرة المشوية مختلطة برائحة العشب المقصوص .. وحوّلت حقيبتي من اليد اليسرى إلى اليمنى ثم عجلت من سيري لما تبق من مسافة بيني وبين طلابي .. فتقدموا نحوي وقد وضع بعضهم الزهور الصفراء حول آذانهم وبين خصلات شعرهم ، وهم ينتظرون مني كلمة إعجاب أو مديح . ومد لي «أحمد» يده ليساعدني على اجتياز ساقية صغيرة ثم لعلع صوت «عبد الرحيم» ينادي على «مارك» :

ـ سأخبر صديقتك .

فضحكت فتاة الحمّام الشمسي ورمى «مارك» الكرة إلى الأطفال وعاد لينضم إلى المجموعة منقضاً على «عبد الرحيم» وصارخاً به :

ـ اتركني بحالي ؟

واكتملت المجموعة . وأصبح لزاماً علينا أن نكلّم بعضنا بالصياح وحركات الأيدي لاشتداد ضجيج الموسيقى الذي كان ينطلق من الميكروفونات ليغطي على كل الأصوات الأخرى .

صاحت «پام» :

ـ إنها پول مكارتني وستيف وندر .

فقال مارك :

ـ العاج والأبنوس . إنها الرقم واحد لهذا الأسبوع .

ثم أضاف مستطرداً :

ـ اللعنة عليهم .. إن الصوت عال أكثر مما ينبغي .



ثم أخذ بطاقته من بائعة التذاكر الشابة وهو يترنم مع الأغنية :

ـ نتعلم أن نعيش .

عندما نتعلم أن نمنح بعضنا البعض ما نحتاجه للبقاء .. والعيش سوية .

ثم التحق بـ«عبد الرحيم» وراح يعزف بأصابعه على بيانو وهمي وهو يستحث «عبد الرحيم» للانضمام إليه في الغناء :

ـ «العاج والأبنوس
متجاوران في أصابع
البيانو
في انسجام كامل
فلماذا لا يكون
الناس هكذا» .

فسرت عدوى الغناء من مارك إلى عبد الرحيم ثم إلى مينة وپام وعمر وأحمد وناصر وعماد وإبراهيم .. وسرت خلف الجميع أجرجر حقيبتي وأبحث بعيني عن مصطبة بعيدة وأنا أطلب منهم أن يكفوا عن الغناء وينتبهوا إليّ . وأشرت لهم بيدي إلى مقعد منزو بين الأشجار ثم لوحت لهم بالأمنيات لقضاء وقت ممتع . وأوشكت على الانعطاف باتجاه أجمة الأشجار ، فاستوقفني صوت «عبد الرحيم» يسأل :

ـ أتسمحين يا مسز روبنسون أن نركب دولاب الهواء ؟

فابتسمت له بالإيجاب وقبل أن أقول له شيئاً أخذت صيحات الثمانية تتعالى من كل الجهات مثل صرخة الاستنجاد من الحريق :

ـ لا . سنركب دودة القز أولا .

ـ وأنا أريد أن أركب سيارات التصادم .

ـ الصحن الطائر .

ـ بل سنتفرج على عروض الدولفين في البداية .

ـ السلوت مشين .. أريد أن ألعب بالفلوس !

وانسحبت من الحلقة تاركة «مارك» في وسطها يحاول أن يجد لستة فتيان وفتاتين حلاً يوفق بين رغبات ثمان كيما يسير الجميع ضمن فريق واحد لا يتبعثر .

وابتعدت عني صيحاتهم وخفت صوت الأغنية واستويت على المقعد الخشبي تحت شجرة كثيفة الأغصان ووضعت الحقيبة بجانبي فرأيت «مارك» وقد قادهم إلى دولاب الهواء . أخرجت كرات خيوط النسج وسلكي الحياكة .. وقطرات الشمس الذائبة تسري في الأجساد وتلتمع على صفحات أوراق الأشجار

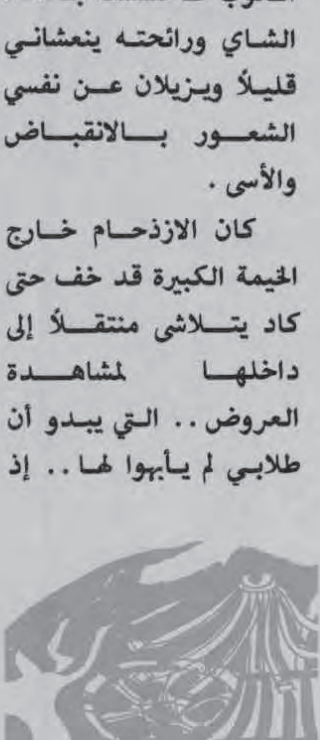
وقضبان المكائن المعدنية . وكنت أرفع وجهي بين الحين والآخر لألوّح للعربات الصاعدة إلى قمة الدولاب قبل أن تنزلق إلى قعره وتختفي عن الأنظار .. ثم كففت يدي عن الحياكة ويممت وجهي شطر العربات المتلاحقة التي ما كف طلابي وهم في داخلها عن التلويح لي أثناء صعودهم ونزولهم في كل دورة يدورها الدولاب .. توقفت عربات فارغة في الأعالي .. فانحنيت على خيوطي وانهمكت في الحياكة .. ثم غاض نور الشمس شيئاً فشيئاً حتى اختفى وحل محله ظل بارد لغيمة كبيرة داكنة .. سمعت صوت عبد الرحيم يقترب متقدماً المجموعة وهو يقول :

– أنأكل الآن ؟

فجره «مارك» من يده باتجاه مكائن اللعب بالنقود ورأيت مينة وأحمد منفردان بماكنة لوحدهما ، بينما توزع الآخرون على المكائن الأخرى .

وهبت نسمة باردة مفاجئة ، فجاء «أحمد» ليأخذ معطف «مينة» من فوق المصطبة ورأيته يساعدها في ارتدائه وهو لا يحول نظره عن وجهها .. ثم سرعان ما اتجه الجميع إلى سيارات التصادم .. وتقافزوا كالكناغر الصغيرة بين العربات إلا «مينة» و«أحمد» فقد ظلا لوحدهما يراقبان الآخرين من خلف حاجز الأسلاك .. وطال مكوث الغيمة أمام الشمس وأصبح لها رائحة تنتشر في الجو وتبعث على الانقباض والخيبة فوضعت نظارتي الطبية جانباً وارتديت معطفي المطري وأخرجت «ترموس» الشاي وصببت لنفسي قليلاً منه في الكوب فأحسست بدفء الشاي ورائحته ينعشاني قليلاً ويزيلان عن نفسي الشعور بالانقباض والأسى .

كان الازدحام خارج الخيمة الكبيرة قد خف حتى كاد يتلاشى منتقلاً إلى داخلها لمشاهدة العروض .. التي يبدو أن طلابي لم يأبهوا لها .. إذ ظلوا يتنقلون بين أجهزة اللعب الفارغة إلا منهم وقلة من الأطفال .. فتحت حقيبة الطعام فانتشرت رائحة الطماطم ولحم البقر الملفوف بالخبز .. وأخرجت الأطباق الورقية ورأيت «مارك» جالساً في صدر دودة القز والثمانية من خلفه يرتفعون ويهبطون وقد تولى «عبد الرحيم» مهمة الصياح والتنبيه إلى أطباق الطعام التي كنت أعدها لهم .. ثم سرعان ما اقتربت أصواتهم وغطت على خشخشة الورق اليابس المتكسر تحت أقدامهم .



قلت لهم :

– لنسرع .. يبدو أنها ستمطر .

قال «أحمد» :

– يا لهذا الجو !

ثم التف الثمانية ومعهم «مارك» حولي .. بعضهم افترش الأرض والبعض الآخر جلس على المصطبة و«مينة» و«پام» بقربي تساعداني في توزيع الطعام .. وجاءتنا أصوات كلاب الماء من بعيد وهي تنبح داخل خيمة العروض الكبيرة .. ثم انطلق الميكروفون بأغنية أخرى لبربارة سترايسند .. وملأ «أحمد» قدح الشاي الورقي وأعطاه لـ«مينة» فغمز «مارك» عبد الرحيم وأستند بظهره إلى جذع الشجرة وهو يردد كلمات عن الحب قرأها في الكتب أو ارتجلها لتوه .

وانتشر طلابي على الحشائش بين مستلق وجالس ونائم ، وسطع نور الشمس فجأة .. فتململت الأجساد ودب فيها الانتعاش .. وانتشرت في الجو رائحة الشمس ، وسرى دفؤها كالسحر في الأجساد الفتية والعجوز على حد سواء .. وتدحرجت كرة على الأرض فلاحقتها العيون الناعسة بتلذذ .. ثم سرعان ما اعتدلت الأجساد المسترخية ، وتكومت بالقرب مني الأقداح والأطباق الفارغة .. وترددت كلمات مرحة بعضها بالإنجليزية والأخرى بالعربية .. واقترح «مارك» على الطلاب أن يشاركوا الصبيان لعبهم .. وكان الضوء يزداد بريقاً مع تشتت الغيوم .. وتلاشى اقتراح «مارك» أمام المتعة الخفية التي غاصت في النفوس .. متعة النظر إلى الأشياء والإنصات إلى لغتها المرئية .. ودارت الكرة المطاطية وتوقفت .. وطارت وحطت .. ونزلت وصعدت .. وخلفها تسير عيون طلابي الثمانية وهم منتشرون من حولي على أرض الساحة المعشوشبة .

بقلم : راشد علي عيسى

توهجات متسول عربي



رمى بالكتاب بعيداً .. وكأنه يقذف بشيء مهترئ في سلة المهملات .. اتكأ على وسادة رثة محشوّة بهموم ثلاثين عاماً وبأنواع متفرقة من الحشرات الصغيرة الحميمة إلى قلبه فلطالما آنسته بلدغاتها فسهر ليله يحك ويقصع ...

قال بصوت خشن مرتفع تساقطت على إثره قشور أسمنتية رقيقة من الجدار الرطب : كاد المعلم أن يكون رسولا .. لا .. لا .. لا .. كذب .. افتراء .. زيف .

أشعل السيجارة الأخيرة وأقسم ألا يخرجها من فمه إلا بعد أن يختنق بدخانها ويموت .

خربشاته على الجدار تعني أن لا جدوى من العيش طويلاً وربما كانت ظلمة القبر أرحم من ظلمة الحياة .

وراح يطرح أسئلة بلا أجوبة ، وأجوبة بلا أسئلة .. هل إذا مت يقبلني الموت؟ وهل سأقدر على دفع تكاليف الكفن والجنازة؟

لماذا أتعب رأسي بأفكار كهذه؟

البلدية ستتكفل بتكفيني فلقد سمعت أنه إذا دهس كلب في الشارع العام فإن البلدية تلتزم بإزاحته وتتقاضى رسماً على ذلك قدره نصف دينار من السائق .

فكرة رائعة .. سأتمدد في منتصف الشارع العام .. فتتقدم سيارة مسرعة نحوي فتهرسني .. !

اوه .. لا أستطيع تنفيذ

توهجات متسول عربي

ذلك .. لأن البلدية قد لا تمسك بالجاني فتطلب مني نصف دينار !!

دخان السيجارة الكثيف يكاد يخنقه .. سعل حتى كادت عروق رقبته تتقطع .. هدأ قليلاً وحلق بجسمه الضئيل بتأمل طويل وقال :

«ثلاثون عاماً وأنا أشتغل بالتدريس فلم أنل مكافأة على ذلك إلا هذه الأزمة الصدرية التي سببها غبار الطباشير . وهذا الهَوَس المجاني .. لا شيء إلا الارتماء حتى منتصف الليل بين أهرامات الدفاتر أصحح وأراجع وأتثاءب ...

إن هذا الجوع الكافر الذي يلاحقني أستطيع ردعه بالصوم ، .. والملابس اللائقة التي أحتاجها .. أكون في غنى عنها حين ألبس كيساً من الخيش فهو يشبه صوف الخروف بمفعوله الطبيعي .. حار شتاء بارد صيفاً .

لكن .. من أين أحصل على تكاليف موتي ؟

ها هو جسمي النحيل كقلم الرصاص ، يكاد يتلاشى وفي طريقه إلى الانقراض .. وأهميتي في مجتمعي تافهة كممحاة .. أحمد الله ألف مرة لأنني لم أتزوج » ..

انتزع عقب السيجارة من فمه ودسَّه في جيب قميصه .. ثم صرخ ضاحكاً : سأموت غداً .. سأموت غداً .. وأسرع إلى ورقة كبيرة وكتب فيها :

(ثلاثون عاماً ..

ورأسي يعشش في غرفة الصفِّ يزحف بين كراسي التعبْ .

ويلبس قبعة الواعظين ويدخل معركة المجد بسيف خشبْ .

يفتش عن لقمة العيش بين غبار الطباشير .. وبين رفوف الكتبْ .

عجيبٌ .. عَجَبْ .

ثلاثون عاماً .. تزوجت فيهن كلَّ بنات الحقيقة حتى تهدَّل مني صهيلُ الشباب فلم أرتزق من صهيلي سوى حزمة من حطبْ .

ثلاثون عاماً ..

أسائل فيها كتاب حياتي .. لماذا تموت المعاني الجميلات وتذبل في دفتيه قطوف العنبْ ؟!



إذا رجعت مت من الجوع ويقتلني العطش الصعب وغيري يحمم رجليه ماء الذهبْ .

فلست أريد من القوم إلا قليلاً من المال أشتري به كفني المرتقبْ) .

ومشى إلى شارع عام مزدحم وأخرج الورقة وثبتها أمامه بشكل يتمكن فيه الماشي من قراءتها .. ويستطيع حتى المتسول أن يتصدق عليه .. جلس .. وقطّر في عينيه قطرتين من الزيت .. وراح يقصع كل قملة تحاول المرور على زنده أو ساقه أو رقبته .. إحدى القملات كانت تغرز خرطومها بإصرار لامتصاص مزيد من الدم ، فقال لها وهو يربت على ظهرها : حتى أنت أيتها الوقحة !! أرجوك .. اتركي دمي .. فإني سوف أذهب غداً إلى بنك الدم وأبيع (كيلوغراماً واحداً) فأحصل على ثمن كفني . حزنت القملة فذهبت إلى سبيلها .

ربع ابتسامة ارتسمت على شفتيه المتشققتين وهو يحدق ببريق القروش المتجمعة على منديله المتسخ .. فقال في نفسه : ليتني أحترفت التسول منذ زمن .. آه يا زمن .

أعداد من الناس تجمعت حوله كدائرة مغلقة .. أحدهم التقط صورة تذكارية له .. طفل همس لأبيه : يبدو أنه مدرس يا أبي !

قال الأب : إن هذا المظهر المشوه يا بني لا يكون إلا لشاعر مسحوق أو مدرس محبط ..

كان زامور سيارة البلدية صاخباً وشديداً تفرق معه المتفرجون بسرعة كبيرة .

نزل من السيارة رجلان جلفان وحملا المتسول وقذفا به في صحن السيارة الخلفي .. فتسربت بضعة قروش إلى الأرض .. فسمع المتسول رنينها .. حاول أن يقفز عدة مرات لالتقاطها .. فنجح أخيراً في قفزة مرتبكة أوقعته تحت عجلات سيارة قادمة من الخلف ..

نزل سائق السيارة المتسببة في الحادث ونزل رجال البلدية ..

رجلا البلدية تقدما من سائق السيارة وقالا له : نصف دينار من فضلك ـ رسوم البلدية ـ لإزاحة هذا الـ ...

نظر سائق السيارة إلى الجثة الممزقة فرأى ابتسامة عريضة على وجهها فتمتم : يبدو أن المتسول قد حقق حلماً فابتسم .

قصة قصيرة

بقلم: أحمد الشيخ

عناوين الأصدقاء

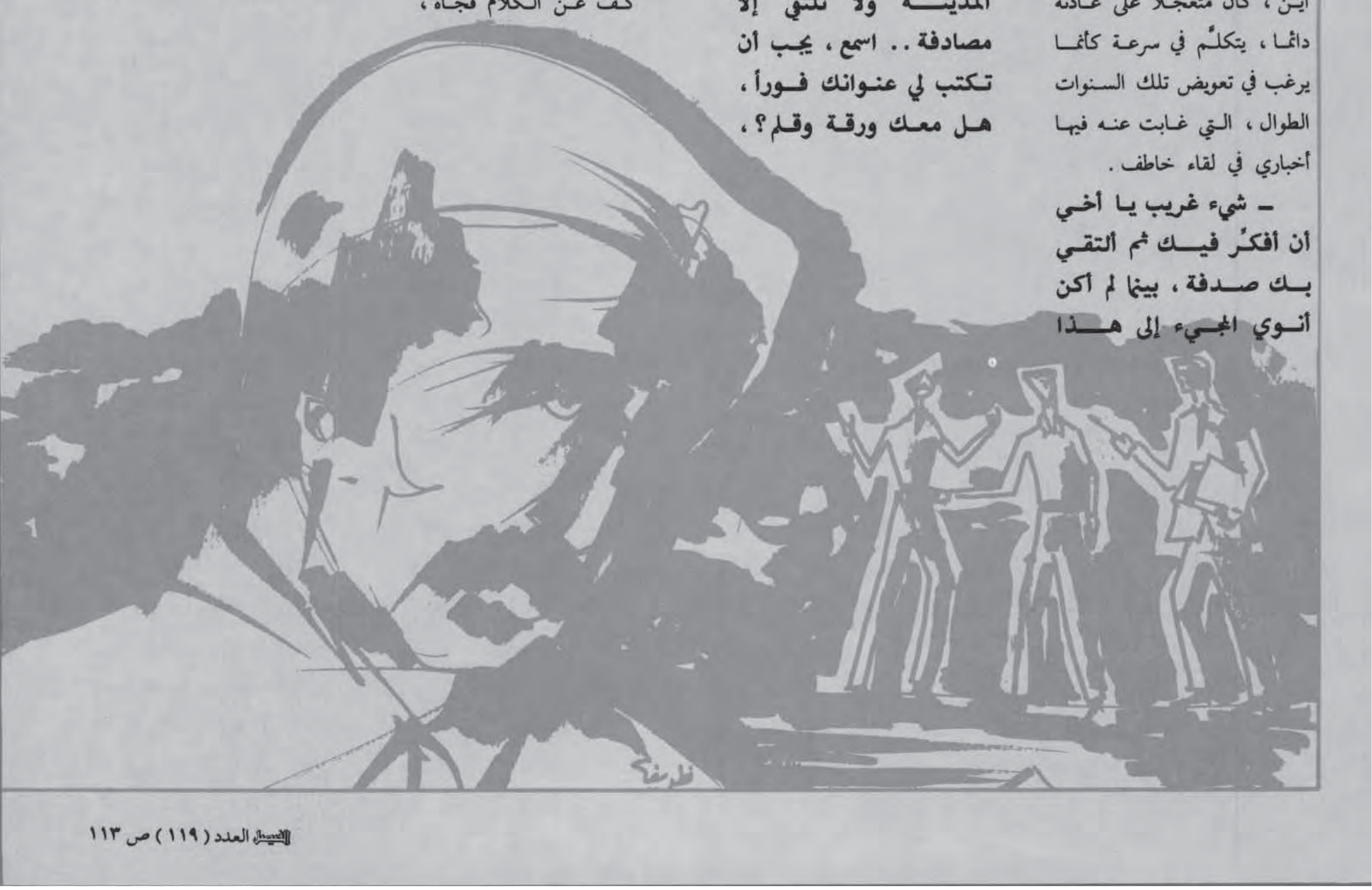
قابلني في ميدان التحرير، فارتسمت على ملامحه علامات الفرح، فتح ذراعيه على اتساعهما، واحتواني في أحضانه، وجعل يقبّلني في اشتياق، فبادلته القبلات. سألني عن أخبار البلد، وأحوالي، ومزاجي، وصحة المعارف والأصدقاء، متدفقاً بالأسئلة على عادته.. أقسم لي بأنه كان يفكّر في زيارتي منذ أيام، وأنه بحث عن عنواني الذي كان يحتفظ به لا يدري أين، كان متعجّلاً على عادته دائما، يتكلّم في سرعة كأنما يرغب في تعويض تلك السنوات الطوال، التي غابت عنه فيها أخباري في لقاء خاطف.

- شيء غريب يا أخي أن أفكّر فيك ثم ألتقي بك صدفة، بينما لم أكن أنوي المجيء إلى هذا الميدان، ظروف غامضة غيّرت مساري.. فوجدتني أمامك وجهاً لوجه، بل إن طيفك مرّ بخيالي على نحو غامض وأنا أدخل الميدان، يحدث أحياناً أن أدندن بأغنية، ثم أفتح جهاز الاستقبال بغير إرادة فأسمعها.. أسمع نفس المقطع وربما نفس الكلمات، وها أنت أمامي بعد غياب السنوات، شيء مفزع أن نعيش في نفس المدينة ولا نلتقي إلا مصادفة.. اسمع، يجب أن تكتب لي عنوانك فوراً، هل معك ورقة وقلم؟، دائما أنت هكذا، نادراً ما تحتفظ بورقة أو قلم، لا يهم، سوف أستعير قلماً من عابر يمتلك قلماً، سوف أحتفظ بعنوانك هذه المرة ولا أفقده.. من العيب أن يفقد الإنسان عناوين أصدقائه، بينما هو في حاجة ماسة إليهم، الواحد منا يحتاج إلى صديق وفي يرتاح إليه ويتواصل معه، يهون عليه لحظات الضياع والكآبة.

كفّ عن الكلام فجأة، كانت عيناه تتابعان في اهتمام بالغ حركة العابرين، يتأمل الوجوه بحثاً عن شيء لا أعرفه، انحطت عيناه على شاب يحمل مجموعة من الكتب الدراسية، وكشاكيل المحاضرات، كان الشاب يمشي في اتجاهنا بخطوات متعجّلة لكنه عندما أصبح في محاذاة صاحبي همس الأخير في رجاء:

- لو سمحت قلمك، سوف أكتب عنوان الأخ.. مجرد عنوان.

امتدت يد الشاب لتخرج



قلماً جافاً في تثاقل وبغير ترحيب ، كانت عينا صديقي تتركّزان على كشاكيل المحاضرات التي يحملها الشاب ، ربما فكّر في طلب ورقة من أوراقها ، لكنه تخوّف من احتمال الرفض ، تحسّس جيوبه في حرج ، وأخرج يديه ، تلفّت حواليه ثم زفر في ارتباك ، كان الآخر يبدو متعجلًا وعلى غير استعداد للانتظار أكثر ، كاد أن يطلب قلمه المستعار لولا أن صاحبي أسرع بإخراج علبة ثقاب من جيب سترته .. فَرَدَ غلاف علبة الثقاب ، ونظر إليَّ وهو في وضع الاستعداد للكتابة . . . أمليته عنواني في البيت والعمل ، وزوّدته برقم تليفون العمل أيضاً .. ناول الشاب قلمه الجاف ، وأومأ له شاكراً ، ثم التفت نحوي واقترح :

ـ ماذا لو جلسنا في أول مقهى يصادفنا ، نحتسي شراباً ساخناً ، ونثرثر .

ـ لا مانع ، نجلس .

لكنه نظر إلى ساعته وتراجع عن اقتراحه السابق :

ـ متأسف ، أنا في أشدّ حالات الأسف ، عندي موعد هام ، تذكرته الآن ، سوف أتصل بك على أي حال ، أنت ترى أنني مشغول دائما .. إنني أقوم بإعطاء بعض الدروس الخصوصية ، ألهث دائماً من أجل الاستمرار في الحياة مستوراً ، أنت تعرف أن الحياة قاسية على أمثالنا من الناس ، أشعر أحياناً أنني أدور في نفس المدار كثور الساقية ، وأنني لم ولن أعيش حياتي كما ينبغي .



جذبني من كوعي إلى ركن بعيد عن حركة العابرين ، نظر إلى ساعته وأفهمني أنه لا يمانع في الوقوف معي بعض الوقت ليعرف أخباري ، وقرَّر أنه عندما يراني يتذكَّر الأيام الجميلة التي كنا نسير فيها معاً ، تحسَّر على تلك الأيام التي عشناها بغير مسؤولية ، هزَّ دماغه متذكِّراً ، فتذكَّرت بدوري كيف كان يعيش بنصف مرتبه ويبعث النصف الآخر لأهله في القرية ، وكيف كان يحلم بامتلاك قميص جديد ، ويحادثني في أمسيات الخميس :

ـ سوف تمرُّ السنوات الصعبة ، وأتخرَّج في الجامعة ، وسوف أحصل بالطبع على مرتَّب أكبر من مرتبي الحالي ، وربما أتزوج يوماً مثل بقية خلق الله ، ربما ، أقول لك ربما . . . الفقر يا صاحبي يقتل الأحلام ، ويجعلها ضيقة ومحدودة .

كنت أهوِّن عليه بالكلمات ، وأزيِّن له الحياة القاسية التي كنا نعيشها ، مدعياً أن لها طعماً وقيمة ، وأبيِّن له في نفس الوقت كراهيتي للحياة السهلة الميسرة ، التي لا يكابد فيها المرء عناء لقمة العيش ، وكثيراً ما كان يصدق أو يتظاهر بالتصديق ، وينهمك في قراءة الكتب المقرَّرة وغير المقرَّرة ، وكما قال هو : مرَّت السنوات ، وتخرَّج في الجامعة بعد عناء ، غير أن أحواله كانت تتغيَّر في بطء ، بطء ممل ، كان الوهج الذي امتلكه يوماً يخبو ويخبو ويوشك على الانطفاء ، والحماس الذي يميِّزه يفتر ويذبل ، ربما من كثرة الشقاء والجري وراء سراب ، والدوران في نفس المدار كثور الساقية ، بحسب ما كان يصف نفسه ، في ساعات الكدر والملالة .

ـ في الشغل لا يسمحون لنا بترك المكاتب قبل مواعيد الانصراف ، الأخطر أن مديرنا لا يسمح بمقابلة الضيوف أو حتى قراءة الصحف اليومية في المكاتب ، لكنني أحتمل من أجل الأولاد ، هيه ، أيام ، هل أنت مشغول بشيء ، هل عطَّلتك عن موعد ؟ .

كذلك عاود الحديث بانفعال مرتبك فأجبته في حياء :

ـ أبداً ، لقد كنت أتجوَّل بلا هدف .

هزَّ دماغه مطمئناً ، كان يبدو عصبياً منفعلًا ، ويده القابضة على غلاف علبة الثقاب تضغط بالأنامل في عنف ، يوشك أن يفري الغلاف ، فكَّرت أن أطلب منه أن يضع العنوان في جيبه حتى لا يفقده ، لكنني شعرت بالخجل من طرح مثل هذا الطلب ، بينما هو منهمك في الحديث عن أخص خصائصه وأعماق مشاعره ، كانت أنامله تضغط على غلاف علبة الثقاب بينما يحكي ، زفر في شبه ارتياح ناتج عن إفراغ ما كان يعتمل في أعماقه من هموم وربما يأساً من جدوى الكلام والتشكي ، ثم همس بينما كان يمد يده اليمنى مسلِّماً ، وهو يهز رأسه إلى أعلى وأسفل :

ـ هيه ، وجعت دماغك ، سوف أتصل بك في أقرب فرصة ممكنة ، وربما أقوم بزيارتك في بيتك .

سلَّمتُ عليه فأشار ملوِّحاً بيده الخالية مودعاً قبل أن يلتفت ويمضي في عكس الاتجاه الذي كنت أتوقعه ، كانت نظراتي تتركَّز على أنامله القابضة على غلاف علبة الثقاب ، خُيِّلَ إليَّ أن نتفاً دقيقة من ورق الغلاف كانت تتناثر في تتابع على أرضية الميدان ، وأن ما تبقَّى من غلاف علبة الثقاب سقط من بين أنامله سهواً عند المنحنى حيث المنحرف .

لماذا لا أكون فيلسوفاً.. ؟

للكاتب الأميركي : روبرت لند[1]

نقله إلى العربية : د محمد سليمان السُّدَيس

ـ أقرأت شيئاً لإبكتتس في الأيام الأخيرة ؟

ـ لا لم أقرأ له في هذه الأيام شيئاً .

ـ أهو كذلك ؟ إنه ليَجْمُل بك أن تقرأ ما كتبه ، فـ (تومي) يقرأه حالياً للمرة الأولى ، وقد هيمن على إعجابه .

تسلَّلَتْ إلى سامعتيَّ المرهفتيَّ السمع هذه القطعة المقتضبة من الحوار من المنضدة المجاورة في ردهة نُزل ، فانتابني هاجس بأني من هذه اللحظة أمسيت ذا شغفٍ بالشأن ، لأني لم أقرأ أي شيء لإبكتتس مع أني غالباً ما ألقيت نظرة عجلى على آثاره المصفوفة في الرفّ ، بل لعلي حتى استشهدت ببعض أقواله فيما سبق أن كتبت .

وتساءلت عما إذا كان هذا هو أخيراً ، كتابَ الحكمةِ الذي ما فتئتُ ألتمسُه بين الحين والحين منذ كنت تلميذاً في المدرسة .

إنـي لم أفقد اقتناعي المبكر بأن الحكمة كامنة في موضع ما من كتاب ما لِتُلْتَقط بيسر كما تلتقطُ صَدَفَةٌ مطروحة على الرمال .

أعشق الحكمة عشقاً لا يدانيه سوى عشق سليمان (عليه السلام) لها . لكنها يجب أن تحاز بأدنى قدر من المحاولة . حكمةٌ تكاد تجوز الإصابة بها بالعدوى ، فلا وقت لديّ ولا نشاط للبحث المجهد عن الفلسفة . إني لأوَدّ أن يأخذ الفلاسفة على عاتقهم ذلك الطلب الشاق المنهك للقوى ، ثم ، إذا فرغوا ، يطعمونني ثمار جهودهم تماماً كما أحصل على البيض من الفلاح ، والتفاح من البستاني ، والأدوية من الصيدلي . فهل أتوقع أن يمدَّني الفيلسوف بالحكمة لقاء (دراهم معدودة) ؟

من أجل ذلك قرأت مرةً إنتاج **إمرسُن** ، وقرأت مرة أخرى إنتاج **ماركوس اوريلوس** . كنت أعلل النفس بأملي أن تجعلني قراءة آثارهما حكيماً . لكني لم أضْح حكيماً ! . كنت متفقاً معهما في أفكارهما أثناء قراءتي لها ، لكن ما إن أُنْهي القراءة حتى أُلفيني الإنسانَ الذي كنتُهُ من قبلُ نفسَه ، لم أتغير في قليل أو كثير ، إنساناً عاجزاً عن التركيز على الأمور التي نصحاني بالتركيز عليها ، عاجزاً عن ألا أكون غير آبهٍ بالأشياءِ التي حثّاني على ألا أكون غير آبهٍ بها .

ومع ذلك ، فلم أفقد قَطُّ إيماني بالكتاب . إني لعلى ثقةٍ صلدةٍ أنه في مكانٍ ما ثمةَ شيءٌ مطبوع سأتمكن من أن أمتص منه الفلسفة وقوة الشخصية ، وأنا أنفث الدخان في أريكةٍ وثيرة .

كان ذلك مزاجي لما شرعت في التفكير بإبكتتس بعد سماعي المحادثة في بهو النُّزل .

أعترف أني قرأت آثارهُ بقدر كبير من الاستثارة . فهو نوع من الفلاسفة يحظى بإعجابي لأنه لا يعامل الحياة على أنها ، ـ إذا حسنت ـ جَدَلٌ يدار بلغةٍ مستغلقةٍ على الفهم ، لكنه يناقش ، من بين

لماذا لا أكون فيلسوفاً ؟

مسائل أخرى ، ما الذي يحسن أن يسير عليه الناس في شؤون الحياة العادية .

وافقت على كل ، أو جل ، ما قالهُ : عدم المبالاة بالألم والموت والعَوَز . نعم . هذا شيء حَسَنٌ بيِّن الحُسْن ، ألا يقلقك أي أمر لا حيلة لك في الهيمنة عليه وتوجيهه الوجهة التي تشاء ، سواء أكان ذلك الأمرُ قهرَ الطغاة أم رعبَ الزلازل !

وحول ضرورة ذلك ، أيضاً كنت وإبكتتس كرجل واحد !

ومع ذلك ، وعلى الرغم من قوة الشَّبَه بين نظرتينا ، لم يَسَعْني إلا أن أستشعر أثناء قراءتي أن إبكتِتَس كان حكيماً في تمسكه بآرائه ، وأني برغم تمسكي بالآراء عينها ، بعيدٌ عن الحكمة بُعْدَ العَيُّوق عن الثريّا ، لأنه في الحقيقة ، مع إيماني بتلك الآراءِ لغاياتٍ نظريةٍ ، لا قبَل لي بتطبيقها تطبيقاً عملياً لحظة واحدة !

إني لأرى في الموت والألم والعَوَز شروراً حقيقية جداً إلا إذا كنت مسترخياً على تلك الأريكة الوثيرة أتصفح كتاباً ألّفه فيلسوف ! . ولو زُلزلَت الأرضُ وأنا أطالع كتاب فلسفةٍ لَنَسيت الكتاب ، ولانْحَصَرَ تفكيري في الزلزال وحده دون سواه ، وفي الوسيلة التي تيسر لي تفادي الحيطان المنهارة والمداخن المتهاوية ! . هذا مع أني أكثر الناس إعجاباً **بسقراط وبْلينيوس** ومن لَفَّ لَفَّهما .

ومع أني قوي بصفتي **(فيلسوف أريكةٍ وثيرة)** فإني أحسّ أن روحي المعنوية وجسدي كليهما واهنان عندما تنتابني نائبة . وحتى في شؤون الحياة الصغرى لا تقوى نفسي أن تتقبل قبولا حسناً كوني فيلسوفاً من مدرسة إبكتتس . وهكذا حين يسدى لنا ، مثلاً ، النُصح بأن (نتغذّى حَسْبما تقبله الطبيعة) ، ويطلب منا ، من أجل هذه الغاية ، أن نتجمل بالصبر وضبط النفس عندما نجابه بأشد الخِدمات قصوراً عند الجلوس لتناول وجبات غذائنا . إنه ليطلب موقفاً روحياً لا قِبَلَ لطبيعتي التي جُبلتُ عليها به ، ويكلفني من أمري شططاً .

يقول : « إذا طلبت ماءً حارًّا فلم يفطن العَبْد لطِلبَتِك ، أو إن فطن لها لكنه جاءك بماءٍ فاتر ، أو حتى إن لم تلفه في المنزل فاجذب عِنان غيظك ، واكبح جماح ضجرك ، ولا تنفجر ! ألم يكن ذلك حسبما تقبله الطبيعة ؟ ألا تتذكر من تحكمهم ؟ وأنهم عشيرتك ، وأنهم إخوة لك ؟ » .

إن ذلك بحذافيره حق كل الحق ، وصدق كل الصدق ، فيا ليتني كنت امرءً ذا مقدرة على القعود الساكن في مطعم وعلى شفتيه تشرق بسمة ، وهو مستعصم بالصبر ، لائذ بحمى الفلسفة ، مُتحل بها ، والنادل يأتيه بكل ما لم يطلبه ، ولا يأتيه بأي شيء طلبه ، أو لا يأتيه بأي شيء البتة .

لكن الصحيح أن الخدمة الرديئة في أماكن التغذي تغيظني ! إني أمقت أن أضطر لطلب المشروبات مرات ثلاثاً ، وأستاء أيما استياء إذا بُلغت بعد استئناء ربع ساعة بأن ليس هنالك (كرفس) .

صحيح أني لا أعمد إلى الضجيج والجلبة أو العنف في مثل تلك الملابسات ، فما أوتيته من جرأة غير كاف لأن أصنع ذلك . أنا مقتصد في العتاب الحاد اقتصاد فيلسوف ، لكني إخال الروح المتجهمة في باطني لا بد أن ستبرز نفسها على أساريري . إنه لا يدور بخلدي إطلاقاً أن أقول لنفسي : إن هذا النادل قريب لي ! إنه أخي . وبالإضافة إلى ذلك ، فحتى وإن كان كذلك ، فلمَ يؤدي (أخي) الخدمة تأدية على هذا النحو من السوء ؟

لا ريب أن إبكتتس لم يطعم في مطعم قط ! ثم إن صبره قد يخدمه حتى في ذلك المكان . إذا كان الأمر كذلك ، فيا للبون الشاسع بيني وبينه ! . وإذا لم أقو على تحمل التجمل بهدوئه ورباطة جأشه في مثل هذه الشؤون الصغرى ، كما أسلفت القول ، فأي أمل بقي لي في أن أتمكن من أن أمثل دور الفيلسوف في حضرة الطغاة والزلازل ؟!

وكرة أخرى ، حين عبر إبكتتس عن آرائه **بخصوص الممتلكات المادية** ، وأوصانا بألا نأبه بها ، ولا نعترض على سرقتها ، فإني موافق نظرياً على ما ارتآه ، ومع ذلك أعلم علماً غير مشوب بريبٍ أن لا طاقة لي بطاعته عند العمل !

لا شيء مؤكداً أكثر من أن الذي تتوقف سعادته على ماله امرؤ غير سعيد ، لكنني أيضاً متيقن تيقناً لا مِرْية فيه أن العاقل قد يكون سعيداً بالنزر اليسير من المال ، لأن السعادة ينبغي أن تظل غاية الحياة كما يرى إبكتتس ، أو أرى أنا .

لكن إبكتتس ، على الأقل ، لديه مثال عال هو **ضبط النفس ،** وهو يؤكد لنا أننا سنحوز هذه الصفة إذا لم نُعر الأشياء المادية اهتماماً ، ولم نلق لها بالا ، حتى أننا لا نبالي أسرقت أم لم تُسرق .

إنه يهتف بنا : « أبطلوا الإعجاب بهندامكم ! ، ولا تصبوا جام غضبكم على من يختلس ملابسكم ! » ويواصل القول عن اللص . . . : « إنه لا يعلم أين يكمن الخير الحق للإنسان ، لكنه يخاله يكمن في ارتداء بزة زاهية . إن ظنه هذا عينه تظنونه أنتم كذلك . أفلا يأتي إذن ويفر بها ؟ » .

بلى . أفترض أن من الأنفع له منطقياً أن يصنع ذلك ، ومع هذا فلا أملك أن أستشعر هذا الإحساس في اللحظة التي أدرك فيها أن ضيفاً ما في احتفال قد امتدت يده إلى قبعتي الجديدة ، وترك قبعته السملة مكانها .

إنه لا يجديني ، ولا يهدئ من ثائرتي ، أن أردد في نفسي : « إنه لا يعلم أين يكمن الخير الحق للإنسان ، لكنه يخاله يكمن في سلب قبعتي ! » . ولن أحاول – حتى في الحلم – التسرية عن ضيف في حفل في داري بمثل هذه الفلسفة في أحوال مماثلة .

إذن فقد قبعة جديدة مسبب لضيق الصدر الشديد . إن فقد أي شيء مُسبب لضيق الصدر ، ولا سيما إذا عرف المرء أنه مأخوذ عَنْوة .

وأنا أشعر أن في إمكاني محاكاة إبكتتس لو مارست العيش في عالم لا تقع فيه أحداث . أما في دنيا تغيب فيها الأشياء إن فقداً وإن سلباً وإن نَشْلاً ، دنيا يقدَّم فيها نُدلٌ سيئو الخدمةِ وَجَبَاتٍ رديئةً في كثير من أمكنة التغذِّي ، ويقع فيها ألف من الأمور الأخرى غير المحببة ، **فلأن يصعد الإنسان العادي الهملايا حافي القدمين أهون عليه من أن يحاول أن يحيا حياة فيلسوف بصفة دائمة !** .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن غالبيتنا لا يَسَعها إلا أن ترى الفلاسفة على حق – على حق لـمَّا أعلنوا – برغم اختلافاتهم كلها – أن جُلّ ما نحفل به من أشياء غير خليق باحتفالنا .

الحقُّ أن الناس جميعاً متفقون على أن رجالا كسقراط وإبكتتس كانوا مُصيبينَ كبَدَ الحقيقة بعدم احتفالهم بالأمور المظهرية . حتى أولئك الذين يدنو دخلهم في العام من ١٠,٠٠٠ جنيه ، ويبذلون قصارى جهودهم لحيازة المزيد من المال يقرُّون بذلك . ومع هذا ، وأثناء الإقرار به ، سينتاب معظمَنا الهَمُّ لو شرع أحد أحبُّ صحابنا إلينا في تطبيق فلسفة إبكتتس بحذافيرها .

إنَّا لننظر إلى ما نَعُده حكمةً لدى إبكتِتَس على أنه جنون إذا كان لدى أحد من نعرفهم ، أو لعل الأصح ليس لدى أحد من نعرفهم بل لدى أحد أقاربنا الأدنَيْن .

لا تساورني ريبة في أن لو أضحيت كإبكتتس في عدم احتفاله بالمال والراحة والأشياء السطحية قاطبةً ، ولو مارَسْتَ كما يماري باسماً ابتساماً جَذِلا عند ذكر الممتلكات واللصوص ، لاعْتَرَى ذوي قرباي غَمٌ أكثر مما لو أمسيت مؤسسَ شركةٍ ناجحاً لديه من الفلسفة المادية أوفرُ نصيب قادرٌ الفكر على إدراكه .

لِتفكرْ ، مثلاً ، بالمنحى الجدلي الذي نحاه إبكتتس في حديثه عن اللص الذي سلبه قنديله الحديدي :

« إنه ابتاع قنديلاً بثمن باهظ ، لقد صار لصًّا من أجل قنديل ! لقد صار خائناً من أجل قنديل ! لقد صار بهيميًّا من أجل قنديل ! هذا ما بدا له مُرْبِحاً ! » .

إنّ هذا التعليل مصيب . ومع ذا فإننا أفراداً وهيئات اجتماعية لا نزاول في حياتنا هذا الازدراء للمال الذي بُني عليه . نعم ثمة نَفَرٌ قِلَّةٌ يصنعون ذلك ، لكن حتى أولئك يسببون ، في بادئ الأمر ، لأصحابهم ضيقاً وبَرَماً عظيماً .

حين تكون الدنيا عادة مُبهجة ومريحة ، فإنا نَسْتَمسكُ بالرأي الموحي بالتناقض والقائل إن **(الفلاسفة رجال حكماء ، لكنا ، إن حاكيناهم ، مجانين)** .

نحن على ثقةٍ أنه ، مع أن أفكار الفلاسفة قمنة بأن تقرأ ، فإن الماديات أيضاً قمنة بالاحتفال بها .

يبدو وكأننا نجد متعةً في الحكمة إذا كانت (مَشْهَداً) . . . مشهداً سارًّا على خشبة مسرح لا يليق بالنَّظّارة محاولة انتهاك حرمته .

أخُلِقَ الإغريق والرومان من طينة أخرى ؟ . أحاول المعجبون بسقراط وإبكتتس حقًّا أن يصبحوا فلاسفة ، أم كانوا مثلنا آملين في نيل الحكمة لا بالممارسة بل بجرعةٍ سحريةٍ يقدمها لهم إنسانٌ أغزرُ منهم حكمة ؟ . . أن يصبحوا فلاسفةً بلا محاولةٍ . . بالاستماع إلى صوتٍ . . بقراءة كتاب . .

إنه أعظم الأحلام إثارةً وأكثرُها إرضاءً في آنٍ واحد . في مثل هذا الحلم تعلقتُ بإبكتتس ، ولتلاحظ أنه ما كان سوى حلم .

★ ★ ★

من كتاب :

A Book of English Essays Edited by W. E. Williams, Harmonds Worth, Middelsex, England, 1951 .



★ أمين الريحاني باللباس العربي ★



★ أمين الريحاني ★

أمين الريحاني.. فيلسوف الفريكة

بقلم : عدنان الداعوق

قبل خمس وثلاثين سنة كتب الشاعر المهجري (شفيق المعلوف) مقالا صغيراً في مجلة (العصبة) التي كانت تصدرها رابطة (العصبة الأندلسية) في البرازيل، بعنوان «ذكريات خاطفة» عن الأديب والمفكر والفيلسوف المبدع (أمين الريحاني)، فقال:

«أطلّ الأمين على دمشق من قطار الحجاز.. طلعة سمراء جذابة.. إطارها كوفية مشدودة بعقال مجدول تصفق بهدابها عباءة تتملأ من ريح الغوطتين، بعد أن تملأت من ريح اليمن والحجاز ونجد، وكان شعر لحيته عالقاً بعذاريه يكبح ما جمح من نظراته الحادة، ويخفي ما تقرته العيون في وجهه من ملامح.

«وبعد انفراط السنين، جمعتنا سماء لبنان بعد أن رُذنا الآفاق في غربة طالت بي أكثر مما طالت به، فقلت لنفسي: أزوره في وادي «الفريكة»، فوصلناه فور الغروب. وإذ نحن في قلب منزل على جرف منحدر، واسع الداخل، محاط بالأشجار.. وكان الظلام يهم بالهبوط، فرحت أصوّب بصري وأصعّده في الوادي الهادئ والجبال الساكنة الموحشة، مستشرفاً من وراء المنظر الساحر الأفق الحالي بأثر من بقايا الشفق.

« وإذا شيخ يتقدم محاذياً الأفق ، وكأنه يسير في الفضاء ، فما سمعت في السكينة وطء لخطواته ، ولا تبينت في العتمة موطئاً لقدميه .

« هذا هو الريحاني أمين ، صبيح الوجه . . فقعدنا ، وكان لنا سمر خافت ، وراحت أجراس العشية ترافق الأعزوفة التي كادت تكون خرساء ، وكان صرير جنادب وحفيف أوراق ، ولهث أنسام وخرير مياه بعيد مكبوت . . وكأن الخادم حامل القهوة لحن من تلك المعزوفة ، فقد برز لنا فجأة ولا نعلم من أين ، يقتلع قدميه من جوف الأرض . فما أبرع الريحاني في فنه ، فكأني به سخّر كل ما في جوّه من هدوء ، وما في طبيعة واديه من فتون ، ليجعل من كلها ، ومن الذين حوله أعزوفة متناسقة التلحين منسجمة التوقيع ، مسحتْ نغماتها عن لوح الذاكرة كل ما سمعناه في تلك العشية من سمر عجيب ، وأبقت على ما تجاوب منها في نفوسنا من أصداء . . . » .

حياة ومعاناة

تلك هي بعض الملامح الفنية لشخصية فيلسوف (الفريكة) « أمين الريحاني » ، وحسبنا الكفاية من قلم الشاعر (**شفيق المعلوف**) ، فلا أبلغ ولا أدق . . لكننا إن أردنا أن نتعرف على شخصية الفيلسوف الفكرية ، نتذكر أنه ولد في قرية (**الفريكة**) **بلبنان** ، عام ١٨٧٦ م ، وتلقى تعليمه الأول تحت السنديانة العتيقة في ساحة قريته ، ثم على يدي معلّم

★ جبران خليل جبران ★





★ شفيق المعلوف ★

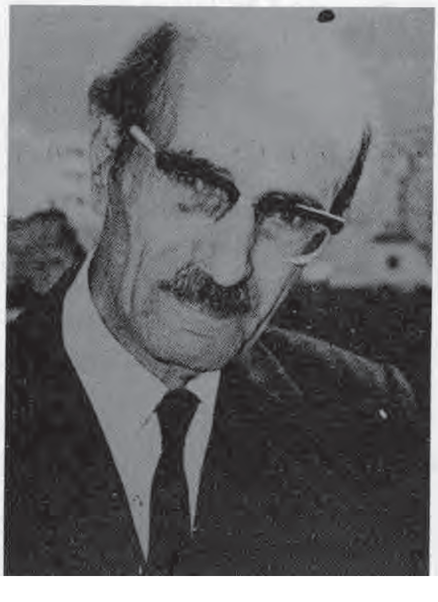
ذلك الجيل الأستاذ (**نعوم مكرزل**) ، وغادر لبنان إلى **نيويورك** ، وهو في الثانية عشرة من عمره ، وراح في المهجر الأميريكي الشمالي يعمل في مخزن عمه نهاراً ، ويتعلم اللغة الإنجليزية ليلاً .

أقام (الريحاني) في مدينة نيويورك في قبو مظلم تحت مستوى شارع « واشنطن » ، تغمر غرفته الرطبة مياه الشتاء فيقضي الساعات الطوال يغرف الماء من غرفته بالدلو وينقلها إلى الشارع حتى تخور قواه ويأوي إلى فراشه وهو يرتجف برداً وتعباً .

وظل على هذه الحال أعواماً ، حتى إذا برم بهذه الحياة تمرّد على عمه وهجر مخزنه وتلك الغرفة الرطبة وألقى بنفسه في لجج المجهول .

وها هو ذا ابن السابعة عشرة من عمره يشترك مع فرقة تمثيلية جوابة ومتجولة ، ينخرط ضمن أفرادها ويجوب معها أنحاء الولايات المتحدة الأميركية .

★ ميخائيل نعيمة ★



ولم يمض العام الأول حتى ملَّ هذه الحياة القاسية ، وعاد إلى مخزن عمه ليشتغل في النهار ويطالع الكتب والمعاجم والمؤلفات في الليل . . ويشتري الكتب بالقليل الذي يكسبه . فتعمق في الاطلاع على أدب الغرب ، ثم التحق بإحدى الكليات الليلية ليدرس الحقوق فيها .

بعد هذه المعاناة الطويلة عاد (أمين الريحاني) إلى **بيروت** ليرتاح سنة واحدة فقط ، وخلال هذه السنة انصرف إلى دراسة اللغة العربية دراسة متعمقة لتوازي لغته الإنجليزية .

وتركت هذه النقلة ـ بعد عشر سنوات من الاغتراب ـ تأثيراً متبايناً في نفسه ، وتفاعلت التغييرات في ذاته فكان لها الانعكاس الخطير في تكوين شخصيته الفكرية والأدبية . . وبانتهاء العام في الوطن ، رجع إلى نيويورك مرة أخرى ، رجع إليها الآن وهو أقوى مما كان فيها من قبل ، فها هي لغته العربية صارت طيّعة بين يديه وعلى لسانه ، كما الإنجليزية تماماً ، ووجد طريقه سالكة إلى الصحف والمجلات وتأليف الكتب باللغتين على حد سواء .

داعية للإصلاح

في المرحلة الثانية من عودة (أمين الريحاني) إلى المهجر ، كان قد اختط لنفسه منهجاً وأسلوباً . . وهو ألا يكون رهين مدينة أو مستقر ، وإنما الفائدة الأعم في التحرك الدائم في الولايات المتحدة أو مدن أميريكا الجنوبية أو أوروبا والبلاد العربية ، ومن خلال هذا التجوال نصّبه العرب في المهجر داعية للإصلاح ومتحدثاً باسم العرب والأحرار في كل مكان .

ولم تمض سنوات حتى كانت كتبه تنتشر في كل مكان ويقرأها القاصي والداني وهي على التوالي : تاريخ الثورة الفرنسية ، المحالفة الثلاثية ، المكاري ، زنبقة الغور ، خارج الحريم ، والريحانيات . وتبلغ في العربية أربعة وعشرون كتاباً ، وفي الإنجليزية أحد عشر كتاباً .

أمين الريحاني فيلسوف الفريكة

يعد (أمين الريحاني) أول من أيقظ الوعي بين جوالي المغتربين وفتح عيونهم على آفات المجتمع ورسم لهم سبل الإصلاح .

وكان يمتاز على معاصريه من أدباء المهجر في **فن الخطابة** ، فهو بتلك اللبدة السوداء الغزيرة على رأسه ، وتلك النبرات الأخاذة ، يعتلي المنابر أمام الجوالي فيسترعي الانتباه ويطلق الصرخات المدوية ، ويدخل في مجالات النقاش الحاد بصراحة لا تعرف المداهنة أو الموارية ، فيختلف مع (**جبران خليل جبران**) ومع (**ميخائيل نعيمة**) ويعلن أن هدرهما للطاقات الأدبية الكبيرة والغوص في الفلسفات الروحانية لا تجدي نفعاً ، بينما الأوضاع العربية في حاجة إلى الإصلاح العملي الناجز لا إلى تخدير النفوس بالأحلام والأوهام .

الوحدة العربية

كانت فكرة « الوحدة العربية » تهيمن على كل أفكار (أمين الريحاني) ومساعيه وكتاباته ، كما كانت فكرة التحرر همه وشغله الشاغل .

فلنقرأ هاهُنا مقطعاً من موضوع (**الحرية**) ولنعرف همه وأفكاره :

« رفيقتي في السفر ، هي المبتدأ في حياتي والخبر .

عرفتها في بلاد الغربة صغيراً ، وعشقتها شاباً ، ووهلت بها كهلاً ، فأمست من حياتي في منزلة ذات الحب والحكمة والحنان .

كانت أول من أشعل في طريقي مصباح الفكر ، وأوّل من هداني إلى مروج الخيال ، وأول من استغواني ، فتغلغلنا في أدغال الشك ، وخرجنا منها إلى بساتين اليقين .

هي عشيقتي المقصودة ، ورفيقتي النصوحة الودودة .

أقمنا في بلاد الغربة زمناً ، خبرنا فيه حلو الحب ومرّ الجهاد ، ثم رحلتُ والشرق منارتي وبلاد العرب أملي .

هي الحرية التي أستمد منها الحياة ، وهي الحياة التي أقفها على خدمة هذه الأمة التي لا يجمعها اليوم إلا أمل وخيال .

هي الحرية رفيقتي . . تبتسم في الحجاز ، وتبكي في اليمن ، وتئن في سورية ، وتتوجع في لبنان ، وتشكو في العراق ، وتهتف في مصر . . » .

وطنيته

كان (أمين الريحاني) ـ كما ذكرنا ـ كثير الحركة دائم التجوال ، سفير أمته العربية في كل محفل أو ندوة أو لقاء . . فجرت في أحد الأيام ـ بعيد نكبة عام ١٩٤٨ م ـ ، مناظرة في مدينة (**سان فرانسيسكو**) حول قضية فلسطين موضوعها (**لمن هي فلسطين ؟**) وكان المناظرون فيها (**الحاخام أيشتاين**) من علماء التاريخ اليهودي ، وحاكم فلسطين السابق الجنرال الإنجليزي (**ستورس**) ، و (أمين الريحاني) .

واتفق الإنجليزي مع اليهودي على أن يفتتح (الريحاني) الكلام لعلهما يجدان في كلامه مآخذ للرد عليه بينما لا تُعطى له الفرصة للرد ، وأحس (الريحاني) بالمؤامرة ، فما كان منه إلا أن فاجأهما بقوله :

« أُعطيت حق الكلام أولا على اعتبار أن الحق الأول في فلسطين هو لأمتي العربية ، وعليه فأنا أشكر المشاركين في هذه الندوة على هذا الاعتراف الصريح منهما . . ! » .

فضجَّت القاعة بالتصفيق ، وكانت الغلبة لفيلسوف « الفريكة » .

ولأمين الريحاني أقوال مأثورة شهيرة ، ومن أقواله :

● إن جنوناً في سبيل الحق والحرية لخير من الرصانة في ظل العبودية .

● أحب حياتي أن تشع ولا أحبها أن تفرقع ، أحب أن تكون كأحد الكواكب السيارة ، لا كسهم من الأسهم النارية .

● أحب في صديقي الإباء أكثر من المروءة ، وأحب فيه الألفة وإن كان فيها عنيفاً ، ولا أحب الصغارة وإن كان فيها لطيفاً .

حق لا يموت

وعلى إثر المجاعة التي حلت بلبنان أيام **الحرب العالمية الأولى** ، وقف (أمين الريحاني) على منبر أحد المحافل في نيويورك ، وألقى خطابه الشهير (**صوت وإحسان**) ودعا كل الحضور أن يصوموا يوماً واحداً ويتبرعوا بتكاليف طعام هذا اليوم إلى جياع لبنان . . أما هو فقد عمد إلى الصيام يومين كاملين ، وبعد هذين اليومين عاد إلى المنبر متحاملاً على نفسه واصفاً هول الجوع وآلامه ، وقال :

« لقد بدأت بنفسي وعملت برأيي ، لقد صمت يومين عن الأكل والشرب ودفعت قيمة ذلك إلى لجنة الإغاثة ، فعسى يجدي عملي إن ذهب قولي أدراج الرياح » .

وكتب (أمين الريحاني) مرة إلى صديقه الشاعر المهجري (**شكر الله الجرّ**) يقول :

« أنتم في المهجر تطلقون مدافعكم في الهواء ، عودوا إلى الوطن إن كنتم تحبون الوطن ، وجاهدوا مع المجاهدين ، وجوعوا مع الجائعين . . وادخلوا السجون مع المتمردين ، هنا يا أخي ساحة العمل لا في نيويورك أو سان باولو أو بونس أيرس . . . . » .

كان (أمين الريحاني) شعلة وطنية متقدة متفجرة أنارت جوانب من طريق الحرية والاستقلال والسيادة ، ورنَّت كلماته في آذان وأسماع الأقطار العربية والأميركية أربعين عاماً ، ما يزال صداها يتردد عبر الزمان . . فكيف تموت كلماته التي ختم بها حياته وهو يردد : « القوة في الحق . . والحق لا يموت أبداً » .

★ ★ ★

بروتينات بلازما الدم.. وأهميتها في التشخيص السريري

بقلم: د. سعد خالد العكيدي

تؤدي بروتينات الدم وظيفة مهمة في حالات الإصابة بالأمراض المعدية . كما أن مناعة الفرد ضد هذه الإصابات تتطلب وجود أجسام بروتينية المنشأ في مجرى الدم للعمل على تحييد العامل الناقل أو المسبب لهذه الأمراض ومن ثم عزله والقضاء عليه . لهذا تعدُّ هذه البروتينات من العوامل المؤثرة في الحفاظ على بيئة الفرد الداخلية .

استعملت كلمة **بروتين** لأول مرة في التاريخ عام ١٨٣٨ م ، حين وردت في رسالة **برزيليس** (Berzelius) إلى **مولدر** (Mulder) . إن كلمة بروتين مشتقة من الكلمة الإغريقية **بروتيوس** (Proteios) التي تعني المرتبة العليا ــ وقد وصفها برزيليس بكونها « **الجزء المهم في المادة الحية التي بدونها لا تدوم الحياة** » .

لقد اقتنع الباحثون في هذا المجال عندئذ بأن هذه المادة هي وحدة واحدة لا تتجزأ ، وبأن كل البروتينات المشتقة من الحيوان أو النبات متطابقة .

وبحلول عام ١٨٥٩ م ، تم فصل البروتين إلى صنفين رئيسين هما : **الزلال** (Albumia) **والكلوبيولين** (Globulin) اعتماداً على نوع الراسب ، حيث يترسب الكلوبيولين في محلول مشبع من كبريتات الأمونيا ، بينما يحوي الجزء الرائق المتبقي على الزلال .

يمكن تصنيف الكلوبيولين وذلك باستعمال طريقة الإحلال إلى كلوبيولينات بدائية وأنصاف كلوبيولينات ، حيث لا يذوب البروتين البدائي في المحاليل الملحية ، بينما تذوب أنصاف الكلوبيولينات في الماء ، وقد أصبح هذا التصنيف في الوقت الحاضر محض تاريخ لا غير .

تصنيف جديد

إن الطرق المعتمدة على قابلية الذوبان في المحاليل المختلفة كانت الأساس في الاستعمالات المختبرية لقياس البروتين حتى حلول عام ١٩٣٧ م ، عندما أدخل **تسيلوس** طريقة الهجرة الكهربائية (Electrophoresis) ، حيث استطاع الحصول على أربعة أجزاء رئيسية من مصل الدم التي تمت تسميتها كالتالي : **الزلال ، كلوبيولين ألفا ، كلوبيولين بيتا ، وكلوبيولين كاما** . وقد استطاعت التقنية المحسنة لهذه الطريقة من التعرف على أنواع أخرى ضمن الجزء الواحد مثل **كلوبيولين ألفا ــ ١ ، وكلوبيولين ألفا ــ ٢ ، وكلوبيولين ثيتا** .

إن تسمية تسيلوس ودرم (١٩٤٩ م) للبروتينات باستعمال الأحرف اليونانية ، وكذلك الأرقام الإغريقية قد أصبحت الأساس في الوقت الحاضر لتصنيف البروتين مع بعض الإضافات التي تختص بالوظائف الكيماوية للحياة ، وقد جذبت منطقة الكلوبيولين الممنع (الكاما ــ كلوبيولين) اهتمام المعاهد البحثية بالمقارنة مع الأجزاء الرئيسة الأخرى ، وتم الاتفاق على تسميتها في اجتماع **منظمة الصحة الدولية** عام (١٩٦٤ م) ، وذلك باستعمال تسمية رمزية من حرفين (I9) وهو رمز لكلمة (**Imnunoglobulin**) ومن ثم إضافة نوع الكلوبيولين اعتماداً على وجود السلسلة الثقيلة النوعية مثل **E, D, A, M, G** .

وظائفها

إن من أهم وظائف بروتينات البلازما التي تختص بصورة أساسية في النقل ، الربط ، الدفاع ، التخثر ، التفاعل الأنزيمي والمحافظة على الضغط الأزموزي الغروي .

إن استعمال معدلات بروتينات مصل الدم بوصفها عاملاً مساعداً في التشخيص السريري للمرض ، يتطلب معرفة المعدلات الطبيعية لهذه البروتينات ، وذلك لغرض الرجوع إليها للمقارنة . وقد تراكمت الدراسات حول هذه المعدلات في المجموعات السكانية المختلفة ، وعلى الأخص ، الأوروبية منها التي اعتبرت ، في حينها ، المرجع الوحيد لمعدلات بروتينات الدم في مختلف المجاميع السكانية . عموماً ، فإن هناك أكثر من سبب يدعو للاعتقاد بأن تلك المعدلات لا تمثل الواقع في المجتمعات السكانية الأخرى . منها : أن معظم النتائج المستحصلة من البروتينات في المجاميع السكانية تستخدم طرق تقدير مختلفة بعضها عن بعضها الآخر ، وبالتالي تقود إلى نتائج متباينة ، لأن انتشار أي جزئية تعتمد على درجة حرارتها . وتنعكس أهمية هذه الخاصية على **I9 A** الذي يتواجد في نوعين من الأوزان الجزئية .

بروتينات بلازما الدم..
وأهميتها في التشخيص السريري

أما بقية أنواع البروتينات ، فإن لها القابلية للتجمع سوية بعد فصلها وعزلها . أما طرق التأثير بالنظائر المشعة ، فبالرغم من دقتها ، فإن لها حدوداً لا تستطيع تجاوزها من حيث حساسيتها خصوصاً المعدلات الواطئة جداً ، من تراكيز البروتين . وقد تتداخل المحددات بين البروتينات المستعملة وتركيزها من جهة والبروتينات في المصل المراد فحصه أو مصل السيطرة من جهة أخرى ، حيث تؤثر في النتيجة المستحصلة .

إن من السهولة التعرف على العوامل البيئية التي تؤثر على هذه المعدلات ومنها المناعة الطويلة المدى ضد بعض الأمراض التي لا يعرف عنها إلا القليل في الوقت الحاضر ، وكذلك التأثير الآني للتغذية والحالة الاجتماعية وموطن الإقامة (إذا كان في المدينة أو الريف) . ولو أن الدلائل المستجدة بهذا الشأن لا تقيم وزناً لتأثير الحالة الاجتماعية أو لإقامة الفرد . ولكن تأثير العمر والجنس قد بدا واضحاً في دراسات أخرى من حيث علاقته مع تركيز مختلف البروتينات . ناهيك عن التأثير الوراثي ، حيث وجد أن امتلاك مجموعة سكانية لموروثة معينة قد تؤثر في إنتاج معدلات عالية من البروتينات بصورة عامة والكلوبيولينات المناعية بصورة خاصة التي تعتبر حالة مفيدة ــ خصوصاً في مناطق جغرافية معينة مثل المناطق الاستوائية ــ من حيث التأثير الوقائي .

وقد وجد أن عينة من الزنوج الأمريكان الذين يقيمون في بيئة متشابهة مع أقرانهم من البيض قد تميّزوا عنهم بارتفاع معنوي في مستوى الكلوبيولينات والبروتينات بمعدل ٢٧ ٪ من المعدل الحسابي الأساسي .

إن تقدير بروتينات الدم أو تراكيزها بكل أنواعه يعتبر غير ذي قيمة للمعالج للوصول إلى تشخيص سريري واضح ، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى أن بروتينات الدم ــ ما عدا الزلال والكلوبيولين ــ توجد في تراكيز مختلفة ومتداخلة ، وكذلك لكثرة تنوعها ، لكن هذا لا ينفي قدرة المعالج في التعرف على أنواع البروتينات الموجودة في الدم ومن ثم توظيفها في التشخيص .

إن من السهولة التعرف على وجود الزلال في مصل الدم ، ومن أهم صفاته هو سلوكه غير الاعتيادي خصوصاً في اختزال تراكيزه ، وذلك بسبب تراجع معدلات إنتاجه وتخليقه كما هو الحال في أمراض الكبد أو في أمراض نادرة مثل مرض نقص الزلال ، وفي حالات الفقدان المستمر من خلال الجلد (كما الحال في الحروق) أو من خلال البول في متلازمة التهاب الكلية أو إلى الجهاز الهضمي في بعض حالات الالتهابات المعدية ــ المعوية .

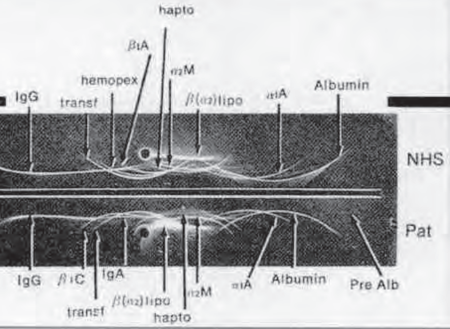
إن من البروتينات الموجودة في منطقة (ألفا ــ ١) هو **البروتين الدهني** (Lipoprotein) الذي يحوي على كميات من الدهون الفوسفاتية ، وهو يختص في نقل كميات لا يستهان بها من الدهون الفوسفاتية . إن نقصان البروتين الدهني يتصاحب مع بعض حالات النشوء الخلقي التي تدعى **بمرض تانكرس** (Tangiers) الذي يتصف بترسب الكلوسترول في عدة أماكن من الجسم وفي حالات استئصال الكبد والطحال .

إن من أهم بروتينات الدم الموجودة في منطقة (ألفا ــ ١) هو **التربسين المضاد ــ ألفا ــ ١** (alpha – antitrypsin) ، وإن نقصانه يظهر جلياً في أمراض الجهاز التنفسي . أما بروتينات منطقة (ألفا ــ ٢) ، فإن الهابتوكلوبيولين (Haptoglobulin) تعتبر من أهمها وهو يختص بنقل **الهيموكلوبين** وأن معدلاته تتناقص في حالات الإحلال ، وترتفع في حالة الالتهاب ، لهذا فإنه يعدّ من البروتينات المهمة في الحالات الفعالة للالتهاب . كذلك فإنه يرتفع في حالات الأورام السرطانية خصوصاً في أورام الخلايا اللمفاوية ، ويعدّ ذا فائدة للعاملين في حقل الوراثة من حيث وجود أنواع متعددة الصور لهذا البروتين حيث ظهر وجود علاقة ما بينه وبين المجاميع السكانية المختلفة التي درست .

وهذا ينطبق على نوع آخر من البروتين وفي منطقة ألفا ــ ٢ أيضاً يدعى **جي سي (Gc)** الذي يوجد بتراكيز واطئة . إن التغيرات التي تحدث على مستوى الهابتوكلوبيولين ، لفترة زمنية معينة ، يعتبر دليلاً على وجود حالة التهاب حاد أو مزمن للكبد .

يعتبر **السيرلوبلازمين** (Ceruloplasmin) من البروتينات التي تحوي على **النحاس** وفي حالة وجودها في مصل الدم ، فإنها تعدّ دليلاً للإصابة بمرض ويلسن ، ولا تعتبر هذه حالة دائمة ، فهناك العديد من المرضى المصابين بهذا المرض لهم مستويات منتظمة قياسية من هذا البروتين . لكنه يرتفع حتماً في حالة الأورام السرطانية .

أما منطقة الكلوبيولين ــ بيتا ، فإنه البروتين الدهني ــ **بيتا** يختص بنقل معظم الكولسترول الموجود في المصل ، ونقصان معدلاته تحدث في المتلازمة التي تصاحب مرض **الحمراء المشوكة (Acanthocytosis)** واعتلال الامتصاص وفي بعض الأمراض العقلية مثل : **متلازمة باسن ــ كورنزفيك** (Bassen – Kornzweig Syndrome) . أما ارتفاع معدلاته فيحدث عند الإصابة **بنقص الدرقية**



★ أنواع البروتينات الموجودة في مصل الدم وذلك باستعمال طريقة الهجرة الكهربائية ★

وأمراض الكبد وارتفاع الكولسترول الوراثي .

ويشارك **الترانسفرين** (Transferrin) البروتين الدهني في منطقة بيتا وهو يختص بنقل الحديد ، **وترتفع معدلاته في فترة الحمل وأمراض نقص الحديد** ، بينما تنخفض معدلاته في أمراض الكلية والكبد والأمراض المزمنة .

إن المتمم (Complement) يهاجر خلال منطقة بيتا ، ونقصانه يصاحب العديد من الأمراض المناعية الناتجة عن تفاعلات المضاد أي الجسم المضاد ، ومن ثم في استهلاك المتمم . ويمكن التعرف على معدلاته بقياس إحدى مكوناته ليستدل منها على نوع توزيع المناسيب بالرغم من أن طريقة قياس **CH50** تعدّ أكثر من عملية .

أما منطقة **الكلوبيولين ــ كاما** ، لأهميتها ولغرض سهولة التطرق إلى معدلاتها ، وذلك بتقسيم معدلاتها المرضية إلى نوعين :

١ ــ المعدلات المعتلة العالية للجسم المضاد الوحيد النسيلة (Mono-clonal) وهي تشير إلى وجود حالات مرضية ذات مستويات عالية للكلوبيولين الأحادي النسيلة ومنها ازدياد عدد الخلايا الكفوءة التي عادة ما تتميَّز بكونها خلايا بلازمية خصوصاً في حالة غياب المحفر المستضدي .

٢ ــ المعدلات المعتلة العالية للجسم المضاد المتعدد النسيلة (Polyc-lonal) وهي حالات تحصل على حساب نقصان في كمية الزلال ، وهو بالضرورة لا يتصاحب مع حالات زيادة بروتين الدم . وتحدث هذه الصورة في أمراض الجهاز الرابط والروماتيزم **ومتلازمة سيوجرين** وفي حالات اعتلال وظائف الكبد والإصابات المزمنة .

إن التصنيف السريري لنقصان الكلوبيولينات الممنعة اعتماداً على طريقة **روزن وجانوي** (Rosen & Janeway) عام ١٩٦٦ م ، هي كالتالي :

أ ــ نقصان الكلوبيولينات الممنعة الانتقالي .

ب ــ نقصان الكلوبيولينات الولادي (الوراثي) .

جـ ــ نقصان الكلوبيولينات الممنعة المكتسب الأولي والثانوي .

إن المعدلات غير الاعتيادية في جهاز الأجسام المضادة تنعكس في حالات التحسس غير الاعتيادي لجسم مضاد باتجاه مستضد خارجي كما الحال في مرض الربو أو حمى القش . وإن الزيادة في مناسيب الجسم المضاد لا يعني إطلاقاً زيادة فعاليته .

إن التقدم الحاصل في بحوث بروتينات الدم قد فتح المجال واسعاً للتنقيب والاستقصاء عن أنجع الطرق في المعالجة والتشخيص في أمراض تتصف بأعراض متقطعة وغير مستمرة بالرغم من الشكوك التي تثار من فترة لأخرى حول الفوائد المتوخاة والقيمة النسبية والاقتصادية وكفاءتها والعلاج المنتظر منها .

هناك موعدنا

شعر: إبراهيم عبدالله مفتاح

معبَّئةً زندها بالرياح ومشرَعةً كانثيال الصباح
ترش النجومُ عليها الضياءَ وتلقي الليالي عليها وشاح
ولكنَّ في وجنتيها احمراراً كلونِ العذابِ وطعمِ الجراح

* * *

مددتُ يديَّ لها مرةً وحدّقتُ في وجهها مرتين
وساءلتها قائلاً من أنا ؟ وأين التقينا ألا تذكرين
أجابت ــ وأيضاً ــ أنا قد نسيت وهذي وتلك قضاءٌ ودَيْن

* * *

صمَتُّ ، أعدتُ عليها السؤال وقلتُ لها قد يعود اللقاء
وقد تستثير لظانا الديار ويومٌ تزمجر فيه الدماء
نعود على صهوة المستحيل ونحملُ فوق سُرانا القضاء

* * *

تبسّم في نشوةٍ ثغرُها وقالت سآتيك في الموعد
وإني أشمُّ اشتياقَ الرماح عناقاً على هامة المعتدي
غداً في ثرانا نحط الرحالَ هناك انتظرني صباح الغد

* * *



السموم

أ

أتروبين :

يوجد في كثير من الأدوية المستعملة من الظاهر والباطن وفي المسكنات ومنبهات التنفس وقطرات العين ، **ومن أعراضه :** جفاف الجلد واحمراره ، اتساع رقعة الحدقة ، الظمأ ، النبض السريع ، التشنج والغيبوبة ، والسبات . ويعالج المتسمم بإعطاء **حمض التانيك** أو شاي قوي أو فحم طبي أو مقيء أو قهوة ، وكذلك بوضع الثلج على الرأس مع تدفئة الجسم .

ب

بروميد :

المواد التي قد تحوي البروميد : المسكنات ، الأدوية المهدئة للقيء والتشنج والهستيريا . **ومن أعراضه :** بطء الحركة ، الخمول ، التهاب بالغشاء المخاطي ، التسمم الحاد نادر ، يسبب هبوط التنفس والذهول **ويعالج** المتسمم بإعطاء مقيئاً في حالات التسمم الحاد أو بإعطاء ملطفات للغشاء المخاطي إذا كان ملتهباً أو بإعطاء المنبهات .

ت

تربنتينة :

يوجد في البويات ، الالتهابات ، المنفثات ، المبيدات الحشرية ، **وأعراضه هي :** آلام في المعدة ، قيء وإسهال ، مغص وهيجان ، هذيان ، ظهور الدم في البول واختلاج في الحركة . **ويعالج** المريض بـ : مقيء ، ملح إنجليزي ، مشروبات ملطفة ، استبقاء المريض دافئاً وهادئاً .

ث

ثعبان ، سم :

تحقن الثعابين عند اللدغ سماً يسبب أعراضاً تختلف لنوعه وكميته فيحس الملدوغ ألماً موضعياً يعقبه عرق غزير وقيء وهبوط في التنفس مع ضيق ، ثم الموت . **وأهم طرق العلاج :** الحقن بالمصل المحتوي على الأجسام المضادة لذيفان النوع المهاجم وقد يحتاج الأمر إلى ربط الطرف المصاب فوق اللدغ وجرح موضعها لإخراج الدم المتسمم والحد من سريانه إلى باقي الجسم .

ج

الجير :

يوجد في المطهرات ، المبيدات الحشرية ، الجص ، التبييض ، ومسحوق إزالة الألوان . **ومن أعراضه :** الألم الشديد في الفم والحلق والمعدة ، والقيء غالباً مع دم ومخاط . **ويعالج المريض** بـ : عصير الليمون ، خل مخفف ، مشروبات ملطفة ، زيت زيتون ، بيض نيء .

ح

الحشيش :

يوجد في المخدرات والسجائر والجوزة . **وأعراضه :** الهلوسة مع الشعور بطول الزمن وورود أفكار متقطعة غير متناسقة مع تغير الأحوال في بعض الأحيان . **ويعالج المدمن** بـ : مقيء مع كثير من الماء مع استبقاء المريض دافئاً .

خ

خلات النحاس :

تتكون أحياناً في أواني الطهي النحاسية وفي المبيدات الفطرية والحشرية والبويات والأصباغ ومواد الدباغة . **ومن الأعراض** التي تظهر على المريض : الغثيان ، القيء الأخضر ، الإسهال مع مخاط الدم ، حرقان في جهاز الهضم . **ويعالج المريض** بإعطائه : حديد وسيانيد البوتاسيوم ، بيض نيء ، ولبن مقيء ، ماء بكثرة ، مع تدفئة المريض .

د

الدجنالا :

توجد في المقويات وفي منبهات القلب والأدوية المدرة للبول . **ومن أعراضها :** الصداع ، القيء ، نبض ضعيف غير منتظم ، إغماء ، شحوب ، برودة الجسم . **ويعالج المصاب** بـ : حمض التانيك ، أو شاي قوي ، مقيء ، منبهات ، تدفئة خارجية ، إرقاد المريض منبسطاً حتى بعد فوات الخطر .

ذ

ذراحين :

يوجد في الأدوية المهيجة وفي مقويات الشعر والمقويات الجنسية . **ومن الأعراض** التي تظهر على المريض المتسمم : حرقان في الفم والحلق ، قيء ، ألم في البطن ، إسهال يختلط بالدم ، هلوسة مع هبوط . **ويعالج المريض** بـ : مقيء ، ماء بكثرة ، بيض نيء ، ولبن ، تدفئة خارجية .

ر

الرصاص :

يوجد في البويات ، المواد الملونة ، المراهم ، الغسولات المطهرة ، وخلات الرصاص وجازولين الماء من أنابيب الرصاص . **أما الأعراض** فهي : ألم في البطن ، تهيج ، ضعف في البصر ، قيء ، إسهال بمواد سوداء ، تشنجات ثم شلل . **ويعالج المتسمم** بـ : الترياق ، ملح إنجليزي ، ماء بكثرة ، مقيئات ، مشروبات ملطفة ، بيض نيء ، ولبن ، زيت زيتون .

ز

الزرنيخ :

يوجد في مبيدات الحشرات ، سم الفأر ، أدوية الزهري ، البويات ، مواد الدباغة . **الأعراض :** آلام معدية ، غثيان ، قيء ، إسهال ، شحوب اللون ، نبض ضعيف ، هبوط . **العلاج :** مقيئات ، ماء بكثرة ، ترياق ، مانيزيا ، زيت خروع ، لبن ، منبهات ، دفء .

س

السيانيد :

يوجد في المبيدات الحشرية ، طلاء المعادن بالكهرباء ، مواد الطباعة الزرقاء ، الأصباغ . **الأعراض :** هبوط سريع ومباشر ، دوار ولهث ، تشنج ، زبد على الفم ، رائحة زيت اللوز المر . **العلاج :** إعطاء المريض ملعقتي شاي من محلول فوق أوكسيد الأيدروجين ، ندع المريض يستنشق النشادر ، إجراء تنفس صناعي إذا لزم .

ص

الصودا :

توجد في المنظفات المنزلية ، المطهرات ، مواد الدباغة ، صناعة الصابون ، والسيللوز . **الأعراض :** آلام شديدة في الفم والحلق والمعدة ، قيء ، إسهال مختلط أحياناً بالدم ، شحوب ، ضعف النبض ، برودة الجلد ورطوبته . **ويعالج المتسمم** بـ : خل مخفف ، عصير الموالح ، مشروبات ملطفة ، بيض ولبن ، منبهات ، الدفء ، تغسل الحروق الخارجية بالماء وعصير الليمون أو الخل ثم الماء .

ط

الطرطير :

يوجد في الأصباغ ، البويات ، المفرقعات ، أدوية الأمراض الطفيلية . **الأعراض :** طعم معدني ، قيء مصحوب بالدم أحياناً ، تقلص في الأطراف ، صعوبة في التنفس ، سرعة في النبض ، برودة ورطوبة الجلد . **العلاج :** إعطاء المريض من (١) إلى (١,٥) جرام من حمض التانيك في ماء دافئ أو شاي قوي ، ماء كثير ، بيض نيء مع لبن ، دفء وهدوء المريض .

ع

عش الغراب :

عش الغراب أو الفطر ، ويوجد في الفطريات ومعظمها ضار يصيب الإنسان والحيوان والنبات بالأمراض المختلفة . **من الأعراض** التي تظهر على المريض المتسمم بفطر عش الغراب : آلام في البطن ، قيء ، إسهال ، جلد بارد ورطب ، شحوب ، يرقان في أغلب الأحوال ، تشنجات وسبات . **ويكون العلاج** عن طريق : المقيء ، الفحم الطبي ، المنبهات ، التدفئة ، وقد يعطى المصاب ترياق أنواع معينة من عش الغراب .

غ

غاز الكلور :

يوجد في منقيات الماء ، المطهرات ، قاصرات الألوان ، سوائل

التنظيف ، ومزيلات الروائح . **أعراضه :** صعوبة في التنفس ، ضعف النبض ، حرقان في الحلق ، غثيان وقيء . **العلاج :** يكون بجعل المريض يستنشق النشادر أو الكحول الأثيلي ، البيض النيء واللبن ، المقيء ، التدفئة .

ف

فلوريدات :

توجد في المبيدات الحشرية وفي حوافظ الأخشاب وناسفات العث . **الأعراض** التي تظهر على المريض : تقلص في البطن ، حرقان ، شحوب ، ضعف النبض ، قيء وإسهال ، تشنجات ، التواءات . **العلاج :** يكون بإعطاء المريض الماء الكثير المتبوع بماء الجير أو بالطباشير أو بمحلول ضعيف من كلوريد الكلسيوم أو لبن مقيء .

ق

قلويات :

توجد في المنظفات المنزلية ، المواد المستعملة في الدباغة وصناعة الصابون والسيللوز وتنقية البترول والصناعات الأخرى . **الأعراض :** ألم شديد في الفم والحلق والمعدة ، قيء وإسهال مختلط أحياناً بالدم ، شحوب ، ضعف النبض ، برودة ورطوبة في الجلد . **العلاج :** خل مخفف ، عصير الموالح ، مشروبات ملطفة ، بيض ولبن ، منبهات ، غسل الحروق الخارجية بالماء وعصير الليمون أو الخل ثم الماء .

ك

كافيين :

توجد في الأدوية المدرة للبول والمنبهات ، والكميات الكبيرة من القهوة والشاي . **الأعراض :** القلق والعصبية ، آلام فوق منطقة القلب ، خفقان القلب ، سرعة النبض ، شحوب اللون ، جلد بارد ورطب أحياناً . **ويكون العلاج** في حالات الجرعات الكبيرة والمركزة بإعطاء مقيء وماء دافئ مع تدفئة المريض .

ل

لودانوم :

يوجد في المخدرات والأدوية المنومة والمزيلة للآلام والمهدئة للأعصاب والعضلات وشراب السعلة والهيروين . **من أعراضه :** ضيق في حدقة العين ، نعاس قد يتبعه سبات ، تنفس بطيء وغير عميق ، ارتخاء العضلات وعدم الإحساس . **العلاج** يكون بإعطاء حمض التانيك ، الشاي المركز ، برمنجنات البوتاسيوم ، مقيء ، قهوة سوداء ، تدفئة خارجية ، إبقاء المريض متيقظاً مع عدم السماح له بالمشي ، إجراء تنفس صناعي للمريض إذا هبط تنفسه .

م

مركبات الكلورال :

توجد في المعرقات والمسكنات والمروحات . **والأعراض :** نوم عميق ، غثيان ، بطء في التنفس والنبض ، ضيق في الحدقة ، انخفاض في ضغط الدم ودرجة الحرارة . **العلاج :** هواء نقي في حالة استنشاق السم ، خفض الرأس ، تنفس صناعي ، تدفئة المريض ، مقيئات ومنبهات .

ن

نتروجلسرين :

يوجد في المفرقعات وفي الأدوية المستعملة في أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم والربو والتقلصات العضلية . **الأعراض :** ضعف في النبض والتنفس ، سبات في بعض الأحيان ، ألم في المعدة . **العلاج :** مقيء ، منبهات ، حرارة خارجية ، تنفس صناعي .

هـ

هروين :

مشتق من المورفين ويوجد في العقاقير التي تزيل الآلام والمنومة والتي تهدئ العضلات . **الأعراض :** ضيق في الحدقة ، نعاس ، تنفس بطيء . **العلاج :** بعض المقيئات والقهوة والتنفس الصناعي .

ي

يود :

يوجد في المطهرات والسائل المستعمل في التصوير وأدوية . **الأعراض :** طعم معدني ، حرقان وألم في الفم والحلق والمعدة ، قيء ، إسهال ، شحوب ، نبض ضعيف وسريع ، اصطباغ باللون البني . **العلاج :** النشا أو محلول الدقيق ، ترياقاً ، مقيء ، منبهات ، بيض ولبن ، تدفئة خارجية ، كثير من الماء .

★ ★ ★

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالا

ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالا

د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي) .

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة «الفيصل» .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(المملكة العربية السعودية ـ ص . ب (٣) الرياض ـ (١١٤١١) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١١٩)

الاسم : ------------------------------

المهنة : ------------------------------

العنوان : ------------------------------

●● المسابقة ●●

السؤال الأول :

ما الأسباب التي جعلت البحر الميت أكثر البحار ملوحة في العالم ؟

السؤال الثاني :

متى أنشئت جامعة الملك سعود بالرياض ـ المملكة العربية السعودية ؟


وأما السائل فلا تنهر
وأما بنعمة ربك فحدث
بسم الله الرحمن الرحيم
ألم نشرح لك صدرك
ووضعنا عنك وزرك
الذي أنقض ظهرك

السؤال الثالث :

الصورة لصفحة من المصحف الشريف . . ما نوع المادة التي كتبت عليها الآيات الكريمات . . وفي أي قرن هجري ؟

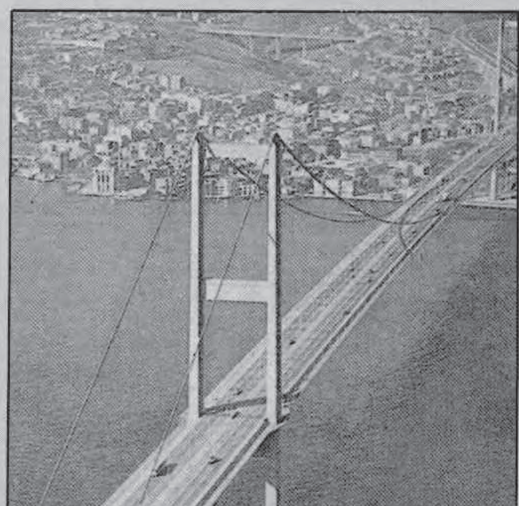
السؤال الرابع :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

تاريخ قضاة الأندلس ـ ألقاب الرواة ـ أدب الكاتب ؟

السؤال الخامس :

الصورة لجسر معلق على ممر مائي يربط بين البحر الأسود وبحر مرمرة . . والجسر نفسه يربط بين جزءَي مدينة أحدهما في أوروبا والآخر في آسيا . . ما اسم الممر المائي . . وما اسم المدينة التي يربط الجسر المعلق جزءَيها (الأوروبي والآسيوي) . . وفي أي بلد توجد هذه المدينة ؟



أجوبة مسابقة العدد (١١٢)

ج ١ مؤلفو الكتب التالية هم :

● حياة الحيوان الكبرى : **كمال الدين محمد بن موسى الدميري .**

● مآثر الأنافة في معالم الخلافة : **شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي .**

● الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : **أبو الخير محمد السخاوي .**

ج ٢ البوابة التي ظهرت في الصورة وترمز لبوابة تاريخية اندثرت في مدينة عربية ذات تاريخ عريق .. هي بوابة « **الثميري** » في مدينة الرياض ، عاصمة المملكة العربية السعودية .

ج ٣ كلمة « **ستاد** » التي تطلق على ملعب كرة القدم ، وهي لاتينية Stadium مشتقة من الإغريقية Stadia وهي وحدة لقياس المسافات ، تعادل ٦٠٠ بودز ، أو قدم يوناني ، وبما أن القدم اليوناني يساوي ٣٠,٨٤ سم ، فيكون طول الستاد ٦٠٠ × ٣٠,٨٤ = ١٨٥,٠٤ م ، وكانت هي المسافة لمضمار سباق العدو في الدورات الأولمبية ، ثم تحول الاسم إلى المكان الذي تجرى فيه السباقات ، وكان يبنى على شكل حرف U ذي طرفين متقاربين يبلغ طوله ٢١١ متراً ، وعرضه ٣١,٥ متراً .

وكانت المدرجات تحفر على سفوح الجبل من الجهات الثلاث ، ويتسع بعض هذه المدرجات لأربعين ألفاً من المشاهدين .

ج ٤ الشارع الذي ظهر في الصورة ، وتحيط به الأعمدة .. بقايا مدينة تاريخية في بلد عربي ، يسمى « شارع الأعمدة » ، يقع في **مدينة جرش** ، في المملكة الأردنية الهاشمية .

ج ٥ بدئ في إنشاء خط قطار السكة الحديد ، الذي يربط بين مدينتي الرياض والدمام في المملكة العربية السعودية ، في عام ١٣٦٩ هـ ـ الموافق ١٩٤٩ م ، وتم انشاؤه في عام ١٣٧١ هـ ـ الموافق ١٩٥٣ م .

نتيجة مسابقة العدد (١١٢)

● فازت **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالا سعودياً ، الأخت **فتحية محمود النجار** ، الخرج ـ **المملكة العربية السعودية** .

● وفاز **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، الأخ **فتحي زواهري** ، مخيم العائدين ـ حمص ـ **سورية** .

● وفازت **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالا سعودياً ، الأخت **ليلى عبد العزيز فؤاد عفيفي** ، شبرا ـ **القاهرة** .

وهناك **سبع جوائز** ، قيمة كل منها (٢٠٠) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **السودان** ـ الخرطوم ، الأخت **نبيلة عبد الرحمن دهب** .

● من **الجزائر** ـ قسنطينة ، حي الدقي ، الأخ **مصطفى بن رابح بوزيد** .

● من **العراق** ـ البصرة ، الأخت **كواكب فزع عبد الله** .

● من **المغرب** ـ الدار البيضاء ، شارع سطراسبوز ، الأخ **محمد بن عبد الرحمن السرغيني** .

● من **الكويت** ـ السالمية ، ص . ب (٤٨٨٠) ، الأخ **محمود محمد الطموني** .

● من **تونس** ـ مدنين (٤١٠٠) ، حي الملعب ، نهج برج الخضراء ، الأخ **الحبيب بن أحمد ضيف الله** .

● من **الأردن** ـ عمان ، بريد المجاهدين ، ص . ب (٢٣١٣٠) ، الأخ **يونس عبد القادر صافي** .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** ، قيمة كل منها **اشتراك مجاني ، لمدة عام ، في مجلة « الفيصل »** ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **اليمن** ـ تعز ، الأخت **فتحية أحمد علي مسعود** .

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الطائف ، ص . ب (١١٨٧) ، الأخ **صالح جويبر حمود العصيمي** .

● من **الإمارات العربية المتحدة** ـ الشارقة ، ص . ب (٥٤٦٥) ، الأخ **خالد حسن عباس المهدي** .

● من **أندونيسيا** ـ قدس ، كيلوراهان ، الأخ **محمد أولي الألباب أرواني** .

● من **الجزائر** ـ المدية ، نهج إبراهيم بن دالي ، الأخ **عبد القادر خليل الشرقي** .

● من **مصر** ـ ميت غمر ، شارع سعد غالي ، الأخ **عبد المنعم متولي محمد الشحات غالي** .

● من **المملكة العربية السعودية** ـ جيزان ، صبيا ، ص . ب (٦٦) ، الأخ **أحمد علي مصطفى سهيلي** .

● من **السودان** ـ أم درمان ، الأخت **أحلام أحمد مرجان آدم** .

● من **سورية** ـ درعا ، قرية كحيل ، الأخ **موسى شعبان مفلح** .

● من **تونس** ـ مدنين ، المعهد الفني ، الأخ **عمارة بن أبي بكر** .

الحركة الثقافية

في شهر ()

* من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي

- وسام المؤرخ العربي لباحثين سعوديين .
- صدور مجلتين جديدتين في الجزائر والقاهرة .
- وفاة فتحي أبو الفضل .
- أمسيات قصصية وندوات ثقافية .
- مكتبة دولية للطفل في مصر .
- كشفان أثريان في العراق ومصر .

في العالم

- الفائزون بالجوائز الثقافية في فرنسا .
- مؤتمر عن السيرة النبوية في باكستان .
- شاعر سوري يحصل على الجائزة الدولية للشعر .
- حضارة البربر في معرض بألمانيا .
- لوحات لفنان سعودي في مبنى هيئة الأمم المتحدة .



★ د. عبد الله الشبل ★



★ د. عبد الله العثيمين ★



★ عبد الله الحقيل ★

الحركة الثقافية في الوطن العربي

السعودية

وسام المؤرخ العربي

بناء على **قرار الجمعية العامة لاتحاد المؤرخين العرب**، فقد قررت **الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب** التي تتخذ من **بغداد** مقراً لها، منح عدد من الباحثين السعوديين «وسام المؤرخ العربي» وذلك تقديراً لإسهاماتهم في هذا المجال، وهم:

★ **الدكتور عبد الله الشبل**، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والأستاذ بكلية العلوم الاجتماعية.

★ **الدكتور عبد الله العثيمين**، الأستاذ بقسم التاريخ بجامعة الملك سعود، وأمين عام جائزة الملك فيصل العالمية.

★ **الدكتور يوسف الثقفي**، الأستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

★ **الأستاذ عبد الله حمد الحقيل**، أمين عام دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

أسماء الفائزين في مسابقة نادي الطائف

أعلن نادي الطائف الأدبي عن نتيجة مسابقته العاشرة في القصة القصيرة، والشعر، والبحث، والدراسة.

حيث فاز في فرع القصة: حسن حجاب الحازمي، فاروق حسان السيد، صباح محمد حسين، صبيحة سالم، خالد جابر السهيل، محمد محمود جاد الله.

أما في الدراسة والبحوث، فقد فاز بالجائزة الثالثة بحث عن كتاب «من مقالات حسين سرحان» **لعبد الله الحيدري**.

وفاز بالجائزة الرابعة بحث عن «دور الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية في تنشيط الحركة الثقافية»، وقد أعده **رابح محمد لطفي جمعة**، من مصر.

وفاز بالجائزة الخامسة بحث عن «دور الأندية الأدبية أيضاً، إعداد **زينب هارون محمد عبد الله**، من مكة المكرمة.

هذا وقد حجبت الجائزتان الأولى والثانية في مجال البحوث.

أما في مجال الشعر، فقد فاز كل من البسيوني قنعان سليمان، وعزت الطبري، ومحمد محمود جاد الله، وأحمد محمود مبارك، وزكي محمود محمد.

كما أقر النادي جوائز تشجيعية لبعض المشاركين في المسابقة، عبارة عن خمسة عشر كتاباً من مطبوعات النادي.

أمسية قصصية

أقيمت في جزيرة فرسان بمنطقة جازان تحت إشراف نادي جازان الأدبي أمسية قصصية أحياها كل من: عبد الله باخشوين، أحمد إبراهيم يوسف، عبده خال.

حضرها عدد من المهتمين بهذا اللون الأدبي.. وقد قام بالقراءة النقدية لقصص الأمسية الناقد المعروف **الدكتور محمد صالح الشنطي**.

معرض للكتاب

أقيم في الطائف تحت إشراف إدارة التعليم **معرض للكتاب ببيت الطالب**.. عرضت فيه عناوين متعددة، وفي تخصصات مختلفة بمشاركة عدد من دور النشر المحلية.

كتب جديدة

● «**المجموعة الكاملة لأعمال الشاعر محمد حسن فقي الشعرية**»، صدرت في **جدة**، عن **الدار السعودية للنشر في جزءين**.

● «**خدمات رعاية الطفولة في دول مجلس التعاون**»، **دراسة**، صدرت في كتاب عن **الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية**.

● «**كل ما تريد أن تعرفه عن الحساسية والربو، المسببات، الأعراض، النتائج**»، تأليف **الدكتور حرب عطا الهرفي**، صدر في **الرياض**.

● «**حصاد الأيام**»، بقلم **محمود عارف**، صدر في **جدة**.

● «**رعاية الأم والطفل في مراحل الحياة المختلفة**»، تأليف **الدكتورة ليلى محمد الحضري، والدكتورة مواهب إبراهيم**.. صدر في **جدة**.

● «**شاعر الإسلام محمد عاكف**»، بقلم **الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي**، صدر عن **مكتبة الطالب الجامعي بمكة المكرمة**.

● «**الضوء واللعبة... استكناه نقدي لنزار قباني**»، بقلم **شاكر النابلسي**، صدر في **جدة**.

● «**ديوان الجند.. نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون**»، تأليف **عبد العزيز عبد الله السلومي**، صدر عن **مكتبة الطالب بمكة المكرمة**.

● «**الكيمياء العضومعدنية في التحضيرات العضوية**»، تأليف **الدكتور محمد إبراهيم الحسن**، صدر عن **مكتبة الخريجي بالرياض**.

مصر

إفريقيا

في القاهرة، صدر العدد الأول من المجلة الجديدة «إفريقيا»، وهي مجلة متخصصة، تعنى بالشؤون الإفريقية، تصدرها **اللجنة المصرية للتضامن، ودار المستقبل العربي**،



★ محمد حسن فقي ★



★ فتحي أبو الفضل ★

ويشرف على تحريرها «حلمي شعراوي» ، أحد الكتّاب المتخصصين في الشؤون الإفريقية .

جاء عددها الأول متضمناً أكثر من محور عن العلاقات العربية الإفريقية ، والجنوب الإفريقي ، ووثائق عن علاقة جنوب إفريقيا بإسرائيل ، والموقف الإفريقي من قضية فلسطين ، ومتابعة لحركة التحرير الوطني العربية والإفريقية عبر الندوات والكتب والأحداث .

●● كشف أثري ●●

عثرت هيئة الآثار المصرية على مقبرة جديدة في جبانة الملك «تيتي» ، أول ملوك الأسرة السادسة .

وتتكون هذه المقبرة من طوب اللبن ، وبها باب ذهبي ، وعلى الباب ألقاب صاحب المقبرة .

●● مكتبة دولية للطفل ●●

افتتح في مصر ، أول قسم خاص للأطفال ، **يضم في جنباته مكتبة كاملة ، بمختلف لغات العالم** ، وتعليم اللغات الأجنبية للطفل ، بالإضافة إلى شرائط ڤيديو لتعليم اللغات الأجنبية .

وقد جاء افتتاح هذا القسم نابعاً من الاهتمام بالطفل والعناية به ، وتوسعة آفاقه ، وجعله يقف على مناحي شتى من الإبداع .

●● وفاة فتحي أبو الفضل ●●

انتقل إلى رحمة الله تعالى الكاتب الصحفي المصري (فتحي أبو الفضل) ، عن ثلاث وسبعين سنة .

والفقيد كان من كتّاب القصة الروائية ، وله العديد من القصص التي أخرجت في شكل عمل سينمائي ، كما كان عضواً بنقابة الصحفيين واتحاد الكتّاب وجمعية كتّاب ونقّاد السينما ، وهو عضو لجان التحكم في المسابقات الروائية .

له العديد من المؤلفات ، منها : رواية **«حافية على الشوك»** ، نال بها جائزة الدولة في القصة الروائية . . كما نال **وسام الدولة للعلوم والفنون** ، من الطبقة الأولى عام ١٩٧٩ م . رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

كلمة

المتعلــم . . والمثقــف

لقد اختلط على الناس وحتى على المتعلمين منهم مفهوم الإنسان المتعلم ومفهوم الإنسان المثقف . ولهذا سأعرفهما هنا من وجهة نظر شخصية فاتحاً المجال لذوي المعرفة والخبرة لرد تعريفي لهذين المفهومين أو لتعديلهما والإضافة عليهما .

المتعلم هو الإنسان الذي أدرك واستوعب أحد جوانب المعرفة وتمكن من تدريس أو تطبيق ما فهمه من هذا العلم في الحياة العملية . أما إذا تعمق هذا الإنسان في فهم أسس ومبادئ علم ما وتطبيقاته ثم تمكن من الإضافة عليها إضافات أصيلة من إنتاجه تدفع بهذا العلم شوطاً إلى الأمام دعاه الراسخون في هذا العلم **عالماً .**

قد يكون الإنسان مطلعاً على كثير من العلوم بحيث إنه إذا خاض المتعلمون في أحد هذه العلوم خاض معهم بكفاءة مقبولة فأقول عن هذا الشخص إنه **متعلم واسع الاطلاع** والكثيرون يخطئون ويلقبون هذا المتعلم الواسع الاطلاع **بالمثقف .** فـثَقُفَ بالشيء أدركه واستوثق منه ، فمن ثَقُفَ (بفتح الأول وضم الثاني) بعلم أو بعدة علوم بسرعة فهو ثَقِفٌ لَقِفٌ (بفتح الحرف الأول وكسر الثاني من الكلمتين) أو ثَقْفٌ لَقْفٌ (بفتح الحرف الأول وسكون الثاني منهما) .

لم ترد كلمة مثقف في كلام العرب إلا بمعنى المُقَوِّم المسوي كما ورد في شعر عنترة بن شداد عن الرمح :

جادت له كفّي بعاجل طعنةٍ ‏ ‏ ‏ بمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ

ولهذا أقول إن المثقف هو الإنسان الذي اطلع على الكثير من تجارب الآخرين فاتعظ بها وبتجاربه الخاصة فسمت نفسه وحسنت أخلاقه وصلح واستقام سلوكه . فتجده فطناً ، بعيد النظر ، ثاقب الرأي ، حكيماً في أقواله ، حميداً في فعاله .

لا يشترط بالمثقف أن يكون متعلماً كما لا يشترط بالمتعلم أن يكون مثقفاً لأن تحصيل العلم يتم بدراسة نظرية أو عملية أو كلتيهما وقد لا يكون له أي أثر في نمو وترعرع بذرة الخير في نفس الإنسان التي عندما تثمر تجعل منه مثقفاً . وقد يثير هذا الكلام حفيظة بعض حملة الشهادات العليا وحسبي أن أحتج عليهم بخطباء وحكماء العرب في الجاهلية أمثال **قس بن ساعدة الإيادي وزهير بن أبي سلمى** والذين عاشوا في أمة أمية قبل نزول القرآن الكريم وقبل أن يسطر بالعربية أي علم إنساني أو مادي . كما وأقول لهم زوروا دور القضاء لتروا المتعلمين هم كغيرهم من الناس خلقاً وسلوكاً وإن كانت نسبة المثقفين بينهم أعلى من تلك التي بين غير المتعلمين .

وملخص القول إن كلمة متعلم تعني أن الإنسان قد حصل على حد أدنى من معلومات أو خبرات في فرع من فروع المعرفة أما كلمة مثقف فتعني أن الإنسان سما بنفسه إلى مرتبة عالية من مراتب الإنسانية .

د . عدنان أحمد الأسود

الظهران ـ السعودية

●● كتب جديدة ●●

● **«التراث والحضارة»** ، تأليف **الدكتورة نعمات أحمد فؤاد** ، صدر ضمن **سلسلة كتاب الهلال .**

● **«الوقت في حياة المسلم»** ، تأليف **الدكتور يوسف القرضاوي** ، صدر عن **دار الصحوة الإسلامية .**

الجزائر

●● ملتقى عن الأدب ●●

عقد بمدينة سكيكدة بالجزائر الملتقى

السنوي الثالث للأدب والثورة، حضره عدد كبير من الشعراء والأدباء والنقاد من الجزائر وبعض البلاد العربية الأخرى، حيث ألقيت فيه مجموعة من القصائد الشعرية والمحاضرات، حضره الجمهور المهتم بمثل هذه الملتقيات.

●● مهرجان مسرح المحترفين ●●

نظم بمدينة الجزائر خلال النصف الثاني من شهر أكتوبر (تشرين الأول) الماضي المهرجان السنوي لمسرح المحترفين، الذي يهدف لتقييم النشاط المسرحي من خلال عرض أحدث المسرحيات. وألقيت خلال المهرجان عدة محاضرات من قبل المتخصصين والنقاد، كانت متبوعة بالمناقشات، وقد دارت هذه المحاضرات حول المسرح وتطوره من حيث الأداء والنص والديكور، وشاركت في المهرجان معظم الفرق المسرحية المحترفة في الجزائر.

●● معرض للفن الإسلامي ●●

نظم بمدينة الجزائر معرض خاص بالفن الإسلامي، تضمن عرض (٣٦) لوحة لأربعة عشر رساماً في مختلف أنواع الرسم والخط، مستوحاة من التراث الإسلامي، ويهدف المعرض إلى التركيز على عظمة الحضارة الإسلامية وأصالة فنها وعمقه.

●● المسار المغربي ●●

اسم مجلة جديدة، صدرت في الجزائر باللغتين **العربية والفرنسية**، تهدف إلى اطلاع العرب بكل ما له صلة بالموضوعات والقضايا الفكرية والأدبية والاجتماعية والعلمية المطروحة على الساحة بالجزائر خاصة، والمغرب العربي عامة، كما تهتم بالفكر الجزائري الملتزم، وبعطاءات الحضارة العربية الإسلامية.

صدر عددها الأول في أواخر شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٦م، (وهي مجلة شهرية)، حيث جاء محتوياً على عدة موضوعات في حقل توجهها.

وقد كتب افتتاحية هذا العدد (الأول) وزير الإعلام الجزائري السيد **بشير رويس**.

●● كتب جديدة ●●

● **«محمد العيد آل خليفة»**، تأليف **الدكتور صالح خرفي**، صدر عن **المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر**.

كما صدرت عن المؤسسة نفسها، الكتب التالية:

● **«السكن في الجزائر»**، تأليف **السيد بو بكر**.

★ **«إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق»، ديوان شعر**، للشاعر **أبو القاسم خمّار**.

★ **«رحلة الوهم البعيدة»، مجموعة قصصية**، للقاص **عبد الحميد عبدوس**.

★ **«نفحات ربّانية»، مجموعة شعرية**، تأليف **ابن عباس صل التيجاني السينيغامي**.

★ **«طبقات علماء إفريقيا وتونس»**، تأليف **محمد بن أحمد بن تميم القيرواني**.

★ **«سعفة خضراء»، مجموعة قصصية**، للدكتور **أبو القاسم سعد الله**.

★ **«لحن إفريقي»، مجموعة قصصية**، للقاص **أحمد منوّر**.

★ **«شذرات من اعترافات مارق»، مجموعة قصصية**، للقاص **بوجاوي علاوة**.

★ **«دائرة المخدوعين»، مجموعة قصصية**، تأليف **عميش عبد القادر**.

★ **«الرصيف البيروتي»، مجموعة**

الزاوية الطبية

الجراحة في القصور الإكليلي

شهد علم جراحة القلب والشرايين (Cardio Vascular Surgery) ثورة حقيقية بدءً من عام ١٩٧٠م، حيث بدأ التطور يغزو أميريكا وبريطانيا وسويسرا وفرنسا، وبدرجة متفاوتة عند إجراء المقارنة بينها ولكن كان الاتجاه أكثر إلى الجراحة كعلاج للقصور الإكليلي (Coronary insuff) عند المرضى المتشابهين بدرجة تطور خناق الصدر (الذبحة الصدرية) Angina في الولايات المتحدة الأميريكية.

في الوقت الحالي، بالرغم من أن المقارنة بين المرضى المعالجين بواسطة الأدوية وبين المرضى المعالجين جراحياً صعبة حيث إن معظم المرضى المعالجين بواسطة الأدوية هم في الحقيقة المرفوضين جراحياً لأسباب عدة خاصة بسبب إصابات عصيدية عديدة ومحيطية غير ممكن معالجتها جراحياً، ولكن هذا يجب أن لا يغرب عن الذهن، أن أمل الحياة بعد الجراحة أطول بشكل واضح من أمل الحياة تحت العلاج بأدوية خناق الصدر، هذا حالياً يطرح سؤالين مهمين، الأول هل المريض صالح للجراحة، والثاني كيف يمكن انتقاء المرضى الجراحيين من غيرهم؟؟

إن تقرير جراحة الوصل الأبهري – الإكليلي (Bypass) هو طبي جراحي في آن واحد، حيث يتم معرفة النتيجة المتوخاة من الجراحة وإمكانية الجراحة من الناحية التكنيكية. سؤال آخر يطرح نفسه وهو: ما النتيجة المطلوبة من الجراحة الإكليلية؟؟ والجواب يتمثل في:

١ – فترة أمل في الحياة أطول بواسطة وقاية احتشاء القلب (infarc).

٢ – تهدئة ألم المريض (clest pain).

٣ – تحسين عمل العضلة القلبية لتأمين حياة بدون إعاقة للمريض.

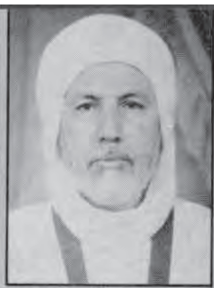
وبالنسبة لفترة أمل أطول في الحياة، كل الإحصائيات



★ أديب النحوي ★



★ أبو القاسم خمار ★



★ محمد العيد آل خليفة ★

قصصية، تأليف عمّارية بلال.

★ «الكبوة»، قصة، تأليف عزت بوخالفة.

★ «الكتابة.. قفزة في الظلام»، تأليف مرزاق بقطاش.

العراق

كشف أثري

تم في محافظة نينوى. بشمال العراق العثور على (ثور مجنح)، قرب جامع النبي يونس، يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، ويبلغ طوله أربعة أمتار. وقد وجد الثور محطم الرأس والظهر، نتيجة الحفريات التي أجرتها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية لإزالة الدور القديمة المحيطة بالجامع.

كتب جديدة

● «الرسم الحديث في العراق»، بقلم فاروق يوسف، صدر عن دار ثقافة الأطفال بوزارة الثقافة والإعلام ضمن السلسلة التاريخية.

● «الكتابة على صفحة بيضاء»، تأليف فاروق سلام، صدر عن دار ثقافة الطفل في بغداد.

● «الثقافة ١٩٨٦م»، دليل الكتب الصادرة عام ١٩٨٦م، صدر عن دار الشؤون الثقافية في بغداد.

سورية

معرض لرسوم الأطفال

أقيم في دمشق معرض دولي لرسوم الأطفال، خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي، حيث شاركت فيه أكثر من ثلاثين دول عربية وأجنبية برسوم لأطفالها.

عرضت اللوحات في صالة المتحف الوطني، (صالة الرواق العربي) في مبنى اتحاد الكتّاب العرب بدمشق.

كتب جديدة

● «إضاءات من الذاكرة القديمة»، تأليف علي القيم، صدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

● «من نصوص أديب طيار»، صدر ضمن منشورات وزارة الثقافة.

● «سلاح الأعزل»، مجموعة قصصية، للقاص أديب النحوي، صدرت ضمن منشورات اتحاد الكتّاب العرب بدمشق.

تونس

مسابقة في التأليف

أعلن المسرح الوطني التونسي، عن مسابقته في مجالات التأليف المسرحي والاقتباس والترجمة، ضمن شروط محددة أهمها:

★ أن يكون النص جديداً لم يسبق نشره.

★ أن يكون النص باللغة الفصحى أو الدارجة.

★ تقدم النصوص بأسماء مستعارة مع ظرف مختوم يحتوي على عنوان المسرحية والاسم المستعار والاسم الحقيقي.

★ آخر موعد لتقديم الترشيحات هو ٣١ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٦م.

تؤكد ذلك الآن وخاصة في حالة تضيق الجذع الأيسر الرئيسي (Left Coronary).

أما تهدئة ألم المريض فهي نتيجة تقريباً دائمة تشاهد في ٩٠٪ من العمليات، وإن عودة الألم الخناقي هو دليل على فشل إعادة تروية العضلة القلبية ويستلزم اختبار نفوذية الوصلات بواسطة التصوير تحت القسطرة. وإن وظيفة العضلة القلبية وبالأخص البطين الأيسر هي الهدف الأساسي، وهي المقياس على نجاح أو فشل العمل الجراحي لأن الجراحة على وظيفة بطين أيسر طبيعية هي التي تحمل الأمل الكبير بالنجاح وتصوير البطين الأيسر قبل وبعد حقن مادة (Trinitrine) يعطي فكرة عن إمكانية تحسن وظيفة العضلة القلبية بعد إعادة التروية.

كما أن الاختبار بالنظائر المشعة (thallium 201) بعد الجهد هو وسيلة لتقدير مدى تحسين التروية للمناطق المصابة سابقاً بالنقص، وهي الآن تكنيك سهل ويجرى كل يوم في كثير من مناطق العالم.

ومما يجب التأكيد عليه من أن قسماً من مرضى خناق الصدر لا تفيده كعلاج غير الجراحة بإقامة وصلات — أبهرية إكليلية — وهي بمثابة الملاذ الوحيد.

وعن كيفية أخذ القرار بإرسال المريض إلى الجراحة، يتعلق الأمر بما يلي:

١ — تصوير الشرايين الإكليلية (التاجية).

٢ — الضغوط داخل البطين الأيسر (ضغط نهاية الاسترخاء).

٣ — محصلة الضغط (Ejection Fraction).

وفي ما يتعلق بمضادات استطباب الجراحة فيعود السبب إلى:

١ — رفض المريض للعملية.

٢ — إصابة مرضية أخرى تجعل أمل الحياة محدوداً.

٣ — وظيفة العضلة القلبية مصابة مع محصلة ضغط أقل من ٢٠٪.

٤ — الإصابة بأم الدم البطينية (Anurism) غير قابلة للجراحة.

وللجميع صحة دائمة.

د. فؤاد فاضل جميل الشيخلي
بغداد — العراق


★ عبد الرحمن مجيد الربيعي ★


★ غادة السمَّان ★

الحركة الثقافية في الوطن العربي

★ تعلن النتائج يوم ٢٧ مارس (آذار) عام ١٩٨٧ م ، القادم .

•• الإسلام وحقوق الإنسان ••

عقدت في مدينة القيروان ندوة إسلامية ، شارك فيها أساتذة وباحثون من تونس وبعض البلدان العربية ، ونوقشت فيها عدة موضوعات لها علاقة بموضوع الندوة .

•• أسبوع ثقافي بحريني ••

أقيم في تونس العاصمة خلال الفترة من ١٥ إلى ٢٢ سبتمبر (أيلول) الماضي ، أسبوع ثقافي بحريني ، تضمن جملة من النشاطات الثقافية ، مثل معرض الكتاب ، والفنون التشكيلية ، والمعارض المتنقلة الأخرى ، والأمسيات الشعرية التي شارك فيها كل من الشعراء **(حسن كمال ، عبد الرحمن الرفيع ، الدكتور علوي الهاشمي)** .

•• كتب جديدة ••

● **« مدخل إلى الأدب المقارن »** ، تأليف **الدكتور محمود طرشونة** ، صدر في **تونس** .

● **« حديث عيسى بن هشام » ، محمد المويلحي** ، تقديم **الدكتور محمود طرشونة** ، صدر ضمن سلسلة **« عيون المعاصرة »** ، التي تصدر عن **دار الجنوب للنشر بتونس** .

المغرب :

•• كتب جديدة ••

● **« المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية »** ، تأليف **مصطفى العلوي** ، صدر الجزء الأول منه في **الرباط** .

الكويت :

•• كتب جديدة ••

● **« أضواء على لغتنا السمحة »** ، تأليف **محمد خليفة التونسي** ، صدر ضمن سلسلة **« كتاب العربي »** .

● **« نابولي مليونيرة »** ، مسرحية للكاتب الإيطالي **إدواردو دي فيليبو** ، ترجمة وتقديم **سلامة محمد سليمان** ، مراجعة **الدكتورة كليليا تركوا** ، صدرت ضمن سلسلة **« المسرح العالمي »** عن **وزارة الإعلام الكويتية** .

البحرين :

•• كتب جديدة ••

● **« أيام زمان » ، عنوان غلاف يضم صوراً قديمة عن البحرين** ، صدر عن **مطبوعات بانوراما الخليج البحرينية** .

● **« حكايات شعبية »** ، إعداد **إبراهيم بشمي** ، صدرت عن **بانوراما الخليج** .

الأردن :

•• كتب جديدة ••

● **« تحديات الأمن القومي العربي في العقد القادم »** ، تأليف **الدكتور علي الدين هلال** ، صدر ضمن **« سلسلة الحوارات العربية »** ، التي تصدر عن **منتدى الفكر العربي بعمَّان** .

قطر :

•• كتب جديدة ••

● **« شاب من المدينة » ، قصة طويلة** ، للقاص **عبد الله عيسى** ، صدرت في **قطر** .

فلسطين :

•• كتب جديدة ••

● **« إسرائيل وتجربة حرب لبنان »** ، تأليف **مجموعة من الخبراء الإسرائيليين** ، صدر **مترجماً إلى العربية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية** .

لبنان :

•• كتب جديدة ••

● **« فارس الرمال » ، رواية الكاتب البرازيلي جورج أمادو** ، ترجمة **محمد عيتاني** ، صدرت عن **دار الفارابي ببيروت** .

صدرت الكتب التالية عن دار الحداثة ببيروت :

★ **« تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي »** ، تأليف **الدكتور علي المسري** .

★ **« الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري »** ، تأليف **الدكتور أنطوان ضومط** .

★ **« علم التاريخ »** ، تأليف **ج . هرنشو** .

★ **« تطور ملكية الأراضي في الإسلام »** ، تأليف **محمد علي نصر الله** .

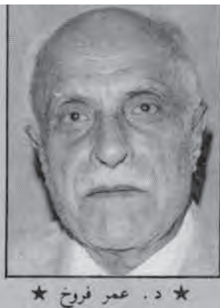
★ **« تاريخ العرب في الإسلام »** ، تأليف **الدكتور جواد علي** .

★ **« من وثائق الصراع العربي الصهيوني »** ، تأليف **سمير أيوب** .

★ **« علاقة التاريخ الرأسمالي بالفكر الأيديولوجي العربي ، مدخل نقدي »** ، تأليف **سمير أمين** .

★ **« تغريب التراث العربي »** ، تأليف **الدكتور محمد عيسى صالحية** .

★ **« سورية وفلسطين تحت الحكم**



★ د. عمر فروخ ★



★ محمود درويش ★

التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية »، تأليف بازيلي، ترجمة الدكتور يسر جابر، مراجعة الدكتور منذر جابر.

★ « أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية »، تأليف برنارد لويس، ترجمة حكمت تلحوق.

★ « الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون »، تأليف الدكتور عبد القادر جغلول، تقديم مصطفى الأشرف.

★ « العرب والقيادة: بحث في علم اجتماع القيادة عند العرب »، تأليف الدكتور خليل أحمد خليل.

★ « البناء الطبقي للفلسطينيين »، تأليف الدكتور سمير أيوب.

★ « مناهج البحث العلمي »، تأليف كورغانوف، ترجمة الدكتور علي مقلد.

● « الوحدة النقدية العربية »، تأليف الدكتور عبد المنعم السيد علي، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت.

● « ملامح من الوجه المسافر »، تأليف عبد الرحمن مجيد الربيعي، صدر عن دار عالم الكتب في بيروت.

● « مقدمات حول قضية المرأة والحركة النسائية في الأردن »، بقلم سهير التل، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

● « ليلة المليار »، رواية من تأليف غادة السمّان، صدرت عن دار الطليعة في بيروت.

● « مديح الظل العالي »، قصيدة للشاعر محمود درويش، صدرت في كتاب عن دار العودة ببيروت.

● « تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه »، تأليف الدكتور عمر فروخ، صدر عن دار الباحث اللبناني ببيروت.

محاضرات

● « الشخصية الإيمانية في القصة الجزائرية المعاصرة »، محاضرة ألقاها الدكتور عبد المالك مرتاض بمدينة سكيكدة الجزائرية.

● « إنجاز القاموس الموسوعي الكبير »، محاضرة ألقاها الفرنسي إيف لاروس بمدينة الجزائر.

● « الترجمة ومشاكل توفر الكتاب العلمي »، محاضرة ألقاها السيد حاج صالح بمدينة الجزائر.

● « المؤلفات العلمية والتقنية »، محاضرة ألقتها الفرنسية ليدي أرسلان بمدينة الجزائر.

● « مجنون ليلى »، محاضرة ألقاها أندريه ميكيل (مدير المكتبة الوطنية بباريس) بمدينة الجزائر.

● « الإسلام والبحر الأبيض المتوسط »، محاضرة ألقاها جاك بيرك بالجزائر.

● « القرآن.. المعجزة المستمرة الخالدة »، محاضرة ألقاها الدكتور أحمد طه إبراهيم بالمركز الثقافي بالجزائر.

● « الناشرون الأوروبيون وإغراء الشرق »، محاضرة ألقاها بيار برنارد بمدينة الجزائر.

● « الرياض بين عامي ١٩٧٦ ـ ١٩٨٦ م، من مدينة صغيرة إلى عاصمة عالمية »، محاضرة ألقاها عبد الله النعيم بجامعة السوربون بباريس.

● « ضوابط الضرورة في معاملاتنا المعاصرة »، محاضرة ألقاها الدكتور علي أحمد السالوس بالمركز الإسلامي في مدينة خليفة بقطر.

● « أدب المرأة »، محاضرة ألقاها عزيز ضياء بالجمعية الفيصلية النسائية بجدة.

● « مشكلات المسلمين وحلولها »، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الله عمر نصيف، باللغة الإنجليزية على غير الناطقين بالعربية بكلية الهندسة ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

● « مراجعة في تاريخنا الأدبي »، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الباسط بدر بنادي المدينة المنورة الأدبي.

● « الأداء الديناميكي لمولد موجات هيدروليكي محمل »، محاضرة ألقاها الدكتور محمد السيد العربي بكلية الهندسة ـ جامعة الملك سعود بالرياض.

● « الأدب الشعبي.. مكانته الفنية وقيمته العلمية »، محاضرة ألقاها الدكتور سعد الصويان بكلية الزراعة ـ جامعة الملك سعود بالرياض.

● « أثر التدخين على اللياقة البدنية »، محاضرة ألقاها الدكتور عز الدين الدينشاري بكلية الزراعة ـ جامعة الملك سعود بالرياض.

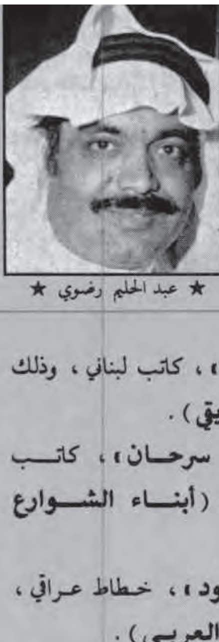
● « مانعات تصنيع الأجيوتنش »، محاضرة ألقاها الدكتور فهد جابر الشمري بكلية العلوم الطبية المساعدة بجامعة الملك سعود بالرياض.

● « منهج المسلم في الإسلام »، محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن سبيل بنادي الحرس الوطني بمكة المكرمة.

● « موقعة (هرمجدون) ونهاية إسرائيل »، محاضرة ألقاها الدكتور أحمد طه إبراهيم بالمركز الثقافي الإسلامي بالجزائر.

● « توظيف التاريخ في الرواية »، محاضرة ألقاها رشيد بوجدرة بمدينة الجزائر.

الحركة الثقافية في العالم



★ عبد الحليم رضوي ★

الباكستان

●● مؤتمر عن السيرة النبوية ●●

عقد في إسلام آباد مؤتمر دولي للسيرة النبوية الشريفة، بحضور العديد من المختصين والمتبحرين في سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

كان موضوع هذا المؤتمر يدور حول معاملة الإسلام للمرأة ، وحقوقها في الإسلام ، وواجباتها ، وبعد أن اختتم المؤتمر أعماله قرر المجتمعون إنشاء **«مؤسسة للسيرة»**، في باكستان ، مع إنشاء فروع لها في مختلف الأقاليم والمدن .

وسيناط بهذه المؤسسة الإعداد للحلقات الدراسية ، والمؤتمرات والندوات والمسابقات ، في مجال السيرة النبوية الشريفة ، مما يمكّن النساء في باكستان من دراسة حياة **الرسول صلى الله عليه وسلم**، والقيام بدورهن في إقامة مجتمع إسلامي حقيقي .

أمريكا

●● واقع العالم الإسلامي ●●

عقد بمدينة هيوستن بولاية تكساس الأمريكية المؤتمر السنوي التاسع، لرابطة الشباب المسلم العربي ، وذلك تحت شعار **«واقع العالم الإسلامي وسبيل الإصلاح»**، حيث تمت فيه مناقشة عدة أمور ، منها :

★ الأوضاع الراهنة للإسلام والمسلمين في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية .

★ القضايا التي تهم المرأة في مجال العمل الإسلامي .

★ البرامج الخاصة بالناشئة من الجنسين .

الجدير بالذكر أن المؤتمر قد عقد خلال شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٦ م .

●● معرض السلام العالمي ●●

أقام الفنان التشكيلي السعودي عبد الحليم رضوي ، معرضاً فنياً في مبنى الأمم المتحدة بنيويورك، خلال الفترة من ١٥ إلى ١٧ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٦ م ، عن **«السلام العالمي»**، حيث عرض فيه أكثر من ثلاثين لوحة تشكيلية تصور السلام العالمي والجهود التي بذلت من أجل استقرار وسلام العالم .

●● أحدث الكتب ●●

● **«كيف تفكر وتعيش»**، بقلم **لويس ربورت**، صدر في **نيويورك** .

● **«الرماد البركاني»**، بقلم **جرانت هايكن وكينيث فوهليتس**، صدر عن **مطبعة جامعة كاليفورنيا** .

● **«جبل إتنا : دراسة مفصلة للبركان»**، بقلم **الدكتور شيستير و س . كيلبورن**، صدر عن **مطبعة جامعة ستانفورد** .

● **«السفر بين النجوم وعبقرية الإنسان»**، بقلم **بين فيني وإيريك جونز**، صدر عن **مطبعة جامعة كاليفورنيا** .

● **«الهيكل العظمي للإنسان»**، بقلم **ألن ووكر ودافيد بيشيل**، صدر عن **مطبعة جامعة هارفارد** .

فرنسا

●● جوائز ثقافية ●●

منحت جائزة باريس التي أنشئت عام ١٩٤٨ م، للكاتب الفرنسي **«أندريه فرينو»**، عن روايته (حيرة جيروم فرانكو) ، **كما منحت جمعية الصداقة الفرنسية ـ العربية جوائزها لعدد من الفائزين بها**، وهم :

★ **«أمين المعلوم»**، كاتب لبناني ، وذلك عن كتابه **(ليون الإفريقي)** .

★ **«عبد الحق سرحان»**، كاتب مغربي ، عن روايته **(أبناء الشوارع الضيقة)** .

★ **«حسان مسعود»**، خطاط عراقي ، عن **(كتابه عن الخط العربي)** .

★ **«چان پول شانيولو»**، كاتب فرنسي ، وقد منح **جائزة محمود الهمشري** للقضية الفلسطينية ، وذلك لقاء كتابه التوثيقي **(إسرائيل والأرض المحتلة)** .

●● أحدث الكتب ●●

● **«هجرات»، رواية**، (أول عمل نثري) ، للشاعر **مليوس تسيرنيانسكي**، صدرت في **باريس** .

● **«السماء العاشرة»، رواية**، للكاتبة **إتيان بارلبيه**، صدرت في **باريس** .

● **«العام الأخير من عمر نابليون»، رواية**، للكاتب **سيمون ليز**، صدرت في **باريس** .

● **«المسلمون في أوروبا وأميريكا»**، تأليف **علي المنتصر الكتاني**، صدر في **باريس** .

صدرت الكتب التالية عن شركة لافوازييه ـ تيك ودوك بباريس :

★ **«وحدات القياس ومعاملات التحويل»**، بقلم **ت . ويلدي** .

★ **«المعجزة اليابانية»**، بقلم **ل . فيجنيز**، تقديم **ج . باسيل** .

★ **«تنظيم وإدارة الإنتاج»**، تأليف **بوتيتشيا وروريف** .

★ **«الجامعات الأميريكية»**، بقلم **بوديل ، ونيكولاون** .

★ **«الصناعات الدفاعية الفرنسية»**، دراسة ، أعدها **خبراء حلف الناتو** .

رسائل جامعية

●● «تشنيف المسامع بجمع الجوامع»، تأليف بدر الدين الزركشي ـ دراسة وتحقيق، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد موسى بن علي فقيهي.

●● «الاتجاهات التربوية والأساليب الإدارية لدى مديري ووكلاء مدارس دولة قطر»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية البنات بجامعة عين شمس بالقاهرة، تقدمت بها السيدة أنيسة عبد الله درويش.

●● «البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها السيد طلال جميل رفاعي.

●● «الثورة الجزائرية في الشعر السوري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد عثمان سعدي.

●● «معالجة الكيس المائي الرينوي»، موضوع رسالة دكتوراه في الطب نوقشت بجامعة وهران، تقدم بها السيد بو بكر محمد.

●● «تطبيق أسلوب التحليل في النظام الخدمي لمستشفى ابن النفيس للجراحة والأوعية الدموية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالكلية الفنية العسكرية العراقية، تقدم بها السيد عبد الجبار خضر.

●● «أثر السياسة المالية في كفاءة الأداء»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الإدارة والاقتصاد التابعة لجامعة بغداد، تقدم بها السيد خالد هادي الجاوشلي.

●● «حي دراغ في بغداد.. دراسة للعلاقة المكانية وخصائصها الاجتماعية والاقتصادية والحضارية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمركز التخطيط الحضري والإقليمي بجامعة بغداد، تقدم بها السيد لؤي طه الملاحويش.

★ «الترجمة العلمية والتقنية»، بقلم ج. مايوت.

★ «قاموس هندسة الإنشاءات والبناء، فرنسي ـ إنجليزي، وإنجليزي ـ فرنسي»، وضعه ج. فوريس.

★ «قاموس المهندسين والتقنيين: فرنسي ـ إسباني، إسباني ـ فرنسي»، وضعه ل. كاركامو.

★ «قاموس المصطلحات البحرية: إنجليزي ـ فرنسي»، وضعه ر. راتكليف.

بريطانيا

●● أحدث الكتب ●●

● «الهويات المجروحة للبنان»، بقلم الدكتور غسان سلامة، صدر ضمن سلسلة «الأوراق اللبنانية»، التي تصدر عن مركز الدراسات اللبنانية في مدينة أكسفورد.

صدرت عن شركة باترووت الكتب التالية:

★ «الوجيز في التخطيط الزراعي»، تأليف ج. موليجان.

★ «تطبيقات الكمبيوتر في المجال الزراعي»، تأليف كلارك وجريجسون وسافيل.

★ «قاموس الأغذية المتخمرة»، تأليف جامبيل وبلات.

★ «التقنيات الحديثة في توالد الحيوانات»، تأليف كانينجهام.

★ «تطور علم التهجين والتكاثر النباتي»، تأليف ج. راسل.

★ «قاموس التغذية وتكنولوجيا الغذاء»، تأليف أرنولد بيندر.

★ «أنظمة تسويق الأغذية في العالم»، تأليف إيردينير كايناك.

★ «تطور علم الميكروبيولوجيا الزراعية»، تأليف سوباراو.

★ «التطورات الراهنة في طرق تغذية الحيوانات»، تأليف هاريسين وكول.

★ «التصميم الهندسي والوقاية من الحرائق»، تأليف مارشانت.

★ «إدارة مشاريع البناء»، تأليف جون بينيت.

★ «الحفر الوساطي المتعدد في الكيمياء العضوية»، تأليف ب. شالونير.

★ «أنظمة التدوين والعرض في المتاحف»، تأليف روبرتس ولايت وستوورات.

★ «مجموعات التاريخ الطبيعي ـ في المتاحف»، تأليف ف. هووي.

★ «الحفظ والعرض في المتاحف: تعليب ونقل وتحقيق الوسط البيئي المناسب للمتحف»، تأليف ناثان ستولو.

★ «صيانة المكتبات وطرق حفظ المواد في الإرشيف والرسوم الفنية»، تأليف جاي بيتربريدج.

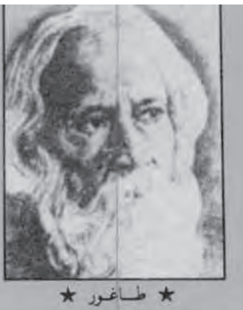
★ «الاستعمال الفعّال للطاقة»، تأليف دريدن.

★ «قاموس تكنولوجيا الطاقة»، تأليف جيلبين وروثويل.

★ «التوازنات الطورية في الهندسة الكيميائية»، تأليف ستانلي والاس.

★ «تطوير مصادر المياه الجوفية»، تأليف هاميل وبيل.

★ «هندسة الأمن الكهربائي»، تأليف فورد هام كوبر.



★ طاغور ★

الحركة الثقافية في العالم

★ « قاموس الهندسة الكهربائية » ، تأليف جاكسون وفاينبرغ .

★ « الأنظمة الإلكترونية » ، تأليف أولسن .

★ « هندسة وحدات المعالجة المصغّرة » ، تأليف ب . هولد ثوورث .

★ « قاموس الهندسة الميكانيكية » ، تأليف ج . نايلور .

★ « التحقيق الصناعي للمياه الجوفية » ، بقلم تاكاشو آسانو .

★ « الوجيز في التحكم بالفضلات الضارة » ، تأليف أندرو بورتيوس .

★ « الوجيز في تكنولوجيا غاز الأوزون وتطبيقاتها : الأوزون لمعالجة مياه الشرب » ، تأليف ريب ريس ، وأهاران نيتسير .

★ « تكنولوجيا معالجة الفضلات المائية الصناعية » ، تأليف جيمس باترسون .

★ « ابتكارات في حقول المياه والفضلات المائية » ، تأليف أ . جليسون وآخران .

★ « الحوادث والإسعاف » ، تأليف دافيد ويلسون وميشيل فلاورز .

★ « القواعد الطبية لإسعاف الأفراد » ، تأليف إيفانز ودورستون .

★ « الطرق العملية لطب الحوادث والإسعاف » ، تأليف دافيد فيرجسون وستيوارت لورد .

★ « الحروق وعلاجها » ، تأليف موير وباركلي وستيل .

★ « علم فسيولوجيا القلب والشرايين التطبيقي » ، تأليف ر . كيلمان .

★ « التخدير العام » ، تأليف سيسيل جراي وآخران .

★ « ابتكارات في علم التخدير » ، تأليف سيدمان وسميث .

★ « الأزمات القلبية عند المراهقين والشباب » ، تأليف ديسموند جوليان ونانيت وينجير .

★ « حالات مختارة من أمراض القلب » ، تأليف آلن ماكينتوش .

ألمانيا :

حضارة البربر في معرض

أقيم في متحف (راوتن شتراوخ يوست) بمدينة كولونيا معرض للفنون البربرية والحضارة البربرية ، حيث تم فيه عرض أكثر من مائة قطعة من الخزف (كالقدور والأطباق الملونة) التي جلبت من الريف المغربي ، ومناطق القبائل البربرية الصغرى ، والكبرى في الجزائر ، ومن جبال مقعد وخمير التونسية .

الهند :

أحدث الكتب

● « الشاعر الرسام : تحليل رسوم طاغور » ، تأليف الدكتور أناند ، صدر عن مطبوعات أبهيناف .

● « الشيوعية في الهند » ، بقلم أسفار علي ، صدر عن شركة كتب أجانتا .

● « العادات والتقاليد والطقوس في سريلانكا » ، بقلم تيلاكا راتن ، صدر عن مركز الكتاب الهندي .

● « نظام المحاكاة في الكمبيوتر الرقمي » ، بقلم نارسينغ ديو ، صدر عن شركة برينتيس هول .

● « موسوعة الأحداث والتواريخ الهندية » ، تأليف س . باتاشيرغ ، صدر عن شركة ستارلينغ .

● « أطلس الهند الاقتصادي » ، تأليف س . مويتاه ، صدر عن شركة تي . تي . هابس .

● « دليل المسافرين إلى الهند » ، تأليف س . مويتاه ، ور . آريا ، صدر عن شركة تي . تي . هابس .

● « أطلس المدن الهندية » ، تأليف س . مويتاه ، ور . آريا ، صدر عن تي . تي . هابس .

● « أطلس الطرق في الهند » ، تأليف س . مويتاه ، ور . آريا ، صدر عن شركة تي . تي . هابس .

● « الهند واليابان : أبعاد العلاقات الثنائية » ، تأليف ناراسيمها مورتي ، صدر عن شركة يو . بي . أس .

كندا :

أحدث الكتب

● « مذكرات شاعر مجري أثناء الحرب العالمية الثانية ـ أيامي السعيدة في الجحيم » ، تأليف جورج فالودي ، صدرت عن شركة كولينز .

● « الجسم الغريب » ، رواية ، تأليف رون بيز ، صدرت في أوتاوا .

● « العودة إلى الحالة الطبيعية » ، تأليف ريتشارد لونيتو ، صدر عن شركة وبل تبي .

● « لغز الذهب المخبأ » ، قصة ، تأليف ماريون كروك ، صدرت عن شركة جروليير .

● « علم الكمبيوتر » ، تأليف بيلي وبويتشاك وشيلينبرغ ، صدر عن شركة دي . سي . هيث .

● « أساسيات علم الفيزياء » ، تأليف مارتيندال وهيث ، صدر عن شركة دي . سي . هيث .

● « دفاع الجسم » ، تأليف ماريلين دنلوب ، صدر عن شركة إيروين .



★ ليوبولد سنغور ★



★ أدونيس ★

● «الأعمال العلمية : كتاب التجارب والأبحاث التي أنجزها المركز العلمي في أونتاريو»، صدر عن **مطبعة كيدس كمان**.

بلجيكا :

●● جائزة الشعر ●●

أصدرت لجنة التحكيم التي ترأسها الشاعر والسياسي السينيغالي ليوبولد سنغور، والتي عقدت اجتماعها في مدينة **«لييج»** خلال شهر سبتمبر (أيلول) الماضي، قراراً بمنح الشاعر السوري **أدونيس (علي أحمد سعيد) الجائزة الدولية للشعر**.

المعروف أن الشاعر أدونيس يقيم حالياً في باريس بصفته مساعداً لمندوب الجامعة العربية لدى **منظمة اليونيسكو**.

نيوزيلندا :

●● أحدث الكتب ●●

● **«مصورات نيوزيلندا القديمة»**، صدر عن **شركة دافيد باتمان**.

● **«نيوزيلندا... الأرض الحيّة»**، تأليف **جيوف مون**، صدر عن **شركة دافيد باتمان**.

● **«الهروب من أفغانستان»، قصة**، تأليف **نيفيل بيت**، صدرت عن **شركة كولينز**.

● **«جنوب إفريقيا»**، تأليف **بروس كونيو وفيرنون رايت**، صدر عن **شركة هودر وستوتون**.

● **«طيور نيوزيلندا»**، تأليف **ريموند شينغ**، صدر عن **شركة ريد ميثيوين**.

★ ★ ★

أخبار الغد

السعودية :

●● كتب جديدة ●●

● **«عمر الدقائق»، ديوان شعر**، للشاعر **سعد الحريجي**، سيصدر في **الرياض**.

● **«الصوت والصدى»، ديوان شعر جديد**، للشاعر **حسين سرحان**، سيصدر عن **نادي الطائف الأدبي**.

● **«نقوش فوق صدر...»، ديوان شعر للشاعر محمد الفرياوي**، سيصدر عن **الدار السعودية للنشر بجدة**.

المغرب :

●● كتب جديدة ●●

● **«غنى الوليد»، ديوان شعر**، للشاعر **جمال الدين بن شقرون**، سيصدر عن **مطابع الرسالة**.

العراق :

●● الأدب الجديد في ظل الحرب ●●

ستقام في جامعة الموصل، خلال شهر مارس (آذار) القادم ١٩٨٧ م، ندوة عن **«الأدب الجديد في ظل الحرب العراقية الإيرانية»**، حيث وجهت الدعوة إلى الأدباء والأساتذة المختصين من العراق وبعض الأقطار العربية والعالمية، وقد كونت لجنة تحضيرية لهذه الندوة تتكون من :

★ **الدكتور صلاح الدين أمين**، عميد آداب جامعة الموصل، رئيساً.

★ **الدكتور عبد الإله الصائغ**، مقرراً.

الكويت :

●● كتب جديدة ●●

ستصدر الكتب التالية عن معهد المخطوطات :

★ **«التكملة في الحساب»**، تأليف **عبد القاهر البغدادي، تحقيق ودراسة الدكتور أحمد سليم سعيدان**.

★ **«مختصر آداب الفلاسفة»**، تأليف **محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي**.

★ **«غوامض الصحاح»**، تأليف **صلاح الدين الصفدي، تحقيق ودراسة عبد الإله النبهان**.

كتب وردت إلى المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه ان يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى».

الصحافة.. قضايا ومشكلات

تأليف **عبد الباسط محمد عثمان**. يضم الكتاب دراسة عن واقع العمل الصحفي وأساليب الصحافة ووسائلها الفنية في إعداد وتزويد القارئ بالمعلومات مع استعراض لبعض ما صدر من كتب وأبحاث عن الصحافة. صدر الكتاب عن **دار العمير للثقافة والنشر بجدة**. يقع في (١١٨) صفحة من القطع المتوسط.

تحليل المحتوى في بحوث الإعلام

تأليف **الدكتور محمد عبد الحميد**. يضم الكتاب دراسة منهجية عن الإطار النظري لتحليل المحتوى وكيفية استخدامه وتطبيقه في بحوث الإعلام. صدر الكتاب عن **ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر**. يقع في (٢٧٠) صفحة من القطع المتوسط.

كتاب المغرب

تأليف **الأستاذ الصديق ابن العربي**. وهي الطبعة الثالثة من كتابه الذي يضم معلومات جغرافية وتاريخية عن المغرب ومدنه وقراه ومراكزه مع تناول علاقاته الدولية في فترات مختلفة من التاريخ. صدرت هذه الطبعة من الكتاب ضمن مطبوعات **الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي في بيروت لصاحبها الاستاذ الحبيب اللمسي**. يقع في (٢٩٦) صفحة من القطع المتوسط.

الإفصاح عن معاني الصحاح للوزير العالم ابن هبيرة

صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة «**من ذخائر التراث الإسلامي**» التي تصدرها **رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر**، ويضم الجزء الأول كتاب **الإمام الجليل ابن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ هـ**، الذي يعد أول شرح لصحيحي البخاري، ومسلم. كما يتضمن هذا الجزء شرحاً لمسانيد المبشرين بالجنة. قدم له **الشيخ عبد الله ابن زيد آل محمود** وحققه وخرج أحاديثه **الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد**. يقع هذا الجزء في (٤٤٤) صفحة من القطع المتوسط.

اليمن عبر التاريخ (من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين)

تأليف **الأستاذ أحمد حسين شرف الدين**. يضم الكتاب دراسة جغرافية وتاريخية وسياسية شاملة لليمن. وهذه هي الطبعة الرابعة من الكتاب، حيث سبقتها الطبعة الأولى في ١٣٨٢ هـ، والثانية في ١٣٨٤ هـ، والثالثة في ١٤٠٠ هـ. طبع **بمطابع الفرزدق بالرياض**. يقع في (٣٤٦) صفحة من القطع المتوسط ومزين بالصور والخرائط.

مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية

صدر الكتاب في نطاق التعاون المشترك بين **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس، ومكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض**، بمناسبة الاحتفال بحلول **القرن الخامس عشر الهجري**. يقع الكتاب في جزءين ويضم مجموعة بحوث حول مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، كتبت هذ الابحاث بأقلام نخبة من العلماء المسلمين، وطبع بمطبعة **مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض**.

انتشار الإسلام في العالم.. في ٤٦ دولة آسيوية وإفريقية

تأليف **الدكتور عبد الله مبشر الطرازي**. وهو الجزء الأول من كتابه عن طرق انتشار الإسلام في العالم، حيث تناول في هذا الجزء كيفية انتشار الإسلام في ٤٦ دولة آسيوية وإفريقية مع نبذة مختصرة عن كل دولة من هذه الدول. صدر الكتاب برقم [٢] ضمن سلسلة «**الإسلام والمسلمون في العالم**» التي تصدرها **عالم المعرفة للنشر والتوزيع بجدة**.

★ ★ ★

من كتاب هذا العدد



ميسلون هادي العزاوي

★ من مواليد بغداد ـ العراق ، عام ١٩٥٤ م .

★ بكالوريوس إحصاء ، ودبلوم لغة إنجليزية .

★ تجيد الإنجليزية .

★ عملت سكرتيرة تحرير «الموسوعة الصغيرة» .

★ تعمل حالياً سكرتيرة تحرير مجلة «الطليعة الأدبية» .

★ لها مجموعتان قصصيتان ، وكتاب مترجم ، ولها مجموعة قصصية وروايتان للأطفال .

★ عضو الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق ، إلى جانب عضويتها في نقابة الصحفيين ، وجمعية الاقتصاديين .



د . سعيد حسين علي الحكيم

★ من مواليد النجف ـ العراق ، عام ١٩٤١ م .

★ دكتوراه فلسفة في الجغرافيا .

★ عمل في حقل التدريس منذ عام ١٩٦٧ م .

★ يجيد اللغة الإنجليزية .

★ له عدد من المؤلفات والأبحاث والمقالات .

★ عضو الهيئة التأسيسية والإدارية لاتحاد الأدباء والكتّاب في النجف .

★ يعمل حالياً أستاذاً للجغرافيا بمعهد المعلمين في النجف .



د . مرزوق بن صنيتان ابن تنباك

★ من مواليد المدينة المنورة ، عام ١٣٧٠ هـ .

★ دكتوراه في الأدب .

★ يجيد اللغة الإنجليزية .

★ له كتاب (الفصحى نظرية ، ونظرية الفكر العامي) ، وله مقالات علمية متخصصة نشرت في مجلات جامعية .

★ له مشاركات في الصحف والمجلات السعودية والإذاعة والتلفزيون .



د . محمد بن سليمان السديس

★ من مواليد «البكيرية ـ القصيم» بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣ م .

★ دكتوراه في اللغة العربية ـ جامعة ليدز ـ بريطانيا .

★ يجيد اللغة الإنجليزية .

★ عمل في حقل التدريس ، كما عمل معيداً في كلية الشريعة بمكة المكرمة ، فمدرساً بفرع جامعة الملك عبد العزيز في مكة (أم القرى حالياً) ، ثم أستاذاً مساعداً بالجامعة نفسها .

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالرياض .

★ شارك في عدد من المؤتمرات والندوات .

★ له عدد من الأعمال ترجمة وتحقيقاً ، وله مجموعة من الأبحاث المنشورة في المجلات .

راشد علي عيسى

★ من مواليد نابلس ـ فلسطين ، عام ١٩٥١ م .

★ دبلوم لغة عربية ـ معهد المعلمين في مدينة رام الله بفلسطين .

★ يجيد الإنجليزية ، ويجيد العبرية تحدثاً .

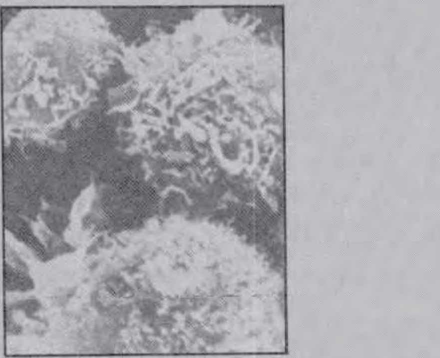
★ يعمل حالياً مدرساً بالمملكة العربية السعودية .

★ له ديوانا شعر تحت

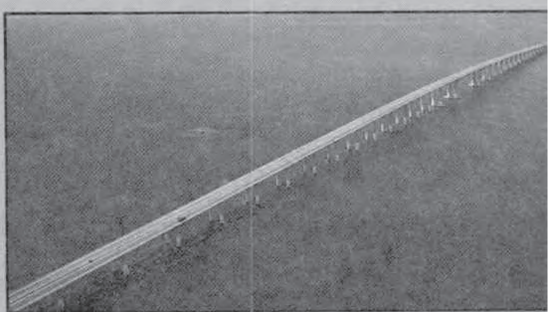


الطبع ، وله كتاب مخطوط ، وله مقالات ودراسات نشرت في المجلات والصحف العربية .

●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا



●● في أمريكا وحدها .. سيصاب بالسرطان مستقبلاً ، شخص واحد في ثلاثة أرباع الأسر الأمريكية ، اي أكثر من ١٧ مليون أمريكي هم أحياء الآن .. سيموتون بالسرطان مستقبلاً ، رغم أن أمريكا قد صرفت الآن على أبحاث السرطان حوالي ١٨,٥ بليون دولار . طالع ملف شامل عن السرطان ص (٣) .



●● جسر الملك فهد (السعودية / البحرين) الذي افتتح مؤخراً .. لم يخلق علاقة كانت غير قائمة ، ولكنه جسّد بمفهوم معطيات العصر علاقة قديمة قدم التاريخ بين البلدين الشقيقين (السعودية والبحرين) . طالع ص (٢٧) .



●● الدكتور أبو القاسم سعد الله .. المفكر الجزائري ، واحد من دعاة الإصلاح الفكري في العالم العربي ، فهو لا يكل ولا يمل عن الدعوة إلى التطور الفكري والحضاري ، ونبذ الجمود والتخلف ، والسعي نحو تحقيق الوحدة الاقتصادية ، ثم السياسية . طالع ص (٥١) .

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 119 - 10TH YEAR - JAN. 1987.

العدد (١١٩) ـ جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ ـ السنة العاشرة ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٧ م .

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To:

AL-FAISAL MAGAZINE

P.O.BOX 3

RIYADH 11411-Saudi Arabia

Tel: 4653026-4653027.TELEX 402600 DRFATH SJ

المراسلات :

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)

الرياض ١١٤١١ . المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧

تلكس : ٤٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٥٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٥٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	12	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية :

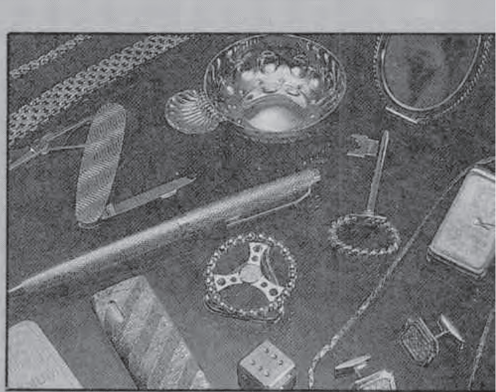
للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا ، لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

شركة الطباعة العربية السعودية ذ.م.م

ص.ب ٦٤٦٣ الرياض ١١٤٤٢ المكتب ٤٦٣٣٤٥٢ المطابع ٤٦٥٨٩٩٠

عدد ●● في هذا العدد ●●



●● إذا كان الذهب قد استأثر ، منذ قديم الزمان ، بلقب (سيد الفلزات) ، فإن «البلاتين» قد بدأ منذ مطلع القرن الحالي ، يختطف الكثير من الشهرة ، ويجتذب اهتمام الصناعيين وخبراء المعادن وعشاق المجوهرات .. حتى وصف بأنه الفلز الذي يصنع المعجزات ، وأطلق عليه «حجر الفلاسفة» . طالع ص (٧٥) .



●● في أبواب «حلب» .. لمسات إنسانية متحضرة تريد أن تقول إن الفن كان متكاملاً في عقل من فكر وصمم ، وفي أيدي من نقش وصقل ورصف وبنى ، وإن الفكر والعمل كانا متلازمين في حركة متزامنة ومتزنة ، لا تخلو من بُعد الحدس ، ووضوح الرؤية وثقة الخطوة . طالع ص (٨٥) .



●● «القره گوز» عنصر من عناصر المسرح التركي المتوارث . وقد عرفه الترك منذ القدم تحت مسميات مختلفة ، وعرفوا مسرحياته وكانوا يقومون بألعابه . وتبين الدراسات الفولكلورية الحديثة أن ألعاب الظل الصينية المعروفة بـ «ظلال الصين» قد اقتبست عن «القره گوز» التركي . طالع ص (٩٩) .

●● حوار الشمال والجنوب ●●

